

نام کتاب: الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام

پدیدآور: یوسفی غروی، محمدهادی

موضوع: امام سجاده (ع)

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: مجمع جهانی اهل بیت (علیهم السلام)

مکان چاپ: قم - ایران

سال چاپ: ۱۴۳۶ ه. ق

نوبت چاپ: ۱

ص: ۷

مقدمهٔ المجمع

إنَّ مدرسةَ أهل البيت (عليهم السلام) التي تجسّد الإسلام المحمّدي الأصيل، وتستند إلى مصدر الوحي، ذات معارف كبرى تتصف بأعلى درجات الإتيقان، والإستدلال، والمنطق الجزل، وتتطابق مع الفطرة الإنسانية السليمة

فإنَّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبّعونا

إنّ هذه المدرسة الثّرة والوُضْاءة، قد اعتنت وتسامت وانتشرت بفضل الرعاية الرّبّانية وإرشادات الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وبجهاد وجهود الآلاف من العلماء والفقهاء.

لقد أدّى انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني (قدس سره) إلى إقامة نظام الجمهورية الإسلامية وفقاً لمبدأ ولاية الفقيه، ما أدّى إلى استقطاب أنظار الكثير من أحرار العالم إلى هذه المدرسة وخاصة المسلمين منهم.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) وليد هذا التغيير المبارك في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجاء انطلاقاً من فكرة ابتكرها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الخامنّي (مُدّ ظله الوارف) في عام ١٩٩٠ م. واضطلع حتى الآن بتقديم خدمات جليّة في مجال الدعوة وترويج معارف القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) والذود عن حياض القرآن الكريم وأتباع أهل البيت (عليهم السلام).

إنّ المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) وفي سياق نهوضها برسالتها من أجل الإرتقاء بمستوى الوعي والمعرفة لدى أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وترصين دعائم البيت الشيعي، قامت بتأليف الكتب وإصدار المجلات بعدة لغات حيّة، وبكافة الوسائل الثقافية المعاصرة المتاحة، بمختلف المواضيع على مستوى المخاطبين وفي شتى المجالات والميادين، قامت بعقد المؤتمر الدولي للإمام علي بن الحسين السجّاد (ع).

وهنا أرى لزماً علىّ أن أقدم شكرى للجهود المتواصلة التي بذلها الأمين العام

ص: ٨

للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) سماحة الشيخ محمّد حسن الاخترى (دام عزّه)، وسماحة آية الله الشيخ قربان علي دري نجف آبادي، نائب رئيس المجلس الأعلى للمجمع ورئيس اللجنة العلمية لمؤتمر العالمي للإمام السجّاد (ع). وسماحة الشيخ محمّد سالار معاون الشؤون الدولية، والمهندس مجد حكمت معاون الشؤون التنفيذية، وأعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر أصحاب السماحة: الشيخ محمّد هادي اليوسفي الغروي، السيّد محمّد رضا الحسيني الجلالى، السيّد محسن الحسيني الأميني، السيّد منذر الحكيم، الشيخ حميد رضا المطهري، الشيخ رمضان المحمّدي، السيّد محمّد رضا آل أيوب، والشيخ عبّاس الجعفرى مدير لجنة الدراسات الاستراتيجية وسكرتير اللجنة العلمية لإقامة المؤتمر العالمي للإمام السجّاد (ع).

وكذلك نشكرُ الكتّاب والمترجمين والمقيمين: سماحة آية الله الشيخ محمّد مهدي الآصفى، الشيخ قيس بهجت العطّار، السيّد راضى الحسينى، السيّد عبدالأمير المؤمن، السيّد أمين السعيدى، السيّد محمّد المروّج، عبدالكريم الكرمانى، محمّد على

معينيان، محمدجواد الخرسندی، حسين الصمدی، حسين الصالحی، قاسم البغدادي، جواد الجعفري، وبريز الكاظمي،
وجميع الإخوة الذين عاضدونا بشكل أو بآخر على صياغة واعداد وطباعة هذه المقالات.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة الإسلام والمسلمين بنشر فكر وتراث أهل البيت (عليهم السلام).

نجف لك زايي

معاون الشؤون الثقافية

ص: ٩

المقدمة: الأبعاد الثقافية والسياسية والاجتماعية لحياة الإمام زين العابدين (ع)

يتلخص منهج السياسة الأموية في تمكين آل أمية من فرض سلطانها على العالم الإسلامي، ومكافحة كل حالات
الإعتراض المسلحة والسياسية ... في كلمتين: الإرهاب والإفساد.

وواقع هذه السياسة هو معاوية بن أبي سفيان مؤسس هذه السلسلة، وورث يزيد بن معاوية هذه السياسة المزدوجة في
تمكين بني أمية من الحكم من أبيه، وبالغ في استخدام العنف والإفساد، وكان من أبرز حالات العنف والإرهاب في فترة
ولايته - رغم قصرها - فاجعة كربلاء، ثم مأساة الحرّة، ثم إحراق الكعبة المشرفة في ثلاث سنوات متواليات، تولى فيها
الحكم من بعد أبيه.

وأمن في الإفساد والفساد، وممارسة المجون والخلاعة، والشرب، وانتهاك حرّات الله حتى ضجّ منه الوفد الذي قصده من
أبناء الصحابة من المدينة إلى قصره في الشام.

ورغم بشاعة الجرائم التي ارتكبتها يزيد بن معاوية بعد أبيه من العنف والإرهاب والفساد والإفساد في الشام والعراق
والحجاز ... حتى آل الأمر إلى شهادة الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأنصاره بتلك الصورة المفجعة، وانتهاك حرمة مدينة
رسول الله (ص)، ومصرع الصحابة وأبناء الصحابة والتابعين بجوار الحرم النبوي، ورغم تظاهر الخبيث بانتهاكه حدود الله
وحرّماته في قصره أمام

المسلمين، ولمّا يمرّ على وفاة رسول الله (ص) صاحب الرسالة، غير خمسين عاماً فقط.

أقول: رغم ذلك كلّ لم يحدثنا التاريخ بثورات وانتفاضات شعبية واسعة تجاه السياسة الأموية في الإرهاب والإفساد اللذين تمّا تم على عهد معاوية وابنه يزيد .. لم يحدث شيء من هذا القبيل يومئذ في الحجاز والعراق والشام، غير حركة الإعتراض المسلّحة التي قادها المختار الثقفي (رحمه الله) بعد هلاك يزيد في الكوفة، والثورة المسلّحة المحدودة التي قادها التوابون في العراق.. وأمّا فاجعة الحرّة وما ارتكب يزيد بن معاوية فيها من الجرائم، فلا نعرف لها صدى وردود فعل واسعة في الأوساط الإسلامية يومئذ في العراق والشام والحجاز ومصر وغير ذلك من الأقاليم الإسلامية، غير اعتراضات محدودة جداً في العراق والحجاز.

ويحار الإنسان في تفسير هذا السكوت المطلق من قبل المسلمين عن جرائم بني أمية يومئذ..

ولا تشير المدونات التاريخية التي أرّخت هذه الفترة إلى تفسير هذا السكوت والقيود عن الإعتراض تجاه سياسة بني أمية.

كما لا نجد في المؤرّخين المحدثين الذين يؤرخون هذه الفترة المعتمّة من التاريخ الإسلاميّ من يحاول أن يفسّر هذا السكوت المطلق للمسلمين عن الإعتراض على بني أمية والقيود عن مقاومتهم.. رغم أنّ التحليل والتفسير والنقد العلمي تُعدّ جزءاً أساسياً من مسؤوليات المؤرّخ اليوم، رغم ذلك لم نقرأ في الأبحاث التاريخية المعاصرة تفسيراً لهذه الظاهرة الملفتة للنظر في تلك الفترة من تاريخ المسلمين.

نحن نعتقد - في تحليل هذه الظاهرة - أن السياسة الأموية في الإرهاب والإفساد حققت نجاحاً واضحاً منذ ولّاية معاوية، في ترويض العالم الإسلاميّ

يومئذ على السكوت عن الإعتراض على سياسات بني أمية، وإيثار العافية على مواجهة عمّال بني أمية.

ولقد كان بنو أمية يتوقعون الإعتراضات المسلّحة والسياسية من الحرّمين الشريفين في الحجاز، حيث يعيش أبناء الصحابة والتابعون، كما حدث ذلك في المدينة المنورة، بعد شهادة الإمام الحسين (ع) وأنصاره (رضوان الله عليهم).

وَيُعْجَبُ الْإِنْسَانُ عِنْدَمَا يَقْرَأُ مِنْهُجَ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي تَطْوِيعِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ لِسِيَّاسَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْعُنفِ وَالْإِفْسَادِ، فَلَقَدْ بَلَغَ الْعُنفُ وَالْقَمْعُ وَالْإِرْهَابُ وَالذَّبْحُ فِي الصَّحَابَةِ وَأَبْنَائِهِمُ وَالتَّابِعِينَ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى يَدِ مُسْلِمٍ (مُسْرِفٍ) بَنٍ عَقِبَهُ حَدًّا لَمْ يَكُنْ يَتَصَوَّرُهُ أَحَدٌ.

وَبَلَغَ الْأَمْرُ فِي الْقَضَاءِ عَلَى حُرُوكَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَنْتَرِعَ السُّلْطَةَ مِنْ آلِ أُمَيَّةٍ وَيَنْقُلَهَا إِلَى آلِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ يَحَاصِرُ الْحَرَمَ الْمَكِّيَّ الشَّرِيفَ أَحْرَقَ الْكَعْبَةَ الشَّرِيفَةَ بِالْمَنْجَنِيْقِ.

وَبَلَغَتْ سِيَّاسَةُ الْإِفْسَادِ فِي الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ أَنَّ آلَ أُمَيَّةٍ أَدْخَلُوا الْغِنَاءَ وَالطَّرْبَ إِلَى الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَأَشَاعُوا اللَّهْوَ وَالْفَسَادَ وَالطَّرْبَ وَالْغِنَاءَ فِيهِمَا بِشَكْلٍ وَاسِعٍ، وَطَلَبُوا لَهُمَا الْمَغَنِّينَ وَالْمَغَنِّيَّاتِ وَالْمَطْرِبِينَ وَالْمَطْرِبَاتِ مِنْ شَتَّى أَقَالِيمِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِمَبَالِغٍ بَاهِظَةٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَكَانَتْ لِيَالِي الْبَيْضِ فِي (مَنَى) حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْحَجَّاجُ مِنْ أَطْرَافِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ.. نَدَوَاتٍ سَاهِرَةٍ عَامِرَةٍ بِالْغِنَاءِ وَاللَّهْوِ .. وَتَكْفَى قِرَاءَةَ بَعْضِ مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي (الْأَغَانِي) وَغَيْرِهِ مِنَ الَّذِينَ أَرَّخُوا هَذِهِ الْفَتْرَةَ، لَنَعْرِفَ عُمُقَ الْمَآسَاءِ الَّتِي حَلَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ عَلَى يَدِ آلِ أُمَيَّةٍ فِي إِشَاعَةِ اللَّهْوِ وَالْفَسَادِ فِي الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، لِيَأْمَنُوا جَانِبَهُمَا فِي الْإِعْتِرَاضِ عَلَى سُلْطَانِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَوَلَايَتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

ص: ١٢

يقول أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (إن الغناء في المدينة، لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم) ١.

ونقرأ في (الأغاني) أيضاً: أَنَّ فَقَهَاءَ كِبَاراً فِي الْمَدِينَةِ كَانُوا يَغْنُونُ وَلَهُمْ أَصَوَاتٌ يَذْكُرُهَا أَبُو الْفَرَجِ فِي الْأَغَانِي لَا نَسْمِيهِمْ إِكْرَاماً لَهُمْ، لَكِنْ بَوَسَعَكَ أَنْ تَقْرَأَ أَخْبَارَهُمْ فِي (الْأَغَانِي لِأَبِي الْفَرَجِ) ٢.

وَبَلَغَ الْأَمْرُ أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ عَامَّةً كَانُوا يَجْجِزُونَ الْغِنَاءَ ٣.

وَاتَّخَذَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَصْرًا بِالْعَقِيقِ (وَادِي عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ) فَقَالَ لَهُ النَّاسُ قَدْ جَفَرْتَ عَنْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص). قَالَ إِنِّي رَأَيْتُ مَسَاجِدَهُمْ لَا هِيَّةَ وَأَسْوَاقَهُمْ لَا غِيَّةَ وَالْفَاحِشَةُ فِي فَجَاجِهِمْ عَالِيَةٌ ٤.

١ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: ٨ / ٢٢٤ (دار الكتب).

٢ الأغاني: ١ / ١٨٦ و ١ / ٤١٩ و ١ / ٤٢٠ (ترقيم المكتبة الشاملة).

٣ عقد الفريد: ٢ / ٣٩٠ (ترقيم المكتبة الشاملة).

٤ تاريخ دمشق: ٤٠ / ٢٨٠.

وقال أبو يوسف لبعض أهل المدينة ما اعجب أمركم يا أهل المدينة في هذه الأغاني: ما منكم شريف ولا دنيء يتحاشى عنها^٥.

وكان إذا سال العقيق لا يبقى في المدينة مخبأة (مخدرة) ولا شاب ولا شابة ولا كهل إلا خرج إلى العقيق ليسمع الغناء^٦.

وأصبحت المدينة المنورة مركزاً متميزاً لتعليم الجوارى الغناء^٧.

ولم يحدث هذا التركيز على إشاعة الغناء والطرب في الحرمين الشريفين إلا بتخطيط وسعي من بنى أمية لإفساد الناس في الحرمين الشريفين وإسقاطهما في نظر عامة المسلمين.

ص: ١٣

وإذا كان الحرمان الشريفان بهذه المثابة فما بالك بسائر أقطار العالم الإسلامي من مصر والعراق وإيران والشام؟

هذه السياسة المزدوجة من (الإرهاب) و (الإفساد) آتت ثمارها التي كان يسعى إليها آل أمية في تمكينهم من السلطان في العالم الإسلامي الواسع يومئذ..

المعارضة الشيعية:

وكانت المعارضة الوحيدة التي صمدت بوجه بنى أمية في هذه الفترة هي المعارضة الشيعية .. فلم يتمكن بنو أمية أن يروّضوا هذه المعارضة لسياساتهم.

ورغم كل الوسائل التي استخدمها بنو أمية في تذليل هذه العقبة وتطويع شيعة أهل البيت (عليهم السلام) من خلال الإرهاب والإفساد، لم يتمكنوا من القضاء على هذه المعارضة.

أما المعارضة الخارجية (الخوارج)، فلم تقاوم الإرهاب الأموي طويلاً، فقد كانت حركة الخوارج حركة انتحارية انفعالية، شعاريّة، غير عقلانية، ولا تملك خطة مدروسة لمواجهة بطش بنى أمية، وسلطانهم، وإفسادهم.

٥ العقد الفريد: ٣ / ٢٣٣.

٦ العقد الفريد: ٣ / ٢٤٥.

٧ اعلام الهداية: ١٠٧ / ٦ عن الأغاني: ٢ / ٣، ٢٢٦ / ٤، ٣٠٧ / ٦، ٢٢٢ / ٧، ٢١ / ٣١٦ و ٨، ٣٣٢ / ٥٧، ١٠، ٢٢٧ وكتاب الشعر والغناء في مكة والمدينة: ٢٥٠.

ولذلك لم يتمكن الخوارج من أن يقاوموا بنى أمية طويلاً، وسرعان ما انتهت هذه الحركة، ويكاد أن يختفى دورهم في التاريخ الإسلامي، بعد البطش الذي مارسه الحجاج ضدهم.

أما حركة أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم فكانت حركة متميزة بالعقلانية والحزم والسريّة والكتمان الشديد والتقيّد وتجنّب الانفعال والطيش.

وقد كان الإمام زين العابدين (ع) يطلب من شيعته أن يتجنبوا حالة الطيش والنزق وقلة الكتمان، التي كان يعرفها عند بعض الناشئين من شيعته، فيقول (ع):

وددت والله أنّي أفدت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعدى: النزق، وقلة الكتمان^٨.

ص: ١٤

لقد كان أهل البيت (عليهم السلام)، يؤكّدون لشيعتهم دائماً ضرورة ضبط النفس، والكتمان والتقية، والتعقل، والتروى، والتخطيط المرحلى لمواجهة طيش بنى أمية.. فى الوقت الذى كانوا يحرصون على إعلان المقاطعة لهم، ورفض التعاون مع الظلمة، والبراءة منهم وتحريم دعمهم والتعاون معهم بأى شكل من الأشكال.

هذه السياسة الحازمة العقلانية فى معارضة الحكم الأموى حفظت شيعة أهل البيت على خط المعارضة. وإن لم نقل أنّها كانت هى المعارضة الوحيدة فى الساحة السياسية يومذاك، فقد كانت هى المعارضة الأقوى والأشد على النظام الأموى.. منذ أيام الإمام الحسن (ع) فى عهد معاوية إلى نهاية العهد الأموى.

ولهذا السبب فقد أمعن بنو أمية فى محاربة شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، وملاحقتهم، واستئصالهم، والتضييق عليهم، وسجنهم، وقتلهم، وقطع أرزاقهم.

وكانت هذه الفترة من حكم بنى أمية من أشق فترات التاريخ على أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم.

يقول ابن أبى الحديد، وهو ممن أرّخ هذه الفترة:

(ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين (ع)، وولى عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرّب إليه حتى المتظاهرين بالنسك والصلاح والدين ببغض على وموالاة أعدائه وموالاة من يدعى من الناس أنهم أيضاً

أعداؤه، فأكثرُوا من الرواية في فضيلتهم (أى بنى أمية) وسوابقهم ومناقبهم، وأكثرُوا من البغض من على (ع) وعيبه والطنعن فيه، والشنآن له) ٩.

لقد بالغ بنو أمية في ملاحقة شيعة أهل البيت (عليهم السلام) وتصفييتهم ونشر الرعب فيهم، وبشكل خاص في العراق، فقد كان العراق معروفاً بكثرة الشيعة.

ص: ١٥

وقد عاش الإمام الباقر (ع) هذه الفترة الصعبة من اضطهاد شيعته، والتضييق عليهم واستئصالهم.. يقول (ع)، كما يروى ذلك عنه ابن أبي الحديد، في شرح النهج:

(ثم لم نزل أهل البيت، نُستذل ونستضام، ونُقَص ونُمتَهَن، ونُحَرَم، ونُقْتَل، ولا نأمن على دماءنا ودماء موالينا، ووَجَد الكاذبون الجاحدون، لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاء السوء، وعمال السوء، في كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله، وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس. وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن (ع)، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يُدّكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (ع)، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلّة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له شيعة على) ١٠.

يقول ابن الأَعمش (المتوفى سنة ٣١٤ هـ) في كتابه الفتوح، فيما ارتكبه زياد بن أبيه أيام معاوية من قتل الشيعة وملاحقتهم واستئصالهم:

(وجعل زياد يتتبع شيعة على بن أبي طالب، فيقتلهم تحت كل حجر ومدر، حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، وجعل يقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم، وجعل أيضاً يغرى بهم معاوية، فقتل منهم معاوية جماعة، وفيمن قتل حجر بن عدى الكندي وأصحابه، وبلغ ذلك الحسن بن على (ع) فقال:

٩ شرح النهج لابن أبي الحديد: ١١ / ٤٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٠ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١ / ٤٤. وروى المجلسي هذا النص عن ابن أبي الحديد في البحار: ٦٨ - ٦٩.

اللهم خُذْ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه، وأرنا فيه نكالاً عاجلاً ١١.

ص: ١٦

ويقول المدائني في هذه الفترة وعن ولاية زياد بن أبيه عامل معاوية على الكوفة:

(وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على (ع)، فاستعمل معاوية عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة، وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام على (ع)، فقتلهم تحت كل حجر).

ويروى الطبري القصة التالية عن أسلوب زياد في استئصال الشيعة في الكوفة.

وخلاصة هذه القصة: (إن زياداً لما مات المغيرة وأنيطت به ولاية الكوفة جاء إلى الكوفة، وصعد المنبر، وخطب في الناس، فحُصِبَ وهو على المنبر.. يقول الطبري: فجلس حتى أمسكوا، ثم دعا قوماً من خاصته، وأمرهم فأخذ أبواب المسجد، ثم قال ليأخذ كل رجل منكم جليسه، ولا يقولن لا أدري من جليسي).

ثم أمر بكرسي فوضع له باب المسجد فدعاهم أربعة أربعة يحلفون بالله ما منا من حصبك، فمن حلف خلّاه، ومن لم يحلف حبسه وعزله، حتى صار إلى ثلاثين، ويقال بل كانوا ثمانين، فقطع أيديهم على المكان ١٢.

المحور السياسي والثقافي في سيرة الإمام زين العابدين (ع):

بعد أن استعرضنا على نحو الإجمال الحالة الاجتماعية والسياسية للفترة الزمنية التي عاشها الإمام زين العابدين (ع)، نتحدث عن الدور الذي نهض به الإمام السجّاد (ع) في مواجهة هذا الواقع السياسي والاجتماعي.

ص: ١٧

وتتنظم سيرة الإمام زين العابدين (ع) بعد عودته إلى المدينة من رحلة الشهادة والتضحية في كربلاء ... بمجموعة محاور، أهمها بقدر ما يتعلق بموضوع بحثنا:

١- المحور السياسي في طريقة تعامله (ع) مع حكومة بني أمية وعمّالهم وأعوانهم.

١١ الفتوح لابن الأعمش: ٢٠٣/٤، ط حيدر آباد.

١٢ تاريخ الطبري، حوادث سنة ٥٠، ج ٧، ١١/٨٨، ط ليدن.

٢- المحور التربويّ في بناء الجماعة الصالحة.

وهذان المحوران هما أهمّ النقاط التي نريد أن نتحدّث عنها في هذه الرسالة إن شاء الله.

ص: ١٨

١- المحور السياسيّ في منهج تعامل الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) مع حُكّام بنى أميّة

ص: ٢٠

حول هذا المحور نتحدّث عن نقطتين مهمّتين في موقف الإمام زين العابدين (ع) من حكومة بنى أميّة وعمّالهم وأعوانهم في البلاد:

أ- موقف الإمام من الخروج والثورة المسلّحة ضدّ حُكّام بنى أميّة وعمّالهم في البلاد.

ب- إعلان المقاطعة السياسيّة والمعارضة لحُكّام بنى أميّة، ونفى شرعيّة حكومة بنى أميّة، والنهي عن التعاون معهم. وسوف نتحدّث عن هاتين النقطتين بإيجاز إن شاء الله.

ص: ٢١

أ- موقف الإمام (ع) من الثورة المسلّحة

لقد علم بنو أميّة أن شيعة علي (ع) هم المعارضون السياسيّون الصلبون ضدّ حكمهم.. وبإمكان هذه المعارضة أن تستقطب ثقة الناس ودعمهم ومشاركتهم ما لا تستطيعه أيّة جماعة معارضة أخرى.

وكان الخوارج يومذاك يحسبون في عداد المعارضات السياسيّة القويّة لحُكّام بنى أميّة، إلا أنّ المعارضة الخارجيّة كانت حركة انتحاريّة، انفعاليّة، في التعامل مع الساحة السياسيّة والأحداث كما قلنا، وهذه الحالة الانفعاليّة وغير العقلانيّة في

تكفير المسلمين وقتلهم بصورة عشوائية، أدت إلى تصفيتها من قبل حكام بنى أمية، وعمّالهم كالحجاج بن يوسف الثقفي، وغابت هذه الحركة عن الساحة السياسية في أواسط العصر الأمويّ تقريباً، ولم تعد هذه الحركة تقلق حكام بنى أمية.

ولم يكن أمر المعارضة الشيعية كذلك، فقد كانت هذه المعارضة تمتلك جماعة عريضة، وخطّة سياسية، وقابلية على ترحيل العمل السياسي، والثورات المسلّحة، وقدرة كبيرة على الاختفاء والكتمان والعمل في السرّ.

لقد اهتزّت دولة بنى أمية من أقصاها إلى أقصاها بسبب خروج الحسين (ع) ومصرعه، ولم يعد لهذه الدولة الموقع الشرعيّ الذي كان يدّعيه بعنوان خلافة رسول الله (ص)، بعد مصرع الحسين (ع) وأنصاره، في نظر عامّة المسلمين، وكانوا يتعاملون معها، كما يتعاملون مع أيّ حكومة زمنيةّ ظالمة ذات قوّة وبطش.. ورغم كلّ الإعلام الأمويّ الواسع فقد دفع آل أمية ضريبة باهظة بسبب مصرع الإمام الحسين (ع) وأنصاره على أيديهم، ولم يعد بإمكانهم جبر الكسر الذي حدث في سلطانهم في حادث الطفّ.

ص: ٢٢

ومع كلّ هذا الإرهاب والتصفيات الواسعة التي مارسها بنو أمية تجاه شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ... بقي شيعة أهل البيت معارضة سياسية قويّة، ومسلّحة أحياناً في وجه بنى أمية، يهدّدون سلطانهم وملكهم في كلّ حين، رغم كلّ القتل والسجن والمطاردة التي مارسها بنو أمية بحقّ آل عليّ وشيعتهم.

ولذلك كان بنو أمية يخطّطون للقيام بتصفية واسعة لشيعه أهل البيت (عليهم السلام) في العراق والحجاز، والتضييق عليهم في أرزاقهم ومطاردتهم وحبسهم وقتلهم، ومن يقرأ ما حدث لشيعه الإمام عليّ (ع) في العراق في عهد معاوية، وبعد ذلك، وفي عهد عبد الملك وهشام، وفي ولاية الحجاج في العراق، لا يتردد في هذه الحقيقة، وقد قرأنا من قبل كلمة الإمام الباقر (ع) في سياسة بنى أمية في استئصال شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، وملاحقتهم، ومطاردتهم، والتضييق عليهم.

لقد عاش الإمام زين العابدين (ع) هذه الفترة الصعبة بعد مصرع أبيه (ع) وأنصاره (رضوان الله عليهم) بكربلاء.

فكان الإمام عليّ بن الحسين (ع) يعمل ما في وسعه لئلا يعطى ذريعة لبنى أمية وعمّالهم ليمارسوا هذه التصفية السياسية الواسعة التي كان يخطّط لها بنو أمية لشيعته.

وكان الإمام (ع) هو رأس هذا الاستهداف.. وكان بنو أمية يعلمون جيّداً أن الإمام عليّ بن الحسين (ع) وارث عاشوراء، حضر كربلاء يوم عاشوراء، وحفظه الله تعالى من بطش الظالمين يوم عاشوراء، ليحمل ميراث الحسين (ع) سيّد الشهداء،

وأنصاره الشهداء من بعدهم للمسلمين، فكان زين العابدين (ع) يحمل خطاب الشهداء في كربلاء وخطاب سيد الشهداء إلى المسلمين، وكان يشعر بثقل هذه المسؤولية، وكان يسعى لأداء هذا الخطاب أوسع أداء إلى الأجيال، وكان بنو أمية يعرفون ذلك كله.. وقد لمسوا تأثير هذا الخطاب في مسيرة أهل البيت (عليهم السلام)، على هيئة أسرى من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام.

ص: ٢٣

الإمام زين العابدين يقيم أول مجلس عزاء للحسين (ع) عند مدخل المدينة:

روى بشير بن حذلم وقال: (لَمَّا قَرَبْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حَطَّ عَلَيَّ بَنُ الْحُسَيْنِ رَحْلَهُ وَضَرَبَ فَسْطَاطَهُ وَأَنْزَلَ نِسَاءَهُ وَقَالَ: يَا بَشِيرَ رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ لَقَدْ كَانَ شَاعِرًا فَهَلْ تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) إِنِّي شَاعِرٌ، فَقَالَ (ع): ادْخُلِ الْمَدِينَةَ وَانْعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ بَشِيرٌ: فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَرَكُضْتُ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ مَسْجِدَ النَّبِيِّ (ص) رَفَعْتُ صَوْتِي بِالْبُكَاءِ وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:

قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَدْمَعِي مِدْرَارُ

يَا أَهْلَ يَثْرَبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ بِهَا

وَالرَّأْسُ مِنْهُ عَلَى الْقَنَاءِ يَدَارُ

الْجِسْمُ مِنْهُ بِكَرْبَلَاءَ مُضَرَّجٌ

قال: ثم قلت: هذا على بن الحسين (ع) مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه.

قال: فلم يبق في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهن، وهنّ بين باكيّة ونائحة ولاطمّة، فلم ير يوم أمرّ على أهل المدينة منه، وسأله: من أنت؟ قال: فقلت: أنا بشير بن حذلم، وجّهني على بن الحسين، وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله ونسائه.

قال: فتركوني مكاني وبادروني، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي، وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط، وكان عليّ بن الحسين داخلًا فخرج ويده

ص: ٢٤

خرقةً يمسح بها دموعه وخادم معه كرسيّ، فوضعه وجلس وهو مغلوب على لوعته، فعزّاه الناس، فأوما إليهم أن اسكتوا، فسكنت فورتهم فقال:

الحمد لله ربّ العالمين مالك يوم الدين بارء الخلاق أجمعين، الذي بُعدَ فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الأمور وفجائع الدهور وجليل الرزء وعظيم المصائب.

أيّها القوم إنّ الله وله الحمد ابتلانا بمصيبة جلييلة وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله وعترته، وسبى نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، أيّها الناس فأىّ رجالات يسرون بعد قتله؟ أيّة عين تحبس دمعها وتضنّ عن إنهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار والسماوات والأرض والأشجار والحيتان والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون.

أيّها الناس أىّ قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أىّ فؤاد لا يحنّ إليه؟ أم أىّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلم في الإسلام؟

أيّها الناس أصبحنا مطرودين، مشرّدين، مذودين، شاسعين، كأنّا أولاد ترك أو كابل من غير جرم اجترمانه، ولا مكروه ارتكبناه. ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين. إنّ هذا إلا اختلاق، والله لو أنّ النبيّ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاء بنا، لما زادوا على ما فعلوه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون(١٣).

إضطهاد وارث كربلاء

لقد كان عليّ بن الحسين زين العابدين (ع) وارث عاشوراء حقاً، وكان يحمل تراث عاشوراء، وينشره أينما يحلّ ... فقد كان شاهد عاشوراء ووارثه وحامل خطابه.

ص: ٢٥

ولذلك كان يخافه بنو أمية على ملكهم وسلطانهم ويرصدونه، ويتحينون الفرص به للقضاء عليه وأهل بيته وشيعته، لتخلو الساحة لبنى أمية من المعارضة الشيعية العلوية.

وكان علي بن الحسين (ع) يعي كل ذلك، ويحرص ألا يعطى لبنى أمية هذه الفرصة في السنوات الثلاث الأولى، على الأقل، من عودته إلى المدينة.

فآثر (ع) في أول وهلة من عودته من الشام إلى المدينة أن يغيب عنها، ويسكن البادية، ويتبعد عن الناس، ليأمن بنو أمية جانبه، وليرسخ في نفوسهم أن الإمام قد اعتزل (الحضر) و (السياسة) و (المعارضة) ولم يعد الإمام تهديداً فعلياً لحكومة بنى أمية.

يروى ابن أبي قرّة في (المزار) عن الإمام الباقر (ع)، قال: كان أبي علي بن الحسين (ع) قد اتخذ منزله بعد مقتل أبيه الحسين (ع) بيتاً من شعر، خارج المدينة، كراهية لمخالطة الناس.

وكان يسير في مقامه من البادية إلى العراق، زائراً لأبيه وجده (عليهما السلام)، ولا يشعر بذلك من فعله ١٤.

لقد أبعدت هذه السياسة أنظار بنى أمية فعلاً عن الإمام زين العابدين، وأمنوا جانبه، وحفظ الإمام (ع) بذلك نفسه وأهله وشيعته من بطش بنى أمية برهة من الزمان.

ص: ٢٦

ولقد كانت تلك البرهة، بعد مصرع الحسين (ع) فترة صعبة من أصعب ما مرّ على أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، وأيّ موقف انفعالي في هذه الفترة كان كافياً لاستئصال أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم على يد جلاوزة بنى أمية.

ولم يكن لأهل البيت (عليهم السلام) أنصار في تلك الفترة الصعبة في الحرمين الشريفين، يقفون معهم وينصرونهم ... وعن هذه الغربة والانفراد في الحجاز، يقول زين العابدين (ع)، كما في رواية ابن أبي الحديد (ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا) ١٥.

موقف الإمام (ع) من ثورة أهل المدينة (الحرّة):

١٤ راجع فرحة الغرى لابن طاووس: ٤٣. الإمام زين العابدين للسيد عبد الرزاق المقرم: ٤٢. جهاد الإمام السجاد زين العابدين (ع) للسيد محمد رضا الجلالى: ٦٧.

١٥ شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة: ٤ / ١٤٠.

ونقطة أخرى تلفت النظر في سيرة الإمام زين العابدين (ع) في هذه الفترة، فهي أن الإمام (ع) لم يشترك في ثورة أهل المدينة المسلحة على بنى أمية، لأن الإمام كان يعلم مآل هذه الثورة من انتهاك حرمة حرم رسول الله (ص)، والمذابح الواسعة التي جرت على يد مسلم (مسرف) بن عقبة (لعنه الله) للصحابة وأبناء الصحابة والتابعين، وانتهاك حرمت النساء في مدينة رسول الله (ص)، ولأن هذه الثورة كان ينقصها التخطيط، ولم يكن قادة الثورة قد خططوا لهذه الثورة وأعدوا لها عدتها بصورة عقلانية.

ولسبب آخر يعادل كل الأسباب المتقدمة، وهو أن الإمام كان لا يريد أن يعطى لبنى أمية ذريعة لقتله وتصفية من تبقى من شيعته وأهله بعد كربلاء... ولا يمنحهم الفرصة التي كانوا يطلبونها للانقضاض على المعارضة الشيعية وإمامهم على بن الحسين (ع).

ص: ٢٧

ملاحظات على ثورة المدينة:

نحن عندما نقرأ في التاريخ ثورة أهل المدينة على يزيد بن معاوية نستوقفنا ملاحظات جديرة بالتوقف. لا يسعنا دراستها في هذا الموضوع من البحث وإنما نشير إليها ونتجاوزها.

لم يكن يخفى على الثائرين في المدينة أن يزيد بن معاوية لا يقف موقف المتفرج عن إعلان أهل المدينة للانفصال عن حكومة الشام، بعد أن طردوا عامله على المدينة، وأنه سوف يبعث إليهم بجيش من الشام، لا يطيقون مقاومته.

وكان من المعقول جداً أن يفكر الثائرون في المدينة بالاتصال بالأقطار الإسلامية الأخرى ليزودهم بالرجال والمقاتلين والمال كما فعل الحسين (ع) في خروجه على يزيد، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك. وكان واضحاً لمن يتابع سير الأحداث يومئذ في المدينة ... أن الثائرين سوف يعرضون مدينة رسول الله (ص) وحرمة وقبره وأهل المدينة ومن بقي من صحابة رسول الله (ص) وأبناء الصحابة التابعين لفتك ذريع واسع من قبل جيش الشام الذي يقوده (مسرف) بن عقبة، وكان الأمر كذلك.

ونحن نحتمل أن عبد الله بن الزبير كان وراء هذه الواقعة فقد بعث أخاه منذر بن الزبير إلى المدينة ليحرّض أهل المدينة على خلع يزيد وطرد عامله ١٦.

يقول المسعودي في مروج الذهب: (إن حركة أهل المدينة وأخراجهم بنى أمية وعامل يزيد من المدينة كان عن إذن ابن الزبير) ١٧.

ويقول ابن الأعمش في الفتوح: (... إن أهل المدينة لما بلغهم مبايعة الناس لابن الزبير في مكة والطائف وسائر مدن الحجاز، أخرجوا عامل يزيد من

ص: ٢٨

المدينة وبايعوا عبد الله بن الزبير، وبلغ ذلك ابن الزبير، فأرسل إلى عبد الله بن حنظلة الغسيل (فولاه المدينة) ١٨. ومهما يكن من أمر فلم يصب عبد الله بن الزبير في إشعال نار الحرب في مكة وتعريض الحرم المكي الشريف لانتهاكات جيش الشام، كما حدث، ولم يصب الثائرون في المدينة في تعريض مدينة رسول الله (ص) للانتهاك الواسع الذي قام به جيش الشام بقيادة (مسرف) بن عقبة في الحرم النبوي الشريف في المدينة.

كما لم يصيبوا في إعلان الخروج على يزيد من غير الإعداد الكامل لهذه المعركة غير متكافئة بين الثائرين من أهل المدينة وجيش الشام، وبين ابن الزبير وأصحابه في مكة وجيش الشام.

ولا نعلم كيف خفي هذه المدّة الطويلة فجور يزيد وفسقه وإعلانه على أهل المدينة، حتى رجع وفدهم من الشام من عند يزيد، فقالوا: (قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطناير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الخراب، فخلعوه من الخلافة) ١٩.

وكان عبد الله بن حنظلة الغسيل يقول: (جئتم من عند رجل لو لم أجد إلا بنى هؤلاء لجاهدته بهم) ٢٠.

ويقول: (ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرْمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمّهات الأولاد والبنات، والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة) ٢١.

١٧ مروج الذهب: ٣ / ٧٨.

١٨ الفتوح لابن الأعمش: ٥ / ١٥٦ - ١٥٧.

١٩ الكامل لابن الأثير: ٤ / ١٠٣.

٢٠ الكامل في التاريخ: ٤ / ١٠٣.

وكان الإمام الحسين (ع) قد كشف للمسلمين يزيد بن معاوية وفساده وفجوره منذ حياة أبيه معاوية عندما كان يسعى معاوية ليأخذ البيعة من المسلمين ليزيد في حياته ٢٢.

روى ابن قتيبة الدينوري وغيره: لما قدم معاوية المدينة حاجاً، وأخذ البيعة ليزيد، وخطب ومدح يزيد، ووصفه بالعلم بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب. قام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: أما بعد: فلن يؤدى القائل - وإن أطنب - فى صفة الرسول (ص) من الجميع جزءاً، هيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجزت حتى جاوزت، ما بذلت لذى حق من أتم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمل. فهتمت ما ذكرته عن يزيد من إكتماله وسياسته لأمة محمد (ص)، تريد أن توهم الناس فى يزيد، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيّه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهاشئة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهنّ، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاحى، تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر مما أنت لاقية، فوالله ما برحت تقدّم باطلاً فى جور، وحنقاً فى ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدّم على عمل محفوظ فى يوم مشهود، ولات حين مناص (٢٣).

وقد كان حريّاً بأهل الحرمين الشريفين أن يقفوا مع ابن رسول الله (ص) حين أعلن الخروج على يزيد، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك حتى استشهد

الحسين (ع) بكر بلاء بتلك الصورة المفجعة ... ولا نجد فى خطاب الثائرين يومئذ فى المدينة ذكراً للحسين (ع)، ومصرعه ومصرع أهل بيته وأنصاره الذين سبقوهم للخروج على يزيد.

٢١ تاريخ الخلفاء: ٢٠٩.

٢٢ راجع الاحتجاج للطبرسى فى رسالة الإمام الحسين (ع) إلى معاوية فى التسقيط بيزيد.

٢٣ الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/ ١٥٣ (١٦٠) (٢٠٨). جمهرة الخطب: ٢/ ٢٤٢. الغدير: ١٠/ ١٦١ - ١٦٣ تاريخ يعقوبى: ٢/ ٢٢٨ وأعيان الشيعة: ١/ ٥٨٣ والنصائح الكافية: ٦٩.

وهذه وغيرها نقاط غامضة فى ثورة أهل المدينة تحتاج إلى إجابة وبيان.

ومهما يكن من أمر، فقد كان من رأى الإمام زين العابدين (ع) ألا يدخل فى هذه المواجهة المسلّحة لجيش الشام، وأن ينأى بنفسه وأهل بيته وشيعته عن هذه القضية، فهو يعلم أن بنى أمية كانوا يبحثون عن ذريعة يتمسكون بها للقضاء على بقيّة السيف من آل محمد (ص) وشيعتهم، ليتاح لهم القضاء الكامل على المعارضة العلوية بعد وقعة الطف.

وكان على بن الحسين (ع) يحرص ألا يعطى هو وأهل بيته وشيعته هذه الفرصة ليزيد، حتى تأتى الفرصة المناسبة للحركة الثقافية والسياسية الواسعة لأهل البيت بين المسلمين.

يقول الشيخ المفيد (رحمه الله) قدم (مسرف) بن عقبة المدينة، وكان يقال: (إنه لا يريد غير على بن الحسين) ٢٤.

ويقول المسعودي: نظر الناس إلى على بن الحسين السجاد، وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتى به إلى مسرف، وهو معتاض عليه، فغضب منه ومن آباءه، فلمّا رآه وقد أشرف عليه ارتعد، وقام له، وأقعه إلى جانبه، وقال له: سلنى حوائجك، فلم يسأله فى أحد ممن قدم إلى السيف إلا شفعه فيه، ثم انصرف عنه. فقليل لعل: رأيناك تحرك شفتيك، فما الذى قلت؟ قال: قلت: اللهم ربّ السماوات السبع وما أظللن، والأرضين وما أقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمد وآله

ص: ٣١

الطاهرين، أعوذ بك من شرّه، وأدرك بك فى نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شرّه. وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلمّا أتى به إليك رفعت منزلته؟! فقال: ما كان ذلك لرأى منى، لقد ملئ قلبى منه رعباً) ٢٥.

الإمام السجاد (ع) فى ظروف الاضطهاد الأموى:

واستمر بنو أمية وعمّالهم يبتون عيونهم حول على بن الحسين (ع) ليجدوا فرصة مناسبة وذريعة للقضاء عليه بعد واقعة الطف حتى سنتين أو ثلاث بعد هلاك يزيد، ولكن الإمام (ع)، كان يعي حساسية الظروف السياسية يومئذ بعد مصرع الإمام الحسين (ع) ويفوت عليهم الفرصة التى كانوا يتمنونها حتى تغيّرت الظروف السياسية ووجد الإمام (ع) أن الظروف مواتٍ للعمل والحركة السياسية والثقافية، فتغيّرت سياسة الإمام (ع) عندئذ.

٢٤ مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ٣٦٩ / ٤ جامع أحاديث الشيعة: ١٥ / ٢٠٦ والإرشاد للمفيد: ٢٩٢.

٢٥ مروج الذهب للمسعودي: ٧٠ / ٣ ..

يقول إسماعيل بن عليّ أبو سهل النونجتيّ عن فترة الاضطهاد السياسيّ هذه: (وقتل الحسين (ع) وخلف عليّ بن الحسين ثمّ انقبض عنه الناس فلم يلق أحدًا، ولا كان يلقاه إلا خواصّ أصحابه. وكان في نهاية العبادّة، ولم يخرج عنه من العلم إلا يسير، لصعوبة الزمان وجور بني أميّة) ٢٦.

أجل كان الإمام (ع) يعتزل الناس وينأى بنفسه عن عيون بني أميّة، ولذلك لم يكن يتصل به أحد خلال هذه الفترة، إلا القليل من خواصّه، ولهذا السبب لم يخرج عنه من العلم إلا اليسير، حتى إذا تجاوز ظروف الفتنة أخذ منه الناس علماً كثيراً جمّاً، وكان له مجلس في مسجد رسول الله (ص) يعظ الناس معه فيه ٢٧.

ص: ٣٢

ورغم كلّ هذه الحيطة والحذر من جانب الإمام زين العابدين (ع) كان بنو أميّة وعمّالهم يسعون ويعملون للقضاء على زين العابدين (ع) بأيّة ذريعة ممكنة. وقد قرأنا قريباً كيف همّ (مسرف) بن عقبة أن يقتل الإمام (ع) لولا أن الله حفظه من بطش هذا المسرف.

روى الراونديّ في كتابه (الخراج والخراج): أن الحجّاج بن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان: (إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل عليّ بن الحسين (ع)) ٢٨.

وأمر عبد الملك عامله على المدينة بإحضار الإمام (ع) إليه في الشام، فأثقل الإمام بالحديد، ووكل به حُفَظاً يحفظونه ليدخلوه على عبد الملك في الشام.

لقد كان الإمام يعلم بهذا الاستهداف، ويعرف نيّة بني أميّة تجاهه وتجاه شيعته علم اليقين، ويسعى بكلّ جهده لتفويت هذه الفرصة على بني أميّة.

أجل لم يشترك الإمام (ع) في ثورة أهل المدينة، ولكنه بذل ما في وسعه لحماية من تمكّن من حمايتهم من النساء والأطفال والرواة أيام ثورة أهل المدينة على يزيد.. وقد ذكر المؤرّخون: أن الإمام (ع) آوى زهاء أربعمئة من النساء والأطفال والرجال وحماهم من فتك بني أميّة.

٢٦ جهاد الإمام السجّاد (ع) للجلالي: ٦٤ عن إكمال الدين للصدوق: ٩١.

٢٧ الكافي للكليني: ٨ / ٧٢ وتحف العقول: ٢٤٩ وجهاد الإمام السجّاد للجلالي: ١٦٠.

٢٨ بحار الأنوار: ٢٨ / ٤٦، ح ١٩. والخراج والخراج: ٢٥٧.

وفى هذه الظروف أرسل المختار الثقفى (رحمه الله) إليه (ع) برؤوس قتلة الحسين (ع) وأولاده وأصحابه، فسُرَّ الإمام (ع) بذلك وخرَّ ساجداً لله ودعا له، وجزَّاه خيراً ٢٩.

واحتفل أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الانتقام الإلهيِّ العاجل من قتلة الحسين (ع) وأنصاره.

ص: ٣٣

وقد ورد عن الإمام الصادق (ع): (ما اختضبت هاشميَّة، ولا إدّهنت، ولا دخل مروود فى عين هاشميَّة حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد) ٣٠.

ومع أن الإمام (ع) دعا للمختار وجزَّاه الخير، لم يقبل منه ما أرسله إليه من الهدايا.

وكان يقول (ع) لمحمّد بن الحنفية: (يا عمّ، لو أن عبداً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر، فاصنع) ٣١.

ص: ٣٤

ب- سياسة المقاطعة والمعارضة لحكّام بنى أمية

سياسة المقاطعة والمعارضة لحكّام بنى أمية وعمّالهم كانت من الثوابت السياسيّة لعلى بن الحسين زين العابدين (ع)، ولا نعرف فى حياته وسيرته أنه عدل عن هذه السياسة فى وقت من الأوقات، حتى فى الأيام الأوائل من عودته من الشام إلى المدينة، حيث كان يسعى للتغيب عن مجتمع المدينة لم يتخلَّ عن هذه السياسة.

ولم يكن من رأى الإمام (ع) أن المبررات التى تبرّر عدم التصدّي للمقاومة المسلّحة تبرّر السكوت عن المعارضة والمقاطعة لحكومة بنى أمية.

٢٩ تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٥٩، دار صادر- بيروت.

٣٠ بحار الأنوار ٤٥ / ٣٨٠.

٣١ جهاد الإمام السّجاد: ص ٢٨٥، نقلًا عن المختار الثقفى للشيخ أحمد الدجيلي: ٥٩.

مع عبد الملك بن مروان:

وكان يعلن هذه المعارضة إعلاناً للناس، ويريد أن يظهر للناس أنه لا يعترف لهذا النظام بشرعية واحترام.

روى المجلسي عن الخرائج والجرائح عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: (كان عبد الملك يطوف بالبيت، وعلى بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه. فقال: من هذا الذي يطوف بين أيدينا، ولا يلتفت إلينا؟ فقيل: هذا علي بن الحسين (ع)، فجلس مكانه، وقال ردّوه إليّ. فقال له: يا علي بن الحسين! إنني لست قاتل أبيك، فما يمنعك من المصير إليّ؟ فقال علي بن الحسين (ع): (إن قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون هو، فكن!)

ص: ٣٥

وكانما استشعر الإمام من كلمة عبد الملك تهديداً له، فأجابه بهذا الجواب فإن أحببت أن تكون هو فكن (٣٢).

وروى المجلسي في البحار عن البرقي في (المحاسن) قال: (بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله (ص) عنده - زين العابدين (ع) -، فبعث يستوهبه منه ويسأله الحاجة، فأبى عليه.

فكتب إليه عبد الملك يهدّده وأنه يقطع رزقه من بيت المال، فأجابه (ع):

(أما بعد فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون. وقال جلّ ذكره:

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ. [الحج: ٣٨].

فانظر أيّنا أولى بهذه الآية) ٣٣ ..

يقول شهاب الزهري: (شهدت علي بن الحسين يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأثقله حديداً ووكل به حفاظاً في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له، فأذنوا لي فدخلت عليه، وهو في قبة والأقياد في رجليه والغل في يديه، فبكيت وقلت وددت أني مكانك وأنت سالم.

٣٢ بحار الأنوار: ٤٦ / ١٢٠ - ١٢١.

٣٣ بحار الأنوار: ٤٦ / ٩٥. والمناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٣٠٢.

فقال يا زهرى! أتظنّ أنّ هذا مما ترى علىّ وفى عنقى يكربنى؟ أما لو شئتُ ما كان، فإنّه وإن بلغ منك وبأمثالك، ليذكرنى عذاب الله، ثمّ أخرج يديه من الغل ورجليه من القيد، ثمّ قال يا زهرى لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة.

قال فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكّلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لى بعضهم: إنّنا لنراه متبوعاً إنّهُ لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديدة.

قال الزهرى: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألنى عن علىّ ابن الحسين فأخبرته.

ص: ٣٦

فقال لى: إنّهُ قد جاءنى فى يوم فَقَّده الأعوان فدخل علىّ فقال ما أنا وأنت؟

فقلت: أقم عندى.

فقال: لا أحبّ.

ثمّ خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبى منه خيفةً.

قال الزهرى: فقلت يا أمير المؤمنين! ليس علىّ بن الحسين حيث تظنّ، إنّهُ مشغول بنفسه. فقال: حبّذا شغل مثله، فنعم ما شغل به) ٣٤.

قال وكان الزهرى إذا ذكر علىّ بن الحسين يبكى ويقول زين العابدين ٣٥.

ثمّ يقول ابن حجر: (ومن ثمّ كتب عبد الملك للحجاج أن يجتنب دماء بنى عبد المطلب وأمره بكتّم ذلك، فكوشف به زين العابدين، فكتب: إليه إنّك كتبت للحجاج، يوم كذا، سرّاً به إليه، فلمّا وقف عليه وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه للحجاج،

٣٤ حليّة الأولياء لأبى نعيم الأصبهاني: ٥٨٣ / ٢ ط دار الكتاب العربى بيروت. وتاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٧٢ / ٤١ بحواشى المحقّق على شيرى، وابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق: ٢٣٤ / ١٧. والصواعق المحرقة لابن حجر: ٥٨٣ / ٢ ط ١٩٧٧، بيروت. ومناقب ابن شهر آشوب: ١٣٢ / ٤ وكشف الغمّة: ٢٨٨ / ٢ ومدينة المعاجز: ٣٠٨ والنائب فى المناقب لابن حمزة الطوسى: ٣٥٣ - ٣٥٤.

ووجد مخرج الغلام موافقا لمخرج رسوله للحجاج، فعلم أن زين العابدين كوشف بأمره، فسر به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة، وسأله ألا يخليه من صالح دعائه(٣٦).

الدعاء على الظالمين:

وكان (ع) يصوغ نغمته على الظالمين، وإعلانه لرفضهم على هيئة الدعاء.

ص: ٣٧

ومنه هذا الدعاء الذي يرويه السيّد عليّ بن طاووس في الإقبال، وهو من أدعية الصحيفة السجّادية الخامسة:

(اللهم إن الظلمة جحدوا حقّك، وكفروا بكتابك، وكذبوا رسلك، واستنكفوا عن عبادتك، ورغبوا عن ملّة خليلك، وبدّلوا ما جاء به رسولك، وشرعوا غير دينك، واقتدوا بغير هداك، واستنّوا بغير سنّتك، وتعدّوا حدودك، وسعوا معاجزين في آياتك، وتعاونوا على إطفاء نورك ...) إلى آخر الدعاء.

التحذير عن التعاون مع الظالمين:

كان (ع) يحذّر علماء عصره من التعاون مع الظالمين والدخول في أعمالهم وولايتهم، ويقول:

(العامل بالظلم، والمعين له، والراضى به، شركاء ثلاثة)(٣٧).

هؤلاء الثلاثة شركاء للظالم في كلّ ما يتحمّل الظالم من مسؤوليّات الظلم ... وقد ورد هذا المعنى في زيارة الحسين (ع) المعروفة ب- (وارث): (لعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن أمة سمعت بذلك فرضيت به).

لقد استحقّت الأمة الأولى اللعن بقتل سيّد الشهداء (ع).

ولم تمارس الأمة النائية والثالثة (قتلاً ولا ظلماً) وإنّما استحقّت اللعن بالسكوت عن الظلم والرضا بالظلم.

خطب الإمام الحسين (ع) بمنزل البيضة في طريقه إلى كربلاء، فقال:

(أيّها الناس، إن رسول الله (ص) قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله ناكثاً

٣٦ الصواعق المحرقة لابن حجر: ٢/ ٥٨٣ ط ١٩٩٧ بيروت.

٣٧ بلاغة عليّ بن الحسين (ع) للحائري، ص ٢٢٤.

لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله (٣٨).

ومما روى عنه (ع) في صحبة الظالمين والفاسقين:

(لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم، إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم، ولا اصطحب اثنان على غير طاعة الله، إلا أوشك أن يترفقا على غير طاعة الله) (٣٩).

وهي كلمة ذات شعبتين:

في الشطر الأول منها يشير الإمام إلى الذين يمدحون أرباب المال والسلطة من غير علم، وبما لا يعلمون تزلفاً إليهم، فيذكّرهم الإمام (ع) بأن هذا التزلف سرعان ما يتحول إلى تباعد وتنافر، فيقولون فيهم يومئذٍ من الشر ما لا يعلمون، كما كانوا يقولون فيهم من قبل من الخير ما لا يعلمون.

وفي الشطر الثاني من الكلمة، ينذر الإمام الذين يصاحبون الظلمة والفاسقين بأنهم كما اجتمعوا على معصية الله، فسوف يفترقون على معصية الله.

وكان (ع) يقول:

(وإياكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم، واعلموا أنه من خالف أولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبدّ بأمره دون ولي الله، كان في نار تلتهب) (٤٠).

٣٨ بحار الأنوار: ٣٨٢ / ٤٤ والعوالم مجلد الإمام الحسين: ٢٣٣ ط ١٤٠٧ مدرسة الإمام المهدي والفتوح لابن أعثم الكوفي: ٨١ / ٥.

٣٩ تهذيب الكمال للمزي: ٢٠ / ٢٩٨ وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري: ١ / ٣٨٨.

٤٠ روضة الكافي: ١٣٨ وتحف العقول: ٦٧.

كان محمد بن مسلم الزهريّ من أبرز علماء البلاط الأمويّ في وقته، خدم بنى أميّة طويلاً، وكان من أعوانهم، والذين يوطئون لهم الحكم.

قال ابن خلكان في ترجمته من وفيات الأعيان: (ولم يزل مع عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، واستقضاه يزيد بن عبد الملك) ٤١.

وقال ابن حجر: (أمره هشام أن يملى على أولاده أحاديث، فأملى لهم أربعمئة حديث) ٤٢.

وقال ابن الحديد: (كان الزهريّ من المنحرفين عن عليّ (ع)).

وروى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبه، قال: (شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهريّ، وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليّاً (ع)، فنالا منه، فبلغ ذلك عليّ بن الحسين (ع)، فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أمّا أنت يا عروة فإنّ أبى حاكم أباك إلى الله، فحكم لأبى عليّ أبيك. وأنت يا زهريّ، فلو كنت بمكة لأريتك كبر أبيك) ٤٣..

وروى الذهبيّ في ترجمة خارجة بن مصعب، قال: (قدمت على الزهريّ، وهو صاحب شرطة بنى أميّة، فرأيتة يركب، وفي يده حرب، وبين يديه الناس .. فقلت: قبح الله ذا من عالم، فلم أسمع منه) ٤٤..

يقول ابن خلكان: (ولم يزل مع عبد الملك وأولاده هشام وسليمان ويزيد. وقد استقضاه الأخير) ٤٥.

ص: ٤٠

وقيل ليحيى بن معين: (الأعمش خير أم الزهريّ؟ فقال: برئت منه ان كان مثل الزهريّ، إنّ كان يعمل لبني أميّة، والأعمش بجانب للسلطان ورع) ٤٦.

٤١ الإمام زين العابدين للسيد عبد الرزاق المقرّم: ١٥٥، نقلًا عن وفيات الأعيان لابن خلكان.

٤٢ تهذيب التهذيب: ٩ / ٤٤٥.

٤٣ شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠٢ / ٤.

٤٤ ميزان الاعتدال للذهبي: ١ / ٦٢٥.

٤٥ وفيات الأعيان: ٣ / ٣٧١.

٤٦ معرفة علوم الحديث للحاكم: ٤٥.

رسالة الإمام (ع) إلى محمد بن مسلم الزهري^{٤٧}:

روى ابن شعبة الحرّاني في تحف العقول: إن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (ع) كتب إلى محمد بن مسلم الزهري:

(كفانا الله وإياك من الفتن، ورحمك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك، فقد أثقلتك نعم الله بما أصحّ من بدنك، وأطال من عمرك، وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابه، وفقّهك من دينه، وعرفك من سنّة نبيّه محمد (ص)، فرضى لك - في كلّ نعمة أنعم بها عليك، وفي كلّ حجة احتج بها عليك - الفرض بما قضى، فما قضى إلا ابتلى شكرك في ذلك،

ص: ٤١

وأبدى فيه فضله عليك، فقال: لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد. [إبراهيم: ٧].

فانظر: أيّ رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله! فيسألك عن نعمه عليك، كيف رعيته؟ وعن حججه عليك، كيف قضيتها؟

ولا تحسبن الله قابلاً منك بالتعذير، ولا راضياً منك بالتقصير! هيهات هيهات، ليس كذلك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ. [آل عمران / ١٨٧].

واعلم أن أدنى ما كتمت، وأخفّ ما احتملت أن آنست وحشة الظالم، وسهّلت له طريق الغيّ بدنوك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت. فما أخوفني أن تبوء بإثمك غداً مع الخونة، وأن تُسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة.

إنّك أخذت ما ليس لك ممّن أعطاك، ودنوت ممن لم يردّ على أحد حقّاً، ولم ترد باطلاً حين أدناك، وأحببت من حادّ الله.

^{٤٧} الزهري هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري من الفقهاء والحفاظ التابعين، عمل في بلاط بني أمية. وكان منحرفاً عن أمير المؤمنين (ع) ويداري بني أمية في إخفاء فضائل أمير المؤمنين (ع).

قال ابن الأثير في (اسد الغابة) ١ / ٣٠٨:

روى أبو أحمد العسكري باسناده عن عمّار بن يزيد عن عبد الله بن العلاء عن الزهري، قال: سمعت سعيد بن جناب يحدث عن أبي عفوانة المازني، قال سمعت أبا جندبة جندع بن عمرو بن مازن، قال: سمعت النبي (ص) يقول: من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. وسمعت، وإلا صمّتا يقول، وقد انصرف من حجة الوداع، فلمّا نزل غدير خم قام في الناس خطيباً وأخذ بيد عليّ وقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه. قال عبيد الله: فقلت للزهري: إلا تحدّث بهذا بالشام وأنت تسمع ملء أذنيك سب عليّ فقال: والله إنّ عندي من فضائل عليّ ما لو تحدّثت بها لقتلت).

أوليس بدعائه إيتاك، حين دعاك، جعلوك قطباً أداروا بك رحي مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلماً إلى ضلالتهم. داعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم، يُدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم؟

فلم يبلغ أخصّ وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم. فما أقلّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمّروا لك في جنب ما خربوا عليك. فانظر لنفسك، فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول.

وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً؟ فما أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه: فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا [الأعراف: ١٦٩].

ص: ٤٢

إنك لست في دار مقام، أنت في دار آذنت برحيل، فما بقاء المرء بعد قرنائه؟

طوبى لمن كان في الدنيا على وجل. يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده. إحذر فقد نُبِّئت، وبادر فقد اجلّت.

إنك تعامل من لا يجهل، وإن الذي يحفظ عليك لا يغفل. تجهّز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم شديد. ولا تحسب أنّي أردت توبيخك وتعنيفك وتعيرك، لكنني أردت أن ينعم الله ما فات من رأيك، ويردّ إليك ما عذب من دينك، وذكرت قول الله تعالى في كتابه: وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ [الذاريات: ٥٥].

أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأفرانك، وبقيت بعدهم كفرن أعضب.

انظر: هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به؟ أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه؟ أم هل تراهم ذكرت خيراً أهملوه، وعلمت شيئاً جهلوه؟ بل حظيت بما حلّ من حالك في صدور العامة، وكلفهم بك، إذ صاروا يقتدون برأيك، ويعملون بأمرك، إن أحللت أحلّوا، وإن حرّمت حرّموا، وليس ذلك عندك، ولكن أظهرهم عليك رغبتهم فيما لديك ذهاب علمائهم، وغلبة الجهل عليك وعليهم، وحبّ الرئاسة، وطلب الدنيا منك ومنهم.

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرّة؟ وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟ قد ابتليتهم، وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا، فتاقت نفوسهم إلى أن يبلغوا من العلم ما بلغت، أو يدركوا به مثل الذي أدركت، فوقعوا منك في بحر لا يدرك عمقه، وفي بلاء لا يقدر قدره. فإله لنا ولك، وهو المستعان.

أما بعد: فأعرض عن كلِّ ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسماهم، لاصقةً بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، ولا تفتنهم الدنيا، ولا يفتنون بها.

ص: ٤٣

رغبوا فطلبوا، فما لبثوا أن لحقوا. فإن كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ، مع كبر سنِّك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك، فكيف يسلم الحدث في سنِّه، الجاهل في علمه، المأفون في رأيه، المدخول في عقله؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

على من المعول؟ وعند من المستعتب؟ نشكو إلى الله بثنا، وما نرى فيك، ونحتسب عند الله مصيبتنا بك.

فانظر: كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وكيف إعظامك لمن جعلك بدينه في الناس جميلاً، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيراً، وكيف قربك أو بعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً ذليلاً؟

ما لك لا تنتبه من نعستك؟ وتستقيل من عثرتك؟ فتقول: والله ما قمتُ لله مقاماً واحداً أحبيتُ به له ديناً، أو أمتُ له فيه باطلاً، فهذا شكرك من استحملك؟! ما أخوفني أن تكون كما قال الله تعالى في كتابه: أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا [مريم: ٥٩].

استحملك كتابه، واستودعك علمه، فأضعتهما! فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به. والسلام) ٤٨.

حوار مع الزهري:

وروى أن الزهري قال لعلی بن الحسین (ع): (كان معاوية يسكته الحلم، وينطقه العلم.. فقال (ع): كذبت يا زهري، كان يسكته الحصر، وينطقه البطر) ٤٩.

ص: ٤٤

حوار الإمام مع عباد البصري:

وفي طريق الحجّ يلقي عباد البصري الإمام زين العابدين (ع) وهو مقبل على الحجّ على طريق مكّة، فيقول للإمام: تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحجّ ولينه؟ ثمّ قرأ عبّاد قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

٤٨ تحف العقول: ٢٧٤ - ٢٧٧.

٤٩ الاعتصام للقاسم بن محمّد بن عليّ الزيدى، ط عمان، ١٤٠٣.

فقال له الإمام (ع): اقرأ بعدها: فقراً: التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [التوبة: ١٢].

فقال زين العابدين (ع): إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد شيئاً ٥٠.

والإمام (ع) يُعَرِّضُ بالقيادة الأموية الظالمة التي كانت تتصدى يومئذ للقيادة والخلافة في العالم الإسلامي ... ويقول لعباد البصري: إِنَّ القيادة الحاضرة المتصدية لا تصلح للإمامة والقيادة، ولا يجوز الركون إليها، لقوله تعالى: وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ [هود: ١١٣].

وكيف يصلح لإمامة المسلمين (رجل، فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن الفسق) ٥١.

(رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة) ٥٢.

ص: ٤٥

وعلى هذا النهج كان عليّ بن الحسين زين العابدين (ع) يُعَرِّضُ بخلفاء بني أمية الفاسدين ويطعن فيهم، وينفي صلاحيتهم لإمامة أمّة رسول الله (ص)، وينكر على المتعاونين معهم تعاونهم معهم وركونهم إليهم.

ص: ٤٦

٢- المحور التربويّ في إعداد الجماعة الصالحة

ص: ٤٧

٥٠ من لا يحضره الفقيه: ٢ / ١٤١ ومناقب آل أبي طالب: ٤ / ١٧٣.

٥١ مقتبس من كلمة الإمام الحسين (ع) في التعريف بيزيد. (إحقاق الحق) بشرح السيّد المرعشي: ٣٣ / ٦١٥ ولوائح الأشجان: ٢٥.

٥٢ مقتبس من كلمة عبد الله بن حنظلة الغسيل في التعريف بيزيد. تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٩.

كانت خلافة بنى أمية انتكاسة شديدة للمشروع الإسلامى فى ثلاثة مواقع:

١- فى المواقع القيادية للمجتمع الإسلامى الناشئ.

٢- فى القيم والأحكام التى جاء بها رسول الله (ص) من عند الله لهذه الأمة، وأحلّها محلّ القيم والأعراف والأنظمة الجاهليّة.

٣- فى بناء الأمة التى وضع رسول الله (ص) أسسها على هدى الوحي.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار فأن الفترة الزمنية التى تفصل بين وفاة رسول الله (ص) وقيام الحكومة الأموية أقل من نصف قرن، نعرف مدى فداحة الخسارة التى أصابت الكيان الربانى الذى أقامه رسول الله (ص) فى دنيا الناس.. وإليك تفصيل هذا الإيجاز.

المواريث النبوية الثلاثة:

لقد توفى رسول الله (ص) وخلف من بعده ثلاثة مواريث .. وكانت هذه المواريث الثلاثة كافية لإنقاذ البشرية كلّها من ظلمات الجاهلية.. وهذه الثلاثة هى:

١- ميراث المواقع القيادية الجديدة التى أحلّها رسول الله (ص) محلّ المواقع القيادية الجاهليّة.. فقد جاء الإسلام بانقلاب شامل فى المواقع القيادية، حيث وضع الإسلام اناساً كانوا فى قمة الهرم الاجتماعى فى الجاهلية، ورفع اناساً كانوا فى حضيض المجتمع الجاهلى من قبل.

وقد ثقل هذا التغيير فى المواقع القيادية على الناس، وكانوا يعاتبون فى ذلك رسول الله (ص).. ولكن رسول الله لم يكن يعبأ بهذا العتاب والتقد، ويعلم جيداً

أن الطبقة التي كانت تمارس الدور القيادي في المجتمع الجاهلي، لا تصلح أن تتولى نفس الدور في هذا المجتمع الناشئ الجديد الذي أقامه الله موضع المجتمع الجاهلي، وأن العقول التي اشربت بالأفكار والأعراف الجاهلية، وتكونت فيها، لا تستطيع أن تمارس دور القيادة في هذا المجتمع الناشئ الذي قام على أنقاض الحياة الجاهلية ...

وهناك علاقة وثيقة بين سلامة المواقع القيادية وسلامة الأمة، وسلامة القيم والأفكار والحدود التي تنظم حياة الأمة.

وينعكس أى فساد وانحراف في المواقع القيادية على الأمة مباشرة في ثقافتها، واستقامتها، ومقاومتها، وحصانتها، ورفضها للظلم والفساد، وكذلك ينعكس على التراث التشريعي والحضارة للأمة.

٢- ميراث القيم والحدود والأحكام الإلهية، وهو ميراث إلهي عظيم، جاء به رسول الله (ص) من عند الله وأحلّه محل التقاليد والأفكار والأعراف والأنظمة الجاهلية والقبلية ...

إن الحضارات تختلف وتتعدد باختلاف القيم والأعراف والأنظمة والأحكام ... فكان للمجتمع الجاهلي العربي أفكاره وأعرافه وأحكامه التي تخصه، وللحضارات اليونانية، والفارسية، والرومانية، والهندية، والمصرية يومذاك أحكامها وأعرافها ونظمها وقيمها الخاصة بها، إلا أن هذه الحضارات جميعاً عربية وغير عربية كانت تجمعها المقاييس والأصول الجاهلية في التفكير والتنظيم والتقييم.

وجاء رسول الله (ص) إلى البشرية بالإسلام، وهو نظام إلهي جديد على الناس، وقيمهم، ومعاييرهم في الحكم، وأنظمة حياتهم يومذاك، صادر من مصدر الوحي الإلهي، يتطابق مع فطرة الناس التي فطر الناس عليها، ويقع في امتداد الرسالات الإلهية السابقة عليه في خطّ تكاملي، يلغى في حياة الناس كل

ص: ٤٩

القيم والتنظيمات والأحكام الجاهلية، ويبني الفرد والمجتمع بناءً جديداً على أسس ومقاييس جديدة تماماً على أفكار الناس... وهذا ميراث (تشريعي) و (قيمي) و (عقائدي) عظيم، خلفه رسول الله (ص) من بعده في هذه الأمة.

ولحماية هذا الميراث الحضاري والتشريعي العظيم لا بد من وجود قيادة أمينة، مستوعبة لشريعة الله وأحكامه وقيم هذه الشريعة ومعاييرها في التنظيم والتقييم. .. وفي غير هذه الصورة إذا حدثت انتكاسة في المواقع القيادية في المجتمع، وتولّى قيادة الأمة الناشئة أناس من نفس الطبقة التي كانت تحكم المجتمع الجاهلي من قبل، فقد تكوّنت عقولهم ونفوسهم في

الحضارة الجاهلية ... فسوف يكون لهذه الانتكاسة تأثير كبير في تحريف دين الله وأحكامه وقيمه، ولعلّ اهتمام الإسلام بسلامة المواقع القيادية (الإمامة) في المجتمع لهذا السبب.

وقد طلب إبراهيم (ع) بعد أن امتحنه الله بالكلمات الصعبة، وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (البقرة: ١٢٤)، ورزقه الإمامة العامة في حياة الناس قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا [البقرة: ١٢٤] .. طلب إبراهيم (ع) من الله أن يجعل الإمامة في ذريته قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي [البقرة: ١٢٤].

فاستجاب الله تعالى لدعاء عبده وخليله إبراهيم، ولكن الله تعالى ذكره بأن عهده في الإمامة وقيادة الأمة، لا ينال الظالمين قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البقرة: ١٢٤]، ولن يكون الظالمون أهلاً لاستلام موقع الإمامة والقيادة في المجتمع الإسلامي.

٣- الأمة، وهي الكيان الحضاري المبارك الذي جعله الله أمة وسطاً، وأمة شاهدة على الناس، وحاملة للتوحيد، وقيمة على البشرية وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، [البقرة: ١٤٣].

ص: ٥٠

وبناء هذا الكيان هو كل عمل الأنبياء وجهدهم وجهادهم في التاريخ.

وهذه الأمة هي التي حملت كلمة التوحيد إلى أرجاء المعمورة، وحملت عن رسول الله (ص) تبليغ هذه الرسالة، وتحملت مسؤولية إزالة الاستكبار والشرك والكفر والفساد من وجه الأرض.

تلك هي الموارث الثلاثة الكبيرة التي أورها رسول الله (ص) أجيال المسلمين من أمته من بعده.

الانتكاسة:

إلا أن هذه الموارث العظيمة تعرضت لانتكاسة شديدة على يد بني أمية، منذ عهد معاوية، وتحولت القيادة الإسلامية إلى ملك عضوض، وفقدت مقوماتها الدينية، وتحولت إلى سلطة زمنية ظالمة، استخدمت لتحقيق أهدافها السياسية في بسط سلطانها ونفوذها بكل الوسائل الممكنة، ما حظرها الله على أصحاب السلطان وما لم يحظر، وحكم بنو أمية أتباعهم وأزلامهم في مرافق الدولة ومصالح المسلمين والولايات الإسلامية، بشكل واسع.

وصدقت في ذلك نبوءة أبي سفيان وغايته التي كان يسعى إليها.

يقول ابن عبد البر في الاستيعاب:

إن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: (قد صارت إليك بعد تيم وعدى، فأدرها كالكره، واجعل أوتادها بنى أمية، فإنما هو الملك ولا أدرى ما جنّة ولا نار.

ص: ٥١

٥٣

فصاح به عثمان: قم عنى فعل الله بك وفعل(٥٤).

ومرّ أبو سفيان بقبر حمزة (رض)، عندما صارت الخلافة إلى عثمان، فضربه برجله، وقال: (يا أبا عماره، إن الأمر الذى تجالдна عليه، أصبح بيد صبياننا)٥٥.

... وهكذا كان، فقد تمكن بنو أمية من بسط سلطانهم على كل أقاليم العالم الإسلامى، وتمكنوا من القضاء على أكثر خصومهم السياسىّين والفكرىّين، وقضوا بما نشروا فى الناس من الإفساد والإرهاب على حالات المقاومة والرفض والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الأمة.

فلا يحدّثنا التاريخ أن المجازر التى قام بها (مسرف) بن عقبة فى حرم رسول الله (ص) بالمدينة أحدثت ردود فعل بحجم الجريمة التى ارتكبها ابن معاوية فى الأوساط الإسلاميّة يومذاك. وهو أمر غريب، أن تحدث جريمة بهذه البشاعة والسعة فى حرم رسول الله (ص) فلا ينهض المسلمون للإنكار على بنى أمية، ولم تحدث ثورات وانتفاضات رافضة ومستنكرة لهذه الجريمة!

ويدخل الغناء والطرب فى صلب فريضة الحجّ، وفى منى، ويشغل حكام بنى أمية المسلمين عن حجّهم وعبادتهم باللّهو الذى حرّمه الله، ويتسابق المطربون والمطربات فى لىالى البيض فى منى إلى عرض كفاءاتهم ومهاراتهم الفنيّة فى فنون

٥٣ يوسفى غروى، محمد هادى، الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام، ١ جلد، مجمع جهانى اهل بيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: ١، ١٤٣٦ هـ.ق.

٥٤ الاستيعاب لابن عبد البر، بهامش الإصابه، مصر ١٣٢٨، ج ٤ / ٨٧: ثمّ قال ابن عبد البر: (وله أخبار) من نحو هذا رويت لم أذكرها، وفى بعضها ما يدل على أنه لم يكن إسلامه إسلاماً.

٥٥ شرح النهج لابن أبى الحديد: ١٦ / ١٣٦.

الغناء، ثمّ لا تجد من يستنكر ويشور وينتفض لهذا الانحراف الشديد عن فريضة الحجّ، وللخواء الذى أصاب الحجّ أيام بنى أميّة!

وكان عمر بن ربيعة شاعرهم ينتهك أعراض المسلمين ويتنزلّ بالنساء فى طواف الحجّ، فلا يستطيع أحد أن يناله بسوء، لموقعه من بنى أميّة وحمايتهم له!

ص: ٥٢

ويشرب الخليفة، ويسكر، ويرتاد قصره أصحاب المجون والخلاعة، ويمارس ألواناً من المجون، والخلاعة، والاستهتار، والسكر، والشرب وغير ذلك ممّا حرّمه الله، فلا ينكر ذلك عليه أحد غير أصوات معترضة محدودة هنا وهناك.

ويقوم بنو أميّة بتحريق الكعبة المشرفة وهدمها، ثمّ لا تجد لهذه الجريمة أصداء استنكار ورفض فى العالم الإسلامى ٥٦.

لقد كان للانحراف الذى حدث فى موقع القيادة فى هذه الأمة تأثير واسع على الأمة، وإرادتها، ووعيتها، ومقاومتها، وقدرتها على الرفض والاستنكار، والتزامها بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كما كان له تأثير سلبيّ على القيم والأفكار والأحكام والحدود التى تعتبر المحتوى والإطار الحضارى لهذه الأمة.

وهو أمر طبيعى، فإن الفساد الذى يجرى فى قمة الهرم الاجتماعى فى أيّة أمة ينسحب بالضرورة على كلّ المؤسسات والبنى والكيانات التى يتضمّنهما الهرم الاجتماعى، بقدر ما تفقد الأمة فى هذا الفساد القيادى من حصانتها ومقاومتها وإرادتها.. وكلّما يكون تأثير هذا الإفساد أكثر فى سلب حصانة الأمة ومقاومتها، يكون مداه أوسع وحجمه أكبر ...

وقد رأينا قريباً أن بنى أميّة بسطوا نفوذهم السياسى فى العالم الإسلامى عن طريق الإرهاب والإفساد، وقد بسطت الكلام فى ذلك فى كتاب (وراث الأنبياء) بشكل موثّق ... وكان لأعمال الإرهاب والإفساد الذى مارسه بنو أميّة فى وسط هذه الأمة دور كبير فى تجريد الأمة عن المقاومة والمعارضة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. ورأينا فقهاء هذه الفترة يحمون البلاط الأموى من غضب الناس وثورتهم بالافتاء بحرمة الخروج على الظالم، مهما بلغ ظلمه

ص: ٥٣

مثل عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والزهرى، وغيرهم.

هذه بالإجمال صورة مصغرة عن عصر الإمام زين العابدين (ع).

الواقع السياسي والديني الذي عاشه علي بن الحسين (ع):

لقد عاد الإمام (ع) من الشام إلى الحجاز بتصور كامل عن المنهج السياسي والاجتماعي والتربوي والتنقيفي الذي يفرضه عليه الظرف الصعب الذي ابتلاه الله تعالى به، في موقع الإمامة بعد مأساة الطف المروعة.

عاد الإمام (ع) إلى الحجاز ليواجه هذه الحقائق المؤسفة ماثلة أمامه في الحرمين الشريفين وفي الحجاز وعند عامة المسلمين.

لقد رأى علي بن الحسين (عليهما السلام) بغى بني أمية في العراق والحجاز، وانتهاك حرمة الإسلام في كربلاء والمدينة ومكة، وسكوت المسلمين عن جرائم بني أمية وانتهاكاتهم، ورأى انتشار الفساد واللهو في بلاد المسلمين بدءاً بقصور الخليفة نفسه، مروراً بالحرمين الشريفين إلى سائر مناطق العالم الإسلامي دون أن تكون هناك مقاومة تذكر لهذا كله في المسلمين.

وكانت خيارات الإمام (ع) محدودة جداً في ظروف القهر والإرهاب الأمويين لاستعادة الإسلام إلى مجاريه الطبيعية في وسط هذه الأمة، وإعادة بناء الأمة التي أفسدها بنو أمية إلى الخط الإسلامي الصحيح الذي نزل به الروح الأمين على رسول الله (ص).

بناء الجماعة الصالحة:

لقد توجه الإمام يومئذٍ إلى بناء (الجماعة الصالحة) التي تحمّل قيم هذا الدين وثقافته وتجسّد اهتماماته، وتنهض برسالته، وتلتزم بالتزاماته وتعهداته،

ص: ٥٤

وتسلّك مسالك الأنبياء والصالحين في الحياة، لتكون هذه الجماعة هي الجماعة النموذجية الواقعية التي تتحرّك على الأرض، وهي الأساس ونقطة البداية لإعادة بناء الأمة على الخط الإسلامي الصحيح النقي الذي جاء به رسول الله (ص) من عند رب العالمين.

كانت هذه الخطوة هي الخطوة الأولى في عمل علي بن الحسين (ع) واللبنة الأساسية التي بنى عليها أهل البيت (عليهم السلام) بنيانهم الثقافي والسياسي.

وكذلك نجد أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يواصلون هذه الرسالة في بناء الجماعة الصالحة منذ عهد علي بن الحسين (ع) حتى أيام الغيبة الصغرى.

وأتسعت فيما بعد رقعة هذه الجماعة في أيام علي الهادي وأبي محمد العسكري (عليهما السلام)، وأصبح لها مراكز وتجمعات في الحجاز وبشكل خاص في المدينة، وفي اليمن، والكوفة، والبصرة، وبغداد (الكرخ)، وجبل عامل، وخراسان، وقم، وري، وأهواز، وسجستان، وبُست، وواسط، وما وراء النهر، ومصر، والمغرب العربي.. وعلى العموم اتسعت رقعة هذه الجماعة (شيعه أهل البيت (عليهم السلام)) في القرن الثالث الهجري إلى أغلب المناطق الإسلامية، وكان لهم فيها تجمعات، ومراكز، وحوزات علمية، وعلماء، ومحدثون، وشبكة منظمة وواسعة من الوكلاء، وجباة للأموال، والدعاة إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وكانت لهم ثقافة ومدارس، وكانوا يلتزمون بالتزامات أمنية متشددة، وبالسريّة والتقيّة في العمل.. وكان لهذه الضوابط دور كبير في حفظهم وإبقائهم، رغم كلّ الإرهاب الذي كان يمارسه بحقهم بنو أمية، ومن بعدهم بنو العباس، حتى في أشدّ مراحل ضعفهم.

وكانت هذه الجماعة أساساً صالحاً لبناء ثقافي وسياسي وحركي داخل هذه الأمة.

ص: ٥٥

ونتوقف قليلاً عند هذه الكلمة (داخل هذه الأمة). فلم تكن الغاية من هذه الحركة التربويّة التي بدأها الإمام علي بن الحسين (ع)، واستمرت حتى حياة الإمام أبي محمد العسكري (ع)، ومن بعده في فترة الغيبة الصغرى، ثم آتت ثمارها من بعد ذلك في الغيبة الكبرى، أقول: لم تكن الغاية من هذه الحركة، بناء جماعة صالحة بمعزل عن الأمة، وخارج هذه الأمة، أو بناء أمة داخل الأمة، وإنما كانت الغاية - كما سوف نتحدث عنها إن شاء الله - هي أن تكون هذه الجماعة الصالحة نموذجاً صالحاً للتكامل والصلاح في هذه الأمة.

ففي جميع مراحل الصراع بين أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، وبين السلطة الأموية والعباسية كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكّدون على أمور ثلاثة، نجدها واضحة في كلماتهم وتعليماتهم:

مقاطعة حكام بنو أمية وبنو العباس الظلمة المنحرفين عن الإسلام، والابتعاد عنهم، وعدم الدخول في أعمالهم إلا بقدر ما تقتضيه المصلحة الإسلامية في تسيير الأمور ... هذا أولاً.

وعلى حضور الجماعة الصالحة في وسط الأمة، وعدم اعتزالهم لأوساط الجمهور من هذه الأمة.. ثانياً.

وبناء الجماعة الصالحة الملتزمة بحدود الله، وقيم هذا الدين وأخلاقه وبالتواصل والتكافل فيما بينهما، وبالصبر والالتزام بالسريّة (التقيّة) في حركتهم وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) في المجتمع الإسلاميّ الكبير ... ثالثاً.

إن إعداد الجماعة الصالحة كان من أولويّات عمل أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، بدءاً من الإمام زين العابدين (ع) إلى فترة الغيبة الصغرى ... وكان لهذه الجماعة تأثير واسع في حركة أهل البيت الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة... ولا نستطيع أن نفهم دور أهل البيت (عليهم السلام) وحركتهم بعد مصرع الحسين (ع) إلى الغيبة

ص: ٥٦

الصغرى في مرحلة إمامة الإمام محمّد المهدي ما لم نفهم قيمة هذه الجماعة في حركتها الثقافيّة والسياسيّة.

ولم تكن الغايّة من هذه الجماعة (شيعة أهل البيت (عليهم السلام)) أن تكون بديلة عن الأئمّة، وإنما كانت الغايّة أن تكون سبيلاً إلى تغيير الأئمّة سياسياً وثقافياً وحركياً ... وهذه الجماعة - كما قلنا - هي الجماعة التي غلب عليها اسم (شيعة أهل البيت (عليهم السلام)) في تاريخ الإسلام، وتعرضت لاتهامات ظالمة وعدوان ومقاطعة ومطاردة من قبل الحكّام الظالمين وأزلامهم في التاريخ.

وهذه مسألة مهمّة جداً في فهم التخطيط السياسيّ والثقافي لحركة أهل البيت (عليهم السلام)، ومن دون أن نأخذ هذه النقطة الأخيرة بنظر الاعتبار لا نستطيع أن نفهم الأهداف التي كان يتوخّاها أهل البيت (عليهم السلام) بعد مصرع الحسين (ع) إلى الغيبة الصغرى.

وسوف نعود إلى هذه النقطة بصورة موثّقة ومشروحة إن شاء الله.

والآن نتحدّث عن منهج الإمام زين العابدين (ع) في إعداد الجماعة الصالحة.

ثقافة الجماعة الصالحة في تراث زين العابدين (ع):

فيما وصلنا من التراث الثقافيّ والدعائي من كلمات الإمام عليّ بن الحسين (ع) نجد اهتماماً واسعاً بتنقيف الجماعة الصالحة.

وتتشعّب هذه الثقافة إلى أبواب عديدة أهمّها:

١- العلاقة بالله تعالى.

٢- الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة وفي وسط الأمة.

٣- الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين.

ص: ٥٧

٤- الثقافة الوعظية.

٥- التنقيف بمرجعية أهل البيت (عليهم السلام) بعد وفاة رسول الله (ص)، وثقافة الولاء والبراء.

٦- ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعيين.

ص: ٥٩

ثقافة الجماعة الصالحة

١- ثقافة العلاقة بالله - الدعاء -.

٢- الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة

الصالحة وفي وسط الأمة.

٣- الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين (ع)

٤- الثقافة الوعظية.

٥- التنقيف بمرجعية أهل البيت (عليهم السلام) بعد وفاة رسول الله (ص)

وثقافة الولاء والبراء.

٦- ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي.

١- ثقافة العلاقة بالله

وهذا هو أوسع أبواب ثقافة الجماعة الصالحة، ويعطيها الإمام زين العابدين (ع) الاهتمام الأكبر، ولا نعرف في تراث الإمام عليّ بن الحسين (ع) باباً أوسع وأغنى من هذا الباب.

والصحيفة المعروفة باسمه (ع) في الدعاء والمناجاة أعظمها أو كلّها من هذا الباب، وكذلك أكثر ما يوجد في الصحائف الأخرى المأثورة عنه (ع).

وكلمات الإمام زين العابدين في الدعاء والمناجاة كلمات رقيقة شفافة، تصدر عن قلب شفاف رقيق، مؤثرة في نفس الإنسان، مربية، معبرة عن عمق حالة فقر العبد إلى الله، وسعة رجائه في الله تعالى، وثقة العبد برحمة الله، وخوفه من غضب الله، واقتران الخوف بالرجاء في مقام الدعاء والعبودية، فلا يطغى الخوف على الرجاء، ولا يطغى الرجاء على الخوف، تتعدّد فيها ألوان العلاقة بالله. فإن العلاقة الراشدة بالله حزمة من العلائق من الخوف، والرجاء، والدعاء، والحب، والولع، والأنس، والشوق، والتضرع، والإنابة، والإخبات، والطاعة، والركون، والسكون إلى الله، والاستغفار، والاستعاذة بالله، والتوكّل على الله ... ونحن نجد كلّ هذه الألوان من العلاقة في أدعية الإمام زين العابدين ..

إن أدعية الإمام زين العابدين لوحات فنيّة من أروع ما يعرفه الإنسان في أدب الخطاب مع الله تعالى..

ولا أدري أيّ لوحة من هذه اللوحات أقدم للقارئ شاهداً على ما أقول، فكلّ أدعيته غرر.

باقية من دعاء الأسحار:

اقرأ تسلسل الحمد في دعائه الذي يرويه عنه أبو حمزة الثمالي (رضوان الله عليه)، وكان يتهجّد به الإمام في أسحار شهر رمضان:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدْعُوهُ فَيَجِيبُنِي، وَإِنْ كُنْتُ بَاطِلًا حِينَ يَدْعُونِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي، وَإِنْ كُنْتُ بَاطِلًا حِينَ يَسْتَقْرِضُنِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنَادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَتِي، وَأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي، بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَدْعُو غَيْرَهُ وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَرْجُو غَيْرَهُ، وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَخْلَفَ رَجَائِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَكَّلَنِي إِلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي، وَلَمْ يَكِلْنِي إِلَى النَّاسِ فَيُهَيِّنُونِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَحَبَّبَ إِلَيَّ، وَهُوَ غَنَى عَنِّي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْلُمُ عَنِّي حَتَّى كَأَنِّي لَا ذَنْبَ لِي، فَ رَبِّي أَحْمَدُ شَيْءٍ عِنْدِي وَأَحَقُّ بِحَمْدِي).

ترى هذا المسلسل الجميل للحمد، يأتي تباعاً حمداً، بعد حمد، مقترناً بالتذكير بنعمه وإحسانه تعالى الذي يحبب إلى العبد حمد ربه.

فيحمد العبد ربه الذي يدعوه فيجيبه، وإن كان العبد باطلاً في الاستجابة لدعاء ربه.

ويحمد الله الذي يسأله فيعطيه، وإن كان العبد باطلاً عندما يستقرضه الله.

ويحمد ربه الذي يناديه كلما شاء لحاجاته، ويخلو به حيث شاء لسره، فيفتح له العبد من سر نفسه ما لا يبوحه للآخرين، من دون شفيع، ولا إذن ولا حاجب، يناجي ربه متى يحب، ويفتح مكنون قلبه له متى يريد، ويبثه همومه وشكواه متى أحب، فيقضى الله له حاجته.

ص: ٦٢

ويحمد ربه الذي يكل عبده إليه وإلى رحمته وفضله، ويغنيه ويكفيه، ولا يكله إلى عباده فيهيئوه، ويطردوه.

ويحمد الله الذي يتحبب إلى عبده، وهو غنى عن حب عباده.

وفي نهاية هذا المسلسل من الحمد تأتي هذه الفقرة الرائعة: (ربّي أحمد شيء عندي، وأحقّ بحمدي).

فليس شيء في هذا الكون أحقّ بحمد العبد، من الله، فهو تعالى (أحمد شيء لعباده).

وفيما يلي ننظر في لوحة أخرى من أدب الدعاء والمناجاة للإمام عليّ بن الحسين (ع) في دعاء الأسحار: (حجتي يا الله في جرأتى على مسألتك، مع إتياني ما تكره جودك وكرمك. وعُدّتي في شدّتي مع قلّة حيائي رأفتك ورحمتك، وقد رجوت ألا تخيّب بين ذين وذين منيتي).

الحُجَّةُ: ما يحتجُّ به العبد بين يدي الله تعالى.

والْعُدَّةُ ما يستعدُّ به العبد من رحمة الله تعالى وفضله لمواجهة الشدائد والأزمات في الدنيا والآخرة، ولا بدَّ للعبد الخاطيء، وهو يستقبل الحساب والمساءلة من عند الله يوم الحساب العسير، ويستقبل الأزمات والعقبات الصعبة بعد الموت في الحياة البرزخيَّة ويوم القيامة، يوم يقوم الأشهاد ... لا بدَّ له من (حُجَّة) و (عُدَّة).

حُجَّةٌ يحتجُّ بها في السؤال والطلب، ويقبلها الله.

وعُدَّةٌ يقابل بها الأزمات والشدائد في ذلك اليوم الصعب العسير.

ص: ٦٣

وحُجَّةُ العبد بين يدي الله مع ما جاء به من المعاصي التي يكرهها الله ويمقتها، هي جوده وكرمه، فإنَّ العبد يحتجُّ عند الله بجوده وكرمه تعالى، فيما يطلب من العفو والمغفرة.

وعُدَّةُ العبد فيما يواجهه من الأزمات والشدائد والعقبات، هي رافته ورحمته تعالى.

فهما حُجَّتَانِ وَعُدَّتَانِ:

أما الحُجَّتَانِ، فهما جوده وكرمه.

وأما العُدَّتَانِ في مواجهة الشدائد والأزمات، فهما رافته ورحمته.

والإمام يسأل الله ألا يخيب أمله بين هاتين الحُجَّتَيْنِ، وهاتين العُدَّتَيْنِ: (بين ذين وذين).

وكيف يبأس العبد من ربِّه تعالى، ولديه حُجَّتَانِ (جوده وكرمه)، وَعُدَّتَانِ، هما (رافته وكرمه)؟

فاستمع إليه (ع) في هذه الرائعة من روائع المناجاة، يقول، معتذراً إلى الله، مسترحماً له، منيباً، مستغفراً الله:

(حُجَّتِي يَا الله، في جرأتِي على مسألتك، مع إتياني ما تكره جودك وكرمك.

وعُدَّتِي في شدَّتِي، مع قلَّة حَيَاتِي، رَأْفَتك ورحمتك.

وقد رجوت ألا تُخيب بين ذين) الحُجَّتَيْنِ (وذين) العُدَّتَيْنِ (منيَّتِي) رجائِي وأمنيَّتِي ().

وإليك نصّاً آخر من هذا الدعاء الشريف:

ص: ٦٤

دعاء الاضطراب:

(فبمن أستغيث إن لم تقلني عثرتي؟ وإلى من أفرع إن فقدت عنايتك في ضجعتي؟ وإلى من ألتجأ إن لم تتفّس كربتي؟ سيّدي مَنْ لي؟ وَمَنْ يرحمني إن لم ترحمني؟ وفضل مَنْ أؤمل إن عدمت فضلك يوم فاقتي؟ وإلى مَنْ الفرار من الذنوب إذا انقضى أجلي؟).

منازل الاضطراب:

هذه منازل الاضطراب، حيث لا يجد الإنسان أمامه من يستغيث به، ويفزع إليه، غير الله.

وبمن يستغيث إذا انقطع عن الدنيا، وورى في التراب، وتجسّدت أمامه عثراته وسيئاته، غير الله؟

وإلى من يفزع الإنسان، يومئذ، وهو في مضجعه الأخير، لا يجد من يفزع إليه من ذنوبه، غير الله؟

وإلى من يلتجأ في ذلك اليوم الرهيب، غير الله؟

وإلى من يفر بذنوبه إذا انقضى أمدّه في هذه الدنيا، غير الله؟

يومئذ يدرك الإنسان معنى الاضطراب حق الإدراك.

معنى الاضطراب:

والاضطراب هو أن يفقد الإنسان، أمامه مسالك الخيارات، كلّها، إلا مسلكاً واحداً، يضطرّ إليه.

فلو أن إنساناً أراد أن يغادر محلّ عمله إلى داره، لوجد أسباباً كثيرة للوصول إلى داره من وسائل النقل، ولكن إذا حدث خلل في الطائرة التي يُقلّها على

ص: ٦٥

ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم من الأرض، وأخذت تهتز كالسعة في أعماق الجو، فلا يبقى خيار للمسافرين إلا اللجوء إلى الله تعالى ... فلو أن أهل الأرض جميعاً أرادوا أن ينقذوهم لم يستطيعوا إنقاذهم.

هذا هو معنى الاضطرار. يفقد الإنسان كل الخيارات إلا مسلكاً واحداً يضطر الإنسان إليه، ولا تبقى له مندوحة ولا سعة في الاختيار.

وهذه الحالة من الاضطرار عند اللجوء إلى الله تعالى في الدعاء هي التي تشير إليها آية سورة النمل في استجابة الدعاء أمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ [النمل: ٦٢] .. فإن من يلجأ إلى الله، مضطراً، ولا يجد غير الله من يلجأ إليه، لا تفوته الإجابة البتة، إلا أن يكون في تأخير الإجابة أو تبديلها مصلحة يعرفها الله تعالى ولا يعرفها العبد ٥٧.

وإذا أراد العبد أن يدعو الله تعالى في حاجة من حاجاته لدنياه أو آخرته، عليه أن يقبل على الله بالدعاء في حالة الاضطرار، ليشمله وعد الله تعالى بالاستجابة لدعائه في آية سورة النمل.

روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ابن مريم (ع):

(ادعني دعاء الحزين الغريق، الذي ليس له مغيث. يا عيسى! سلني، ولا تسل غيري، فيحسن منك الدعاء ومنني الإجابة) ٥٨.

وفي مناجاة لأمير المؤمنين (ع): (إلهي لا تشبه مسألتى مسألة السائلين، لأن السائل إذا يُمنع امتنع، وأنا لا غناء بي عما سألتك) ٥٩.

ص: ٦٦

الانقطاع والاضطرار:

٥٧ راجع كتاب الدعاء عند أهل البيت (عليهم السلام)، للمؤلف.

٥٨ وسائل الشيعة ٤/ ١١٧٤، ح ٨٩٥٨.

٥٩ البلد الأمين: ٣١٦.

ويتساءل المؤمنون: وأتّى لنا أن نحقق حالة الاضطراب في نفوسنا وفي دعواتنا .. وهى حالة تكوينية واقعية، تحصل حيناً ولا تحصل أحياناً... وليس فى كلّ حين يشعر الإنسان بالاضطراب فى الدعاء، كما يشعر ركّاب الطائرة التى تتعرّض فى أعماق الجوّ للخلل الفنى؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

إن كلّ الناس فى كلّ حاجاتهم - بدون استثناء - فى حالة الاضطراب إلى الله، غير أن وعى الاضطراب لا يتسنّى لكلّ أحد إلا نادراً.

فما من حاجة للإنسان إلا والإجابة فيها بيد الله تعالى، وحسب، والأسباب التى يسعى إليها الناس فى قضاء حوائجهم كلّها من عند الله.. خاضعة لأمر الله، ولا تستجيب للإنسان إلا بإذن الله، فلو طلب الإنسان الرزق فى السوق، ووجد أبواب الرزق أمامه مفتوحة فى السوق، باباً باباً، فليس معنى ذلك أن أمامه مجموعة من الخيارات فى ابتغاء الرزق.

فإن هذه الأبواب كلّها من خلق الله وخاضعة لسلطان الله، يملك الله تعالى اِزِمَتَهَا ويحكمها ويتحكّم فيها، ويقبضها ويبسطها، وكم من نشيط ذكى يذهب إلى السوق فتتغلق عليه أبواب الرزق، فلا يجد سبيلاً إلى الرزق، فى عرض السوق وطوله.

وكم من ضعيف بليد يرزقه الله تعالى ويبسط له أبواب الرزق، وهذا هو معنى التوحيد فى الرزق. يقول تعالى:

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا. [هود: ٦].

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ. [الذاريات: ٨].

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ. [سبأ: ٢٤].

ص: ٦٧

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. [الرعد: ٢٦].

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. [سبأ: ٣٦].

وليس هذا بمعنى أن الإنسان لا يطلب الرزق من أبوابه، فإن الله تعالى يأمر الناس أن يطلبوا أرزاقهم من أبوابها.

فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ. [الملك: ١٥].

ولكن معنى ذلك أن يعرف الإنسان أن أبواب الرزق وأسبابه كلها بيد الله، وأن هذه الأسباب جميعاً خاضعة لأمر الله، تعمل بإذن الله وأمره، سخرها الله تعالى للإنسان بإذنه، فلو شاء أن يمنعها لم تتيسر لأحد.

فإذا وعى الإنسان هذه الحقيقة التوحيدية الكبرى، عَلِمَ أن الرزق بيد الله وحسب، ولا يرزقه أحد غير الله، وَعَلِمَ أن الشفاء بيد الله تعالى فقط، وأن الطبَّ والدعاء أسباب سخرها تعالى لعلاج.

وَعَلِمَ أن النصر بيد الله تعالى فقط وأن السلاح والقيادة والعدَّة والعدد والتخطيط أسباب سخرها الله لنا.. وإذا شاء الله عطل هذه الأسباب ونقضها وحال بيننا وبين النصر.

فقد نصر الله تعالى المؤمنين ببدر وهم أذلَّة ضعفاء وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَمُ أَذِلَّةٌ. [آل عمران: ١٢٣].

وَهَزَمُوا فِي حُنَيْنٍ، وَهَم كَثْرَةٌ، أَقْوِيَاءُ، سَادَةُ الْجَزِيرَةِ، ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِم وَرَزَقَهُمُ النِّصْرَ، وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً. [التوبة: ٢٥].

كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً. [البقرة: ٢٤٩].

ذلك كله لنعلم أن النصر من عند الله. فقط.

وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. [آل عمران: ١٢٦]، [الأنفال: ١٠]

وأن الشفاء من عند الله.

ص: ٤٨

وَإِذَا مَرَضَتْ فَهُوَ يَشْفِيهِ. [الشعراء: ٨٠].

وأن الرزق من عند الله.

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا. [هود: ٦].

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. [الرعد: ٢٦].

أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. [الزمر: ٥٢].

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. [الشورى: ١٢].

وإذا وعى الإنسان هذه الحقائق يعرف أنه مضطّر إلى الله فى كل شأن من شؤونه.

فإذا سعى إلى الرزق، فإن الرزق بيد الله تعالى وحده، وهو مضطّر إلى الله فى تحصيل الرزق.

وإذا سعى إلى الشفاء عرف أن الشفاء بيد الله، وهو مضطّر إلى الله فى تحصيل الشفاء.

وإذا سعى إلى النصر عرف أن النصر كله بيد الله ولا سبيل له إلى تحقيق شيء من النصر إلا إذا أراد الله.

عندئذ يعى الإنسان معنى الاضطرار إلى الله تعالى فى كل شأن من شؤونه وكل حاجة من حاجاته.

وكل دعاء له عندئذ يكون عن اضطرار، ويقترن بالاستجابة، كما وعدنا الله تعالى، إلا أن يكون فى تأخير الإجابة أو تبديله مصلحة للعبد لا يعرفها العبد، ويعرفها الله.

وهذا هو وعى الاضطرار. وكل الناس فى كل شؤونهم مضطرون إلى الله تعالى.

ص: ٦٩

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. [فاطر: ١٥].

والفقر هو الاضطرار، ولا معنى للفقر غير الاضطرار.

وإنّ لوعى الاضطرار مفتاحاً إذا عرفه العبد شرح الله صدره للاضطرار إليه فى حالات الرخاء، وأشعره الاضطرار فى اليسر والسعة، وهذا المفتاح هو قوله (ص)، كما فى الرواية:

(إسألوا الله عزّ وجلّ ما بدا لكم من حوائجكم حتى شسع النعل، فإنه إن لم ييسر لم يتيسر) ٦٠.

إنّ الإنسان لا ينال شيئاً من أسباب الرزق والعاقية والعلم والزواج والذرية إلا بتوفيق وتيسير من الله. فإن لم ييسر الله تعالى لعبده أبواب ذلك وأسبابه لا يتيسر له.

ولكن من يعى هذا الاضطرار من الناس قليل. إن الناس مضطرون إلى الله، ولكنهم لا يعون هذا الاضطرار.

والاضطرار فى أيّة النمل هو وعى الاضطرار، وليس واقع الاضطرار.

ووعى الاضطراب هو الانتقطاع إلى الله، حيث يقطع الإنسان أمله ورجاءه عن كل الأسباب، ويحصر أمله ورجاءه في الله تعالى، فإنه مسبب الأسباب.

فإن الانتقطاع إلى الله ذو وجهين:

الوجه الأول: هو القطع عن كل سبب غير الله.

والوجه الثاني: هو حصر الطلب والسؤال والرجاء في الله تعالى.

والانتقطاع عمل اختياري، يقطع فيه الإنسان باختيار ومعرفة، أمله وطلبه عن كل سبب غير الله، ويحصر كل أمله ورجائه وطلبه في الله تعالى، فيدعو الله تعالى في الرخاء دعاء المضطر.

وفي الدعاء عن علي بن الحسين زين العابدين (ع):

ص: ٧٠

(واجعلني ممن يدعوك مخلصاً في الرخاء، دعاء المخلصين المضطرين لك) ٦١.

ويقول (ع) أيضاً: (اللهم إنني أخلصت بانقطاعي إليك، وأقبلت بكلي عليك، وصرفت وجهي عمّن يحتاج إلى رفدك، وقلبت مسألتي عمّن لا يستغني عن فضلك، ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه في رأيه، وزلّة من عقله) ٦٢.

كيف يلجأ الإنسان إلى الله في أيام اضطرابه؟

إذا عرف الإنسان اضطرابه إلى الله تعالى في منازل الآخرة، وعرف أن لا سبيل له إلى تجاوز ذلك اليوم، ولا بدّ له من استقبال تلك المنازل، ولا خيار له في تلك المنازل الصعبة إلا اللجوء إلى الله .. فلا بدّ له من أن يسعى في الحياة الدنيا، قبل أن يفارقها، إلى تحصيل مرضاة الله لتلك المنازل في الآخرة.

وسبيل الإنسان لتحصيل مرضاة الله في تلك المنازل الرهيبة هي طاعة الله تعالى والاستجابة لأمره في الدنيا.

٦١ الصحيفة السجّادية: دعاء ٢٢.

٦٢ الصحيفة السجّادية: دعاء ٢٨.

تَأْمَلُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ، وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ. [الشورى: ٤٧].

يدعو الله تعالى عباده للاستجابة لأمره في الحياة الدنيا، قبل أن يأتي اليوم الموعود الذي لا مرد له، ولا يمكن تجاوزه ... وعندئذ لا ملجأ لكم من الله إلا الله، ولا مجال للإنسان من الهروب عن الله، ما لكم من ملجأ يَوْمَئِذٍ، ولا ينفعه إنكار ذنوبه وسيئاته بين يدي الله، وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ.

ص: ٧١

عودة إلى دعاء الاضطراب:

ثم يقول (ع): (سيدي لا تعذبني وأنا أرجوك).

إن الله تعالى كريم، وواهب الكرم للكرام. والكريم لا يعذب من يرجو عفوه وتجاوزه.

وإن الله عند حسن ظن عبده، في الحديث القدسي:

(أنا عند ظنّ عبدي، فلا يظن بي إلا خيراً) ٦٣.

وعن رسول الله (ص):

(ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة).

وأوحى الله إلى موسى بن عمران (ع):

(ما دعوتني ورجوتني فأني سامع لك) ٦٤.

وعن أبي عبد الله الصادق (ع)، قال:

(إذا دعوت فأقبل بقلبك وظنّ حاجتك بالباب) ٦٥.

٦٣ الميزان: ٣٧ / ٢.

٦٤ وسائل الشيعة: ١١٠٥ / ٤.

٦٥ أصول الكافي: ٥١٩. ووسائل الشيعة: ١١٠٥ / ٤.

وفى دعاء كميل الذى علمه أمير المؤمنين (ع) لكميل بن زياد النخعى (رحمه الله):

(يا مولاي فكيف يبقى فى العذاب، وهو يرجو ما سلف من حلمك؟ أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضلك ورحمتك؟ أم كيف يحرقه لهيبها، وأنت تسمع صوته وترى مكانه؟ أم كيف يشتمل عليه زفيرها، وأنت تعلم ضعفه؟ أم كيف يتقلقل بين أطباقها، وأنت تعلم صدقه؟ أم كيف تزجره زبانتها، وهو يناديك يا ربه؟ أم كيف يرجو فضلك فى عتقه منها فتتركه فيها؟ ... هيهات ما ذلك الظن بك، ولا المعروف من فضلك، ولا مُشبه لما عاملت به الموحدين من برک وإحسانك).

ص: ٧٢

٢- الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة الصالحة وفى وسط الأمة

رسالة الحقوق:

هذه الرسالة رسالة جليئة، جمّة الفوائد، غزيرة المنافع، كتبها الإمام زين العابدين (ع) فى تبيان وتنظيم الحقوق الثابتة على الإنسان.

وقد روى هذه الرسالة عن زين العابدين (ع) جمع من المحدثين منهم الشيخ الصدوق فى (الخصال) وحسن بن على بن شعبة بن الحسين الحرّانى فى (تحف العقول)، وابن طاووس فى (فلاح السائل).

ولا يسعنا الآن أن نتوقف عند هذه الرسالة بالشرح، ولكننا نشير قبل أن نذكر نصّ الرسالة، إلى مجموعة من النقاط، هى التأمّلات الأولى المقتبسة من هذه الرسالة.

١- مبدأ الحقوق كلّها هو الله تعالى:

هذه مسألة محوريّة هامّة يفتتح بها الإمام على بن الحسين (ع) رسالته فى الحقوق، فيقول:

(اعلم أن الله عزّ وجلّ حقوقاً محيطه بك فى كلّ حركة تحركتها أو سكّنة سكنتها).

ثمّ يفصل الإمام الحقوق التى جعلها الله تعالى على عباده إلى مجموعة من الحقوق:

أعظمها حقّ الله على عباده

ثمّ الحقّ الذى جعله الله للإنسان على نفسه

ثمّ حقوق أفعاله عليه (مثل صلاته وصومه)

ثمّ حقوق الأئمة على الرعايا

ثمّ حقوق الرعايا على الأئمة

ثمّ حقوق الأرحام بعضها على بعض

ثمّ حقوق ذوى المعروف

ثمّ حقّ الإمام فى الصلاة، وحقّ الجار، والشريك، والغريم، والخليط، والخصم الذى يدعى على الإنسان أو يدعى عليه، والمستشير، والناصح، والمستنصح، والسائل، والمسؤول، كانوا من المسلمين أم من أهل الذمّة. وهذه الحقوق كثيرة، وكلها تثبت على الإنسان بحكم الله وتشريعه وجعله.

وهذه مسألة مهمّة (أصوليّة) فى الإسلام، وتترتب على هذه القضية قضايا كثيرة ولا يثبت فى دين الله لأحد على أحد حقّ إلاّ بحكم وتشريع وجعل من الله، والله تعالى مبدأ كلّ حقّ وأصله فى حياة الإنسان، تجاه أى شخص أو أى شىء.

من هذا المنطلق لا يثبت لأحد على أحد ولاية وطاعة بغير إذن الله وأمره، وما لم يصلنا هذا الإذن والأمر من جانب الله، فلا تثبت ولاية لإنسان على إنسان، بصورة شرعيّة، ما لم يكن ذلك بإذن وأمر من الله تعالى، سواء كان الإذن والأمر عامّين أم كان خاصّين.

٢- موقع المسؤوليّة فى حياة الناس:

ما هو مركز الإنسان فى الحياة؟

هل هو الولاية والسيادة على نفسه وما يتعلق به، والتحرر من كل سلطان وولاية عليه، إلا ما يقرره لنفسه من ولاية الأنظمة والقوانين؟

أم هو المسؤولية والطاعة تجاه الله تعالى؟

المذهب الديمقراطي، وهو المذهب السياسيّ الشائع اليوم بين الأنظمة في العالم يذهب إلى الاتجاه الأول، ويرى أن موقع الإنسان في الحياة موقع الولاية والسيادة المطلقة على نفسه، ولا تصحّ سيادة أحد على أحد إلا بقدر ما يتنازل الإنسان للنظام والهيئة الحاكمة والقانون من حريته بإرادته واختياره

وهذه النظرية في جذورها نظرية مادية وإن كان الملتزمون بها مسلمين أو من أهل الكتاب ... فإن أصل النظرية قائم على نفى سلطان الله تعالى التشريعي وحقه في تقرير مصير عباده ... وهذا هو معنى سلطان الإنسان على نفسه وتحريره من أي سلطان آخر إلا بقدر ما يتنازل له باختياره.

ونفى سلطان الله تعالى وحقه على الإنسان بمعنى رفض الإيمان بالله تعالى رأساً، فإن الإيمان بالله تعالى الخالق المالك المهيمن المدبّر يعادل الاعتراف بسلطان الله وحقه المطلق على الإنسان ومصيره في الحكم والتشريع.

ولذلك قلنا إن هذه النظرية في أصولها وجذورها مادية، إذا أخذنا ملازماتها بنظر الاعتبار.

وهذا الذي شرحناه بلغة العقل من ولاية الله تعالى المطلقة وحقه المطلق على الإنسان ونفى أي سلطان آخر في حياته، غير سلطان الله ... هو ما يقرره القرآن الكريم بلغة التشريع. يقول تعالى:

إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ [يوسف: ٤٠]، [الأنعام: ٥٧].

وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ [الأعراف: ٣].

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ [هود: ٢٠].

ص: ٧٥

وهذه الآيات وغيرها في كتاب الله صريحة في نفى أية حاكمية وسيادة في حياة الإنسان، سواء كانت هذه السيادة المنفية سيادة الآخرين عليه، أم ولايته هو على نفسه، فإن الآيات الكريمة صريحة في حصر الولاية والسيادة في حياة الإنسان

فى الله تعالى إن الحكم إلا لله، ويتضمن الحصر السلب والإيجاب معاً، سلب ولاية الإنسان على نفسه وولاية الآخرين عليه، وإيجاب ولاية الله تعالى عليه.

وهذا الحكم الثابت فى القرآن بلغة التشريع تحدّثنا عنه قبل قليل بلغة العقل.

وعليه فلا يكون مركز الإنسان فى الحياة الدنيا، بموجب حكم العقل والشرع، مركز الولاية والسيادة وإنما مركز المسؤولية والطاعة لله تعالى.

وكلّ الولايات والحقوق الثابتة للإنسان أو عليه فى الحياة الدنيا، لا بدّ أن تأتى فى امتداد ولاية الله وسلطانه عليه، ومن دون ذلك فلا تصحّ ولاية فى حياة الإنسان له على الآخرين، أو للآخرين عليه.

وهذا الموقع الذى شرحناه بإيجاز هو ما يقرّره زين العابدين (ع) فى رسالة الحقوق.

يقول (ع) ما مضمونه: إنّ لله عزّ وجلّ حقوقاً تحيط بالإنسان فى كلّ حركاته وسكناته.

ثم يفصّل الإمام أمّهات الحقوق الثابتة للإنسان وعلى الإنسان، فيعد الإمام (ع) ذلك امتداد لحق الله عليه، وجعله وتشريعه فى حقّه.

٣- الحقوق التى تنظّم شبكة العلاقات:

إن تنظيم هذه الشبكة الواسعة للعلاقة والارتباط والانتماء التى تربط الإنسان بالآخرين: وبأهله وقومه وأبنائه وآبائه وأمّهاته وأبناء وطنه وولاء الأمر وأهل ملّته ودينه وغيرهم من الناس على وجه الأرض ... شىء أساسى فى سلامة الفرد

ص: ٧٦

والمجتمع ... فإذا كانت هذه الشبكة قائمة على أصول ونظام صحيح يسعد به الفرد والمجتمع، وإذا كانت هذه الشبكة قائمة على أساس الاستئثار، والاستثمار، والاستكبار، والاستعباد، والخداع، والتغريب، والتضليل، والظلم ... شقّى به الفرد والمجتمع، وكانت هذه الشبكة مصدر حروب وخلافات وظلم وإرهاب فى حياة الناس.

لذلك فإن تنظيم هذه الشبكة وتأسيسها على أسس صحيحة هو سبيل سعادة الإنسان وسلامته فى الدنيا والآخرة.

والذى يقرأ رسالة الإمام علىّ بن الحسين (ع) فى الحقوق يجد أنّ الإمام زين العابدين (ع) يرسم هذه الشبكة بأوسع مدى يمكن أن تمتدّ إليه علاقات الإنسان، وتشمل حتى خصومه فى القضاء والدعاوى وأهل الذمة، من غير الإسلام.

ويجعل أساس هذه الشبكة (الحق)، والآلية التي تنظم العلاقات بين الإنسان والأطراف الأخرى هي الحق أيضاً.

وإذا كان الحق أساساً لتنظيم العلاقات داخل هذه الشبكة، فإنه يسع الجميع، ومن يضيق عليه الحق، فإن الباطل أضيق عليه.

وسلام الله على أبي الحسن على (ع)، إذ كان يقول:

من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق ٦٦.

فإن بعض الناس يهربون من العدل والحق، لأنهم يجدون فيهما تضيقاً عليهما ... ولو أمعنوا النظر وتدبروا في الأمر، ونظروا نظرة أعمق إلى الأمر، وجدوا أن الباطل والجور اللذين يهربان إليه أضيق عليهما في عاقبة الأمر.

ص: ٧٧

٤- الأبعاد الأربعة للشبكة:

من خلال كلمات الإمام زين العابدين (ع) نجد أن شبكة العلاقات في حياة الإنسان ذات أربعة أبعاد:

١- البعد الصاعد.

٢- البعد النازل.

٣- البعد الأفقي.

٤- البعد الذاتي.

وهذا أوسع ما يمكن أن يتصوره الإنسان لشبكة العلاقات في حياة الإنسان. وقد وجدنا هذه الأربعة في رسالة الإمام زين العابدين (ع) في الحقوق.

ومبدأ الأبعاد الأربعة كلها هو الله سبحانه كما قلنا، وكل الحقوق الجارية على هذه الأبعاد الأربعة تثبت بأمر الله تعالى وجعله وتشريعه.

وإليك توضيح الأبعاد الأربعة.

١- البعد الصاعد فى علاقة الإنسان بالله تعالى، وأنبيائه (عليهم السلام)، وأولى الأمر الذين ولّاهم الله تعالى أمره، وسائسه فى الرعاية والملك والعلم، كما ورد فى رسالة الحقوق، وكلّ من له ولاية وقيومة على الإنسان وحقوقهم عليه ... فهذه طائفة واسعة من الحقوق تبدأ بحقوق الله تعالى على عبده ثمّ حقوق ولاء الأمر عليه ثمّ حقوق القيمين عليه.

٢- البعد النازل، وهو الحقوق الثابتة للإنسان على من يتولّى أمرهم، من رعاياه، وأبنائه وبناته وأهله، إذا كانوا تحت قيومته وإجرائه، وخدمه، ومن يسوسهم فى الولاية والسلطان أو فى الملك أو فى العلم ... ومن يقع على هذا الخطّ.

ص: ٧٨

٣- البعد الأفقى، وهو الحقوق الثابتة على الإنسان تجاه أصحابه، وجلسائه، وجيرانه، وشركائه، وخصومه، ومن يستشيرهم، ومن يستشيرهم، ومن ينصحه، ومن ينصحهم، وضيوفه وغيرهم، والأمة بعرضها العريض ممن يقع على هذا الخطّ.

٤- البعد الذاتى، وهو علاقة الإنسان بنفسه وجوارحه وأفعاله. وسوف نتحدّث عنه إن شاء الله فى نقطة قادمة.

هذه هى الأبعاد الاربعة لشبكة العلاقات فى رسالة الإمام علىّ بن الحسين (ع)، وهى أوسع ما نعرف من شبكة وتنظيم لعلاقات الإنسان.

٥- الحقوق الذاتية:

هذا أفق جديد من العلاقات والحقوق فتحه القرآن لأول مرة فى تاريخ الفكر الإنسانى، فى علاقة الإنسان بنفسه وحقّه على نفسه، ولا نعرف لهذا الفكر سابقة قبل القرآن.

ومن العجب أنّ علاقة الإنسان بنفسه، وحقّه عليها وظلمه لها أو إحسانه إليها، من القضايا التى يحسّ بها الإنسان إحساساً وجدائياً، ولكن لم يكتشف علم النفس هذه العلاقة، ولم يكتشف القانون والحقوق وما يترتب على هذه العلاقة من قوانين وحقوق من قبل القرآن، والقرآن أوّل كتاب يرفع الستار عن هذا الافق الواسع فى علاقات الإنسان.

ويقرّر القرآن بوضوح أن الإنسان قد يجهل نفسه إنّما عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب: ٧٢].

يعنى ظلوماً لنفسه جهولاً لها، يظلم نفسه ويجهلها.

ص: ٧٩

وقد يكون الإنسان ممن آتاهم الله نوراً يرى به نفسه سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فَصَّلَتْ: ٥٤].

والإنسان إذا رأى نفسه، يرى فيها كبرى آيات الله تعالى.

وقد يهلك الإنسان نفسه وَ إِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ [الأنعام: ٢٦].

وقد يكذب الإنسان على نفسه أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ [الأنعام: ٢٤].

وقد يخسر الإنسان نفسه وَ الْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ [العصر: ١ - ٢] يعنى يخسر نفسه، وهى الخسارة الكبرى التى لا تعوض.

وقد يظلم نفسه وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران: ١١٧].

وقد يمقت الإنسان نفسه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ، [غافر: ١٠].

والحديث فى هذا الموضوع طويل، تحدثنا عنه فى الجزء الرابع من كتاب (فى رحاب القرآن). ومن يحب أن يتابع هذا الموضوع الشيق فعليه أن يراجع هذا الكتاب.

والعلاقة تستتبع الحق ... ففى كل علاقة حق، كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك فى النقاط المتقدمة، فيثبت للإنسان حق على نفسه، ولجوارحه عليه حق.

يقول الإمام زين العابدين (ع) فى هذه الرسالة: (ثم ما أوجب الله عزّ وجلّ عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل عزّ وجلّ لسانك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التى بها تكون الأفعال، ثم جعل عزّ وجلّ لأفعالك عليك حقوقاً ... ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك).

ص: ٨٠

إذن: الإمام (ع) يقسم الحقوق إلى ثلاث طوائف

حق الله تعالى على الإنسان وهو أعظم هذه الحقوق جميعاً، ثم حق نفسه عليه، وتأتى فى الدرجة الثانية، ثم يخرج الحق منه إلى غيره، فيشمل الآخرين.

والطائفة الثانية من هذه الحقوق هي حق الإنسان على نفسه.

٦- علاقة الإنسان بفعله ومسؤوليته عنه:

إذا كانت علاقة الإنسان بنفسه من رقائق ثقافة القرآن، فإن علاقة الإنسان بأفعاله أرقّ من ذلك ... إن أفعال الإنسان وحركاته هي جهده الذي يتبلور في صورة صلاة أو جهاد أو سعى إلى الرزق أو لهو أو غش أو خيانة.

إن هذا الجهد الذي يصرفه الإنسان يمكن أن يكون أمانة أو يكون خيانة، ويكون صدقاً، أو يكون كذباً، يكون صلاحاً، أو يكون فساداً، يكون تقوى، أو يكون فسوقاً ... فإذا وجه الإنسان جهده نحو الفسوق فإن هذا الجهد الذي آتاه الله تعالى يسأله يوم القيامة، لم وجهه باتجاه الفسوق؟

وإذا وجه الإنسان جهده نحو الصلاة، ولكنه لم يؤتها حقها من الخشوع والإقبال، فإن هذا الجهد يسأله يوم القيامة، لم لم يؤته من الإقبال والخشوع ما يستحق؟ ... وهكذا ... كل جهد الإنسان يتبلور على هيئة عمل صالح أو فاسد يسأل الإنسان يوم القيامة عن كل تقصير لصاحبه تجاهه ... وهذا أرقّ ما نعرف في علاقة الإنسان بنفسه وجهده.

يقول على بن الحسين (ع):

(ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً).

إن صيامه يشكوه إلى الله تعالى يوم القيامة ويسأله إذا اغتاب المؤمنين في صيامه، ولم يكف لسانه عن الغيبة ولم يكف يده عن العدوان على الآخرين.

ص: ٨١

وصدقته تشكوه إلى الله تعالى يوم القيامة، وتسأله، إذا كان يُعرف بصدقته ويظهرها، فيفقد قيمتها ... وهكذا تشكوه عبادته إلى الله تعالى إذا كان يرائي ويتظاهر بها ...

٧- التبادل في الحقوق:

هذه الحقوق تجرى على الإنسان وللإنسان بصورة متبادلة فيثبت عليه للآخرين الحق، كما يثبت له على الآخرين، إلا الله تعالى، فإن الثابت على العبد هو أداء حق الله تعالى إليه، وأمّا من جانب الله تعالى فليس إلا الفضل على عباده.

ومن تلك الحقوق المتبادلة الواردة في رسالة الإمام زين العابدين (ع) حق الأب على أبنائه وبناته وبالعكس

وحقّ الأخ على أخيه وبالعكس.

وحقّ المولى على مولاه الذى أنعم عليه وبالعكس.

وحقّ الجليس على الجليس.

وحقّ الجار على الجار.

وحقّ الصاحب على الصاحب.

وحقّ الشريك على الشريك.

إلى آخر هذه الحقوق، وهى جميعاً متبادلة بين الطرفين، وكما يثبت على الإنسان، يثبت له أيضاً.

والآن، بعد هذه الجولة فى التأمّلات التى اقتبسناها من رسالة الإمام علىّ بن الحسين زين العابدين (ع) نذكر نصّ هذه الرسالة، برواية الصدوق (رحمه الله) فى الخصال ... الله تعالى توفيقاً لشرح هذه الرسالة الجليلة إن شاء الله تعالى.

ص: ٨٢

رسالة الإمام زين العابدين (ع) فى الحقوق:

(اعلم رحمك الله أن الله عليك حقوقاً محيطه بك فى كلّ حركة حرّكتها، أو سكنه سكنتها، أو حال حللتها أو منزله نزلتها، أو جارحة قلبتها، أو آلة تصرفت فيها.

فأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه عليك لنفسه من حقه الذى هو أصل الحقوق، ثمّ ما أوجبه عزّ وجلّ عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لسانك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التى بها تكون الأفعال.

ثم جعل عزوجل لأفعالك عليك حقوقاً؛ فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً.

ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوى الحقوق الواجبة عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق تتشعب منها حقوق.

فحقوق أئمتك ثلاثة: أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم حق سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام.

وحقوق رعيتك ثلاثة: أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم، فإن الجاهل رعيّة العالم، ثم حق رعيتك بالملك من الأزواج، وما ملكت من الإيمان.

وحقوق رعيتك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، وأوجبها عليك حق أمك ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب

ص: ٨٣

فالأقرب، والأول فالأول، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجارى نعمته عليك، ثم حق ذوى المعروف لديك، ثم حق مؤذنتك لصلاتك، ثم حق إمامك فى صلاتك، ثم حق جليستك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذى تطالبه، ثم حق غريمك الذى يطالبك، ثم حق خليفك، ثم حق خصمك المدعى عليك، ثم حق خصمك الذى تدعى عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل، أو مسرة بذلك بقول أو فعل، عن تعمد أو غير تعمد، ثم حق أهل ملتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب.

فطوبى لمن أعانته الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدده.

تفصيل الحقوق:

حق الله:

فأما حق الله الأكبر عليك: فأن تعبد، ولا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

حق النفس:

وَحَقَّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ: أَنْ تَسْتَعْمَلَهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ص: ٨٤

حقوق الأعضاء:

١- وَحَقَّ اللِّسَانُ: إِكْرَامُهُ عَنِ الْخَنَا، وَتَعْوِيدُهُ عَلَى الْخَيْرِ، وَتَرْكُ الْفُضُولِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ لَهَا، وَالْبِرَّ بِالنَّاسِ، وَحَسْنَ الْقَوْلِ فِيهِمْ.

٢- وَحَقَّ السَّمْعُ: تَنْزِيهِهُ عَنِ سَمَاعِ الْغَيْبَةِ، وَسَمَاعِ مَا لَا يَحِلُّ سَمَاعُهُ.

٣- وَحَقَّ الْبَصَرُ: أَنْ تَغْمُضَهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ وَتَعْتَبِرَ بِالنَّظَرِ بِهِ.

٤- وَحَقَّ يَدُكَ: أَلَّا تَبْسُطَهَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ.

٥- وَحَقَّ رَجْلُكَ: أَلَّا تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ، فِيهِمَا، وَلَا بِدَلِّكَ أَنْ تَقِفَ عَلَى الصَّرَاطِ فَانْظُرْ أَنْ لَا تَزُلَّ بِكَ فَتَرُدَّ فِي النَّارِ.

٦- وَحَقَّ بَطْنُكَ أَلَّا تَجْعَلَهُ وَعَاءً لِلْحَرَامِ، وَلَا تَزِيدَ عَلَى الشَّيْعِ.

٧- وَحَقَّ فَرْجُكَ: أَنْ تَحْصِنَهُ عَنِ الزَّنا، وَتَحْفَظَهُ مِنْ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ.

حقوق الأفعال:

١- وَحَقَّ الصَّلَاةُ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وَفَادَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ فِيهَا قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ قَمْتَ مَقَامَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ، الْحَقِيرِ، الرَّاغِبِ، الرَّاهِبِ، الرَّاجِي، الْخَائِفِ، الْمُسْتَكَينِ، الْمَتَضَرِّعِ، الْمَعْتَظَمِ لِمَنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ، بِالسَّكُونِ، وَالْوَقَارِ، وَتَقَبَّلَ عَلَيْهَا بِقَلْبِكَ، وَتَقِيمَها بِحُدُودِهَا وَحَقُوقِهَا.

٢- وَحَقَّ الْحِجَّ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ وَفَادَةٌ إِلَى رَبِّكَ، وَفِرَارٌ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَبِهِ قَبُولُ تَوْبَتِكَ، وَقَضَاءُ الْفَرَضِ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ.

٣- وَحَقَّ الصَّوْمُ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ حِجَابٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِكَ، وَسَمْعِكَ، وَبَصَرِكَ، وَبَطْنِكَ، وَفَرْجِكَ لِيَسْتَرِكَ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنْ تَرَكْتَ الصَّوْمَ خَرَقْتَ سِتْرَ اللَّهِ عَلَيْكَ.

ص: ٨٥

٤- وحقّ الصدقة: أن تعلم أنّها ذخر عند ربك عزّ وجلّ، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سرّاً أوثق بما استودعته علانية، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة.

٥- وحقّ الهدى: أن تريد به وجه الله عزّ وجلّ، ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلا التعرض لرحمة الله ونجاء روحك يوم تلقاه.

حقوق الأئمة:

١- وحقّ السلطان: أن تعلم أنّك جعلت له فتنة، وأنّه مبتل فيك بما جعله الله عزّ وجلّ له عليك من السلطان، وأنّ عليك ألا تتعرض لسخطه فتلقى بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء.

٢- وحق سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وألا ترفع عليه صوتك، وألا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادى له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس.

٣- وأمّا حقّ سائسك بالملك: فأن تطيعه ولا تعصيه إلا فيما يسخط الله عزّ وجلّ، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ص: ٨٦

حقوق الرعيّة:

١- وأمّا حقوق رعيّتك بالسلطان: فأن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم، وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزّ وجلّ على ما آتاك من القوّة عليهم.

٢- وأمّا حقّ رعيّتك بالعلم: فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ إنّما جعلك لهم قيماً، فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليم الناس، ولم تخرق بهم، ولم تفجر عليهم، زادك الله من فضله، وإن أنت منعت علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك، كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أن يسلبك العلم وبهائه، ويُسَقِّطُ من القلوب محلّك.

٣- وأما حقّ الزوجة: فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وانساً، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب، فإن لها عليك أن ترحمها، لأنّها أسيرك، وتطعمها، وتكسوها، فإذا جهّلت عفوت عنها.

حقوق الرحم:

١- وحقّ أمك: أن تعلم أنّها حملتك، حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمره قلبها ما لا يعطى أحدٌ أحداً، ووقّتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقّتك الحرّ والبرد لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله تعالى وتوفيقه.

ص: ٨٧

٢- وأما حقّ أبيك: فان تعلم أنّه أصلك، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فأحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله.

٣- وأما حقّ ولدك: فأن تعلم أنّه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربّه عزّ وجلّ، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه.

٤- وأما حقّ أخيك: فتعلم أنّه يدك وعزّك وقوّتك، فلا تتخذ سلاحاً على معصية الله، ولا عدوّ للظالم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوّه والنصيحة له، فان اطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة إلا بالله.

الحقوق الثابتة لعامة الناس:

١- وأما حقّ ذي المعروف عليك: فأن تشكره، وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزّ وجلّ، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية، ثمّ إن قدرت على مكافأته يوماً كافيته.

٢- وأما حقّ إمامك في صلاتك: فأن تعلم أنّه قد تقلّد السفارة فيما بينك وبين ربّك عزّ وجلّ، وتكلم عنك ولم تتكلم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدي الله عزّ وجلّ، فإن كان به نقص كان به دونك، وإن كان تاماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل، فوقي نفسك بنفسه، وصلاتك بصلاته، فتشكر له على قدر ذلك.

ص: ٨٨

٣- وأما حقّ جليّسك: فإنّ تليّن له جانبك، وتنصفه في مجازاة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلا بإذنه، ومن يجلس اليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلاته، وتحفظ خيراته، ولا تسمعه إلا خيراً.

٤- وأما حقّ جارك: فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلّمه عند شديدة، وتقبل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوة إلا بالله.

٥- وأما حقّ الصاحب: فإنّ تصحبه بالفضل والانصاف، وتكرمه كما يكرمك، وكن عليه رحمةً، ولا تكن عليه عذاباً ولا قوة إلا بالله.

٦- وأما حقّ الشريك: فإن غاب كفيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره، فإن يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوة إلا بالله.

٧- وأما حقّ مالك: فألا تأخذه إلا من حلّه، ولا تنفقه إلا في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمذك، فاعمل فيه بطاعة ربّك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوة إلا بالله.

٨- وأما حقّ غريمك الذي يطالبك: فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول، ورددته عن نفسك رداً لطيفاً.

٩- وأما حقّ الخليط: فألا تغره ولا تغشه ولا تخدعه، وتتقى الله تبارك وتعالى في أمره.

١٠- وحقّ الخصم المدّعي عليك: فإن كان ما يدّعي عليك حقّاً كنت شاهده على نفسك، ولم تظلمه، وأوفيته حقّه، وإن كان ما يدّعي باطلاً رفقت به، ولم تأت في أمره غير الرفق، ولم تسخط ربّك في أمره، ولا قوة إلا بالله.

ص: ٨٩

١١- وحقّ خصمك الذي تدّعي عليه: إن كنت محقّاً في دعوتك أجملت مقاولته، ولم تجحد حقه، وإن كنت مبطلاً في دعوتك اتّقيت الله عزّ وجلّ، وتبت إليه، وتركت الدعوى.

١٢- وحقّ المستشير: إن علمت له رأياً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.

١٣- وحقّ المشير عليك: ألا تنهيه فيما لا يوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت الله عزّ وجلّ.

١٤- وحقّ المستنصح: أن تؤدى إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به.

١٥- وحقّ الناصح: أن تلين له جناحك، وتصغى إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله عزّ وجلّ، وإن لم يوافق رحمته ولم تتّهمه، وعلمت أنّه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقاً للتهمة، فلا تبعاً بشيء من أمره على حال، ولا قوة إلا بالله.

١٦- وحقّ الكبير: توقيره لسنّته، وإجلاله لتقدّمه بالإسلام قبلك، وترك مقابله عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق، ولا تتقدّمه، ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته، وأكرمه لحقّ الإسلام وحرّمته.

١٧- وحقّ الصغير: رحمته في تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له.

١٨- وحقّ السائل: إعطاؤه على قدر حاجته.

١٩- وحقّ المسؤول: إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضلته، وإن منع فاقبل عذره.

٢٠- وحقّ من سرّك الله تعالى ذكره به: أن تحمد الله عزّ وجلّ أولاً ثم تشكره.

ص: ٩٠

٢١- وحقّ من أساءك: أن تعفو عنه، وإن علمت أن العفو عنه يضّر انتصرت، قال الله تبارك وتعالى: وَلَمَنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ [الشورى: ٤١]

٢٢- وحقّ أهل ملّتك: إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم، وتآلفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكفّ الأذى عنهم، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبانهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمّك، والصغار بمنزلة أولادك.

٢٣- وأما حقّ أهل الذمّة: أن تقبل منهم ما قبل الله عزّ وجلّ، ولا تظلمهم ما وفوا الله عزّ وجلّ بعهد (٦٧).

ص: ٩١

٣- الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين (ع)

نماذج من الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين (ع)

١- الدعوة إلى المقاومة والصبر:

كانت معاناة شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في عهد بنى أمية عظيمة، فكانوا يلاحقونهم ويطاردونهم في كل مكان بسط بنو أمية فيه سلطانهم .. وقد بلغ ذلك منهم مبلغاً عظيماً، فكانوا يشكون إلى الإمام زين العابدين (ع) ما يلقونه من أذى واضطهاد ومطاردة لهم، ومن التضييق عليهم في أرزاقهم، والتقييد الشديد لحرياتهم، فكان (ع) يقول لهم:

(فما تمدّون أعينكم؟ لقد كان من كان قبلكم، ممن هو على ما أنتم عليه يؤخذ، فتقطع يده ورجله ويصلب، ثم يتلو (ع): أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسُ وَالضَّرَاءُ) ٦٨.

٢- بين الكلام والسكوت:

المعروف عند الناس، والموروث من الحكماء والمربين أن السكوت أفضل من الكلام، ولو كان الكلام من الفضّة كان السكوت من الذهب.

وليس هذا بصحيح على إطلاقه.

ص: ٩٢

وإنما قال به الحكماء والمربون، لأن آفات الكلام أكثر من آفات السكوت، ولكن ذلك لا يبرّر تفضيل السكوت على الكلام.

ولو كان السكوت فضيلةً لذهب الحق، وذهبت مواريث الأنبياء، ولم يكن هناك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الله، وذهب العلم والمعرفة ... (والكلام) هو السبيل إلى العلم والمعرفة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، ونقل مواريث الأنبياء والأوصياء.

وقد يكون في تفضيل السكوت على الكلام دعم وإسناد لأئمة الظلم في السكوت عن مظالمهم، وسيئات أعمالهم، وهو ما كان يشيعه بعض المتفكّهة من أعوان الظلمة في تلك الأيام: أن السكوت أفضل من الكلام، والعود خير من القيام، والاضطجاع خير من القعود... إلى آخر ما كانوا يتخذونه تبريراً لدعوة الناس إلى السكوت عن الظالمين والمنحرفين.

وقد سئل زين العابدين (ع)، عن السكوت والكلام: أيهما أفضل، فقال:

(لكل واحد منهما آفات، وإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت،

لأن الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، وإنما بعثهم بالكلام.

ولا أَسْتَحَقَّتْ الْجَنَّةُ بِالسَّكُوتِ.

ولا أَسْتَوْجِبْتُ وَلَايَةَ اللَّهِ بِالسَّكُوتِ.

ولا تُوقِّيتُ النَّارَ بِالسَّكُوتِ.

ولا يُجَنَّبُ سَخَطُ اللَّهِ بِالسَّكُوتِ.

إنما كلّهُ الكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس.

ص: ٩٣

إنك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت (٦٩).

٣- حثّ الشباب على طلب العلم:

لمواجهة الخطوط المنحرفة لم يكن هناك أمر أفضل من أن يتفرّغ الشباب المؤمنون الصالحون لطلب العلم، ليقوموا بنشر ما ورثه أهل البيت (عليهم السلام) من رسول الله (ص)، امتثالاً وتنفيذاً لقوله تعالى: فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ. [التوبة: ١٢٢].

فكان علىّ بن الحسين (ع) يقول للشباب إذا أقبلوا على طلب العلم:

(مرحباً بكم. أنتم ودائع العلم، أنتم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين) ٧٠.

وكان (ع) يقول:

(لو علم الناس ما في طلب العلم، لطلبوه ولو بسفك المُهَج وخوض اللُّجج) ٧١.

وقد تواصل أهل البيت (عليهم السلام)، من بعد الإمام زين العابدين (ع) في دعوة الشباب إلى أن يحملوا عنهم ميراث رسول الله من العلم ... وكانوا يوضحون للناس أن الذي يحملونه من العلم ليس من الرأي والاجتهاد كالذي يحمله غيرهم، وإنما هو علم رسول الله (ص) وحديثه، حمله عنه أهل بيته كابراً عن كابر.

ص: ٩٤

وقد قال عليّ بن الحسين (ع) لرجل شاجره في مسألة من الفقه:

(يا هذا! لو صرت إلى منازلنا، لأريناك أثر جبرئيل في رحالنا، أيكون أحد أعلم بالسُّنة منا؟!) ٧٢.

روى ثقة الإسلام الكليني بسنده عن ابن شبرمة، قال: (ما ذكرت حديثاً سمعته من جعفر بن محمد (الصادق) إلا كاد أن يتصدّع قلبه. قال: (حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله (ص)، قال ابن شبرمة: وأقسم بالله ما كذب أبوه على جده، ولا جدّه على رسول الله (ص)) ٧٣.

وسأل رجل أبا عبد الله (الصادق) (ع) في مسألة، فأجابه فيها، فقال الرجل: رأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له:

مَهْ، ما أجبتك من شيء فهو عن رسول الله (ص). لسنا من رأيت في شيء) ٧٤.

وهكذا كان أهل البيت (عليهم السلام) يحرصون أن يذكروا الناس بأن ما لديهم من علم ليس من رأى واجتهاد، كما عند الآخرين، وإنما هو ميراث رسول الله (ص) من الحديث ورثوه عن آبائهم كابراً عن كابر عن رسول الله (ص).

٧٠ أصول الكافي: ١ / ٤٢.

٧١ أصول الكافي: ١ / ٥٨.

٧٢ بلاغة عليّ بن الحسين (ع) للحائري: ١٧١.

٧٣ جهاد الإمام السّجاد (ع): ١٣٩، نقلًا عن الوافي للكاشاني: ١ / ٤٢.

٧٤ نزّه الناظر وتنبه الخاطر للحسين بن محمد بن الحسن، ط / ١٤٠٤: ص ٤٥.

وكانوا يحرصون أن يُوجَّهوا شباب شيعتهم أن يحملوا عنهم هذا العلم، ويبلِّغوه للناس، كما يحدثون به، دون إضافة أو نقص.

٤- المنهج الصحيح للتقييم:

لقد كانت الفترة فترة هرج ومرج للأفكار والمذاهب، وظهرت في هذه الفترة مذاهب وخطوط دينية وثقافات وقيادات دينية منحرفة... وكان بنو أمية يشجعون هذه المذاهب المنحرفة لغاية في أنفسهم.

ص: ٩٥

وكان أصحاب المذاهب والخطوط الدينية المنحرفة يتفننون في كسب ثقة الناس وخداعهم، وتغريهم.

وقد خُدع بهؤلاء جمع غفير من الناس، أخذوا بضلالهم، وتركوا منهج آل محمد (ص) في الأصول والفروع الذي أوصى به رسول الله (ص) في حياته مرآت كثيرة ٧٥.

والمشكلة في اغترار الناس بهؤلاء، وإلا فلن تخلو الأرض من دعاء الباطل وأتباع الشيطان.

والسبيل الصحيح لعلاج هذه المشكلة هو تتقيف الناس بالمقاييس الدقيقة لمعرفة الإنسان الصالح، فإن الثقافة الصحيحة في التقييم تُحصّن الناس في التقييم، وتعلمهم أين يضعون ثقتهم، وتحصّنهم من مزالق الشيطان في العلاقات الاجتماعية، كما أن التقوى تحصّنهم.

والإمام زين العابدين (ع) يقدّم إلى الناس المقياس الدقيق للتقييم والتصحيح، ويحذر الناس تحذيراً شديداً من أن يغتروا بالذين يتظاهرون للناس بحسن السمات والهدى، ويحسنون هذه الصناعة، ويتماوتون في منطقهم، وكأنّ السعي للآخرة والزهد في الدنيا قد أنهكهم، وسلب منهم قوتهم ونشاطهم، ويتخاضعون في حركاتهم فيحذر الإمام (ع) الناس عن الاغترار بهم.

فإن في الناس من لا يستطيع ركوب الحرام ونيل الدنيا من مواردها المحرمة، لا بسبب التقوى، وإنما لعجزه وضعفه عن نيل الحرام، وليس كلّ أحد بقادر على ارتكاب الحرام، فإن ارتكاب بعض الحرام يحتاج إلى جرأة وشجاعة قد يفقدها بعض الناس.

٧٥ ومنه حديث الثقلين الذي يرويه ثقات المحدثين من الشيعة، والسنة، ومنهم الترمذي ومسلم في صحيحهما، والحديث كما يلي في طائفة من الروايات الصحيحة: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وأهل بيتي. لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض). وألفاظ الحديث في المدونات الحديثية مختلفة ومتعددة، وذلك لأن رسول الله (ص) كان يكررها كثيراً.

فلا يزالون ينصبون للناس فخاخاً حتى يكسبوا ثقة الناس ويتمكنوا من الحرام، فإذا تمكنوا من المال الحرام لم يصددهم عنه تقوى ولا ورع.

ثم يحذر الإمام (ع) الناس من الاغترار بالذين يكفون أيديهم وبطونهم وفروجهم عن الحرام، حتى مع التمكن منه ... فإن شهوات الناس في الحرام مختلفة ... فقد يكف أحدهم نفسه عن وجوه من الحرام، ولكنه يقبل على حرام قبيح تسمت منه النفس فيرتكبه ... فليس ابتعاده عن الحرام من التقوى والورع في شيء.

وقد يكف الإنسان نفسه عن كل وجوه الحرام، وهو قادر عليها، فلا يرتكب منها شيئاً ... فلا ينبغي أن يغتر الناس بهم ... حتى يعرفوا حجم عقله ... فقد يكف عن كل وجوه الحرام، ولكنه لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده، إذا تصدى لشؤون الناس، أكثر مما يصلحه.

وقد يملك العقل الذي يميز به الصواب عن الخطأ، فلا ينبغي أن يغتر الناس بعقله ورشده، حتى يتضح لهم أن عقله يتبع هواه، أم هواه يتبع عقله، وكيف يكون إقباله على الرئاسات الباطلة ... فإذا كان هواه غالباً على عقله، وكان مقبلاً على الرئاسات الباطلة، فيجب على الناس أن يحذروه على دينهم وديناهم، حتى لو كان يحفظ نفسه عن الحرام، ويعف بطنه ويده وفرجه عما حرمه الله ... فرب إنسان يترك الكثير من لذاته من وجوه الحلال والحرام ليكسب ثقة الناس، ويبلغ الرئاسات الباطلة، فإذا بلغها حلل الحرام، وحرّم الحلال، وتخطى خط عشواء. هذه المقاييس كلها باطلة.

والمقياس الحق هو أن يجعل الرجل هواه تبعاً لحكم الله، ويحتمل مرارة الحق، وإن شقت عليه على الباطل وإن طاب له.

هذا هو المقياس الذي لا بد من أن يتبعه الناس وهذا المقياس هو (التقوى) و (الورع).

وكل ما دون (التقوى) و (الورع) فلا ينبغي أن يكسب ثقة الناس.

وإذا أخذ الناس بهذا المقياس أمنوا من الوقوع في الضلالات، ولكن مشكلة الناس في الاختيار والتقييم هي أن العواطف تحكمهم، ولو أنهم حكموا عقولهم ومقاييس دين الله في الاختيار، لم يقعوا في الضلالات التي يقعون فيها.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين (ع) في معركة الجمل، وشكى إليه ما يعانيه من الشكوك والوساوس فيما يصنعونه من قتال الناس في الجبهة المقابلة وفيهم أم المؤمنين عائشة والصحابيَّان المعروفان الزبير وطلحة، فماذا عساه أن يفعل في هذه

المقابلة، وكيف يشهر السيف على جبهة فيها زوجة رسول الله وكبار صحابته؟ فقال (ع) له: (ويلك إنك لملبوس عليك، إعرف الحق تعرف أهله).

لقد عاش زين العابدين (ع) فترة صعبة، يتخبط فيها الناس بين علماء البلاط، والدعاة إلى المذاهب المنحرفة، وحكومات ظالمة طائشة، ومعارضة منحرفة (الخوارج)، وفقهاء يحدون عن الصراط المستقيم الذي رسمه لهم رسول الله (ص) في حديث الثقلين، وخطوط ومذاهب فكرية... وليس كل الناس يملك القدرة على التشخيص والتمييز، فوضع (ع) في هذا الحديث الميزان الدقيق لمعرفة الحق عن الباطل، والتمييز بين أئمة الهدى وأئمة الضلال.

ولسنا نحن في عصرنا بأحسن حالاً من العصر الذي كان يعيشه الإمام زين العابدين (ع) ... وهذا الحديث ينفعنا ويتقننا في الاختيار، كما كان ينفع الناس في عصر علي بن الحسين (ع).

كلمة الإمام زين العابدين في معايير التقييم:

فلنستمع إلى الإمام زين العابدين (ع) وهو يوضح لنا النهج الصحيح للاختيار والتقييم.

يقول (ع):

ص: ٩٨

(إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقته، وتخاضع في حركاته، فرويداً، لا يغرنكم.

فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا، وركوب الحرام منها، لضعف نيته، ومهانته، وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكن من حرام اقتحمه.

وإذا وجدتموه، يعف عن المال الحرام، فرويداً، لا يغرنكم.

فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام، وإن كثر، ويحمل نفسه على شواء قبيحة فيأتي منها محرماً.

فإذا وجدتموه يعف عن ذلك، فرويداً، لا يغرنكم.

حتى تنظروا ما عقده عقله؟ فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسد بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً، فرويداً، لا يغرّنكم.

حتى تنظروا، أمع هواه، يكون على عقله، أم يكون مع عقله، على هواه؟ وكيف محبته للرئاسات الباطلة؟، وزهده فيها؟

فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذّة الرئاسة الباطلة أفضل من لذّة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة، حتى إذا قيل له: إتق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنّم وليّس المهاد.

فهو يخبط خبط عشواء، يوفده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّ به - بعد طلبه لما لا يقدر عليه - في طغيانه، فهو يحلّ ما حرّم الله، ويحرّم ما أحلّ الله، لا يُبالى ما فات من دينه إذا سلمت له الرئاسة التي قد شقى من أجلها.

فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً.

ص: ٩٩

ولكن الرجل، كلّ الرجل، نعمّ الرجل، هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضا الله، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤدّيه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وأن كثير ما يلحقه من سرائها - إن تبع هواه - يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال.

فذلكم الرجل نعم الرجل، فبه فتمسّكوا، وبسنته فاقتدوا، وإلى ربكم فتوسّلوا، فإنّه لا تردّ له دعوة، ولا يخيب له طلبه) ٧٦.

٥- من أين يتلقّى المؤمنون الحكمة؟

عن الإمام زين العابدين (ع) أنّه قال:

(لا تحتقروا اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة ٧٧، فإن أبي حدّثني، قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: إن الكلام من الحكمة لتلجلج في صدر المنافق نزاعاً إلى مظانّها حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن، فيكون أحقّ بها وأهلها فيلقفها) ٧٨.

٧٦ الحدائق الناضرة: ٥٨ / ١٠، وجواهر الكلام: ٣٠٠ - ٣٠١، وسائل الشيعة: ٣١٧ / ٨ - ٣١٨ و ٣٩٤ / ٥، والاحتجاج للطبرسي: ٥٣ / ٢ وبحار الأنوار: ٨٤ / ٢ و ١٨٤ / ٧١ وجامع أحاديث الشيعة: ٤٢٧ / ٦ و ٤٦٤ / ١٣.

٧٧ الكبا المزيلة والأوساخ المتجمعة على المياه، والخسيسة: الحقيرة.

٧٨ أمالي الطوسي ص ٦٢٥ وبحار الأنوار: ٩٧ / ٢ وبلاغ الإمام عليّ بن الحسين: ص ٢٢٢.

إن حاجة المؤمن إلى الحكمة شديدة وعظيمة لأن الحياة بالنسبة إليه جهاد واجتهاد، جهاد للهوى (وهو الجهاد الأكبر)، وجهاد للطاغوت (وهو الجهاد الأصغر)، واجتهاد في العمل لتحقيق مرضاء الله ولبلوغ الكمال والقرب إلى الله وخلافة الله على الأرض، وهذه الحياة الكادحة تحوجه دائماً إلى الحكمة التي تمنحه البصيرة والنور، وتسدّده وتبصّره، وتمنحه القوة والعزيمة على طريق ذات الشوكة.

ص: ١٠٠

٧٩

وهذه كلها يجدها المؤمن في الحكمة، والحكمة كما ورد في الحديث ضالة المؤمن يبحث عنها ويسعى إليها أينما يجدها، لإنجاح أعماله وجهاده واجتهاده وسعيه وكدحه وتسديدها.

حتى لو كانت الحكمة بيد المنافق والكافر، يسعى إليها المؤمن، وليس على وجه الأرض من هو أحقّ بها منه، فيتلقّفها منه كما يتلقّف الناس الدينار والدرهم.

إنّ هناك طائفة من الحكيم تؤدي إلى إنجاح المشاريع والأعمال التي ينهض بها الإنسان في حياته ... وهذه الحكيم يكسبها الإنسان بالتجربة والخبرة، وليس بوسع الإنسان أن يكسب بتجاربه الشخصية كلّ ما يحتاجه من عوامل التوفيق والنجاح ... ولا غنى له من أن يتزوّد بتجارب الآخرين وخبراتهم في إنجاح المشاريع والأعمال.

وهذه الخبرات والتجارب قد نكسبها من أناس غير صالحين، إلا أنّها نافعة ومفيدة وضرورية للمؤمنين في مشاريعهم وأعمالهم وتحركهم، رغم أن الذين يحملونها غير صالحين، فلا بدّ وأن نسعى إليها ونتلقّاها ونتلقّفها ونكسبها منهم، وإن كانوا غير صالحين.

وليس على المؤمنين من بأس أن يكسبوا خبرات العمل والحركة وتجاربها من أيدي أناس غير صالحين وغير مؤمنين.

فإن الحكمة ضالة المؤمن، كما ورد في الرواية، يتلقّفها أينما وجدها، وإن كانت في موضع غير نظيف.

والحكمة تتلجلج (تتردد) في صدور المنافقين، فإذا نطقوا بها، لم يكن أحد أحقَّ بها من المؤمنين، لئلا يبدأوا مشاريعهم وأعمالهم وتجاربهم من نقطة الصفر، وإنما يتحركون من حيث انتهى الآخرون إليه، في تجاربهم وخبراتهم.

وهذا هو ما يريده الإمام زين العابدين (ع) في كلمته التي روينها قبل قليل.

وهذه الكلمة جديرة بأن نتوقف عندها بعض الوقت.

ماهى الحكمة؟

الحكمة مشتقة من الإحكام، بمعنى الإتقان الذى لا يُبقى فى العمل ثغرة، ولا ثلمة، ولا خللاً.

ومن خلال استعمالات الكلمة فى القرآن والسنة والنصوص والأدبيات الإسلامية نجد أن هذه الكلمة تطلق على ثلاثة معان، على نحو الاشتراك المعنوي، وهى:

١- الحكمة بمعنى المعارف الحقّة التى لا ينفذ إليها الباطل، نحو معرفة المبدأ والمعاد، ومعرفة الجلال والجمال الإلهيين (معرفة الله ومعرفة صفاته الحسنی)، ومعرفة سنن الله تعالى فى الكون والتاريخ والمجتمع، ومعرفة علاقة العبد بالله من الإنابة والمخافة والتوبة والتضرّع والخشيّة والطاعة والحبّ والشكر والثناء والحمد والدعاء والحياء والتضرّع والسكون إلى ذكر الله وغير ذلك من وجوه العلاقة بالله، وهو محصن العقل والوعى والفهم والبصيرة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [لقمان: ١٢].

وقد ورد فى تفسير الحكمة فى هذه الآية عن الإمام موسى بن جعفر (ع) بأنها (الفهم والعقل) ٨٠، بمعنى وعى المبدأ والمعاد ووعى الجلال والجمال ووعى موضع العبد من الله تعالى وعلاقته به.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا [مريم: ١٢].

وقوله تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا [البقرة: ٢٦٩].

وقد ورد في تفسير الحكمة في هذه الآية الكريمة عن الإمام الباقر (ع) أنها هي (المعرفة) ٨١.

وعن رسول الله (ص):

رأس الحكمة مخافة الله ٨٢.

وعنه (ص):

خشية الله رأس كل حكمة ٨٣.

وعنه (ص):

رأس الحكمة طاعته ٨٤.

وهذا باب واسع من الحكمة، وحسبنا منها هذا البيان.

٢- معرفة ثقافة الوحي في حدود الله تعالى في علاقة الإنسان (بنفسه)، و (بالآخرين) من مؤمن وغير مؤمن وأعداء وخصوم وأصدقاء، والقريبين منه والبعداء و (بالطبيعة)، وكيف يتعامل الإنسان مع هذه الأطراف الثلاثة وما يحبه الله وما يمجته، في هذه العلاقات ونهجها وإدارتها.

وهي منظومة واسعة من الحدود الإلهية والأفكار والمفاهيم والمعارف والثقافات النظرية والعلمية التي جاء بها الأنبياء من عند الله تعالى من خلال الوحي في مجال العلاقة بالنفس والمجتمع والطبيعة، وتغلب عليه صفة الموعظة.

ص: ١٠٣

ولعل من ذلك قوله تعالى: وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ [البقرة: ٢٣١].

٨١ بحار الأنوار: ١/ ٢١٥ ح ٢٣.

٨٢ كنز العمال للمتقى الهندي: ح ٥٨٧٣.

٨٣ كنز العمال للمتقى الهندي: ح ٥٨٧٢.

٨٤ آمالي الصدوق: ص ٣٩٤.

٣- الوسائل العمليّة التي تمكّن المؤمن من تحقيق أهدافه وغاياته التي يسعى إليها في الحياة الدنيا. وهذه الوسائل تكتسب غالباً بالتجربة والخبرة العمليّة، كما تكتسب من تجارب الآخرين وخبراتهم.

ولعلّ إلى ذلك يشير قوله تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [النحل: ١٢٥].

وهذه التجارب والخبرات كثيرة في حقول مختلفة من الحياة مثل التجارب القياديّة والإداريّة، وتجارب السوق والتجارة، وتجارب العلاقات الاجتماعيّة، والتجارب العسكريّة، وتجارب الحياة الزوجيّة وغير ذلك، فهذه التجارب تمكّن الإنسان من تحقيق غاياته وأهدافه، فإن كان مؤمناً تمكّنه من تحقيق رضا الله تعالى والوصول إلى مرضاته، وإن كان فاسقاً ومنافقاً تمكّنه من الوصول إلى أهدافه وغاياته أيضاً.

فهى وسائل تمكّن الإنسان من تحقيق أهدافه ... كلّ بحسبه. وقد استعملت هذه الكلمة في المعنى الأخير كثيراً في الأحاديث الإسلاميّة.

فعن الإمام الباقر (ع): قيل للقمان

: ما الذي أجمعت عليه من حكمتك؟ قال: ألا أتكلّف ما قد كفيته، ولا اضيّع ما وليته^{٨٥}.

وعن الإمام الكاظم (ع) أنّه قيل للقمان:

ما يجمع من حكمتك؟ قال: لا أسأل عمّا كُفيته، ولا أتكلّف ما لا يعنيني^{٨٦}.

وعن رسول الله (ص):

إن الرفق رأس الحكمة^{٨٧}.

ص: ١٠٤

بماذا يكسب الإنسان الحكمة؟

٨٥ قرب الإسناد: ٧٢.

٨٦ بحار الأنوار: ١٣ / ٤١٧.

٨٧ كنز العمال: ٥٤٤٤.

القسم الأول والثاني من الحكمة متقاربان ويكتسبها، الإنسان بالتقوى، وبذكر الله، ومغالبة الهوى، وغض البصر، وكفّ اللسان عما حرم الله طبقاً لما ورد في مصادر الوحي.

وقد ورد في حديث المعراج المعروف وهو من الأحاديث القدسيّة الشريفة:

يا أحمد! إن العبد إذا جاع وحَفِظَ لسانه عَلمَتُهُ الحكمة، وتكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاءً ورحمةً، ويعلم ما لم يكن يعلم، ويبصر ما لم يكن يبصر، فأول ما أبصره عيوب نفسه حتى يشتغل بها عن عيوب غيره، وأبصره دقائق العلم، حتى لا يدخل عليه الشيطان.

يا أحمد! ليس شيء من العبادة أحبَّ إليّ من الصمت والصوم، فمن صام ولم يحفظ لسانه كان كمن قام ولم يقرأ في صلاته، فأعطيه أجر القيام ولم أعطه أجر العبادة ٨٨.

وقيل للقمان (ع):

(ألست عبد آل فلان؟ قال: بلى. قيل: فما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك مالا يعنيني، وكفّ لساني، وعفّة طُعْمَتِي، فمن نقص عن هذا فهو دوني، ومن زاد عليه فهو فوق، ومن عمله فهو مثلي) ٨٩.

وعن الإمام الصادق (ع):

من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه ٩٠.

ص: ١٠٥

وعن أمير المؤمنين (ع):

القلب يتحمّل الحكمة عند خلو البطن، والقلب يمجّ الحكمة عند امتلاء البطن ٩١.

٨٨ غرر الحكم: حكمة ٢٢٧٢.

٨٩ جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى: ١٣/ ٥٠٥ - ٥٠٦ عن تنبيه الخواطر: ٢٣٠ ح ٢. ومجموعة الورام: ٢/ ٢٤٧، ميزان الحكمة: ٢/ ٣٣٣، مستدرک الوسائل: ٩/ ١٨.

٩٠ الكافي: ٢/ ١٢٨ ح ١.

٩١ تنبيه الخواطر: ٢/ ١١٩.

وعن أمير المؤمنين (ع) أيضاً:

لا تجتمع الشهوة والحكمة^{٩٢}

. وعن الإمام الصادق (ع):

الغضب ممحقة لقلب الحكيم، ومن لم يمتلك غضبه لم يملك عقله^{٩٣}.

وعن السيد المسيح عيسى ابن مريم (عليهما السلام):

بحق أقول لكم: إنَّ الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت في الصفا، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار. ألم تعلموا أنَّه من شمن برأسه إلى السقف شجّه، ومن خفض برأسه عنه استظلَّ تحته وأكَّنه؟ وكذلك من لم يتواضع لله خفضه، ومن تواضع لله رفعه.

إنَّه ليس على كلِّ حال يصلح العسل في الزقاق^{٩٤}، وكذلك القلوب ليس على حال تعمر الحكمة فيها، إنَّ الزقَّ مالم ينخرق أو يقحل^{٩٥} أو يتفل^{٩٦} فسوف يكون للعسل وعاء، وكذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات ويدنسها الطمع ويقسيها النعيم فسوف تكون أوعيةً للحكمة^{٩٧}.

ومن العوامل التي تكسب الإنسان الحكمة التفكير. وقد ورد عن رسول الله (ص) في هذا المعنى: لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثير التفكير، أحبَّ الله فاحبه، ومنَّ عليه بالحكمة^{٩٨}.

ص: ١٠٦

٩٢ غرر الحكم: ١٠٥٧٣.

٩٣ بحار الأنوار: ٧٨ / ٢٥٥، مستدرک سفينة البحار: ٩٧ / ٢.

٩٤ الزقاق: جمع زق وهو وعاء للسقاء من الجلد.

٩٥ يقحل: يبیس.

٩٦ يتفل: تتغير رائحته.

٩٧ تحف العقول للحراني: ٥٠٤، بحار الأنوار: ٣٧ / ١٤.

٩٨ تفسير الميزان: ١١٦ / ١٦.

إذن الحكمة يتلقاها الإنسان بقدر ما يروض نفسه بالتقوى، وطاعة الله، وذكر الله تعالى، وكف النفس عن الهوى، وكف اللسان عن الشرثرة، وضبط الجوارح والجوانح عن الحرام، والامتناع عن الاستغراق في اللذات المباحة.

بهذه العوامل الثلاث: (الذكر، والتقوى، والزهد):

ذكر الله تعالى (الذكر).

وكف النفس عما حرم الله (التقوى).

والتحرر عن التعلق بالدنيا وطيباتها (الزهد).

بهذه العوامل الثلاث يفتح الله قلوب عباده للحكمة وتنزل على قلوبهم الحكمة من عند الله.

ولعل الآية الكريمة من سورة (البقرة: ٢٨٢) تشير إلى ذلك: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُكُمْ اللَّهُ.

وقد روى عن أمير المؤمنين (ع):

من خزائن الغيب تظهر الحكمة ٩٩.

إن هذا القسم من الحكمة تنزل على قلب الإنسان من عند الله، إذا حضر العبد قلبه لاستقبال الحكمة من عند الله، واستقاها من مصادر الوحي. ولا يجوز ولا يصح أن نأخذ هذا القسم من الحكمة من أي يد، إلا أن نطمئن إلى نظافتها وسلامتها وأمانتها وارتباطها بمصادر الوحي، ولو كان ذلك عبر وسائط عديدة.

قيمة الحكمة في حياة الإنسان:

إن للحكمة دوراً عظيماً في بناء شخصية الإنسان وتمكينه من أهوائه وشهواته، وتجريده عن التعلقات التي تعيقه عن الحركة إلى الله، كما تفتح قلب العبد على فيوضات النور والرحمة النازلة من لدن الله على قلوب الصالحين من عباده، عن رسول الله (ص) أنه قال

(: كاد الحكيم أن يكون نبياً ١٠٠.

ص: ١٠٧

وعنه (ص) أيضاً:

كلمة حكمة يسميها المرء خير من عبادة سنة ١٠١.

وعن أمير المؤمنين (ع)

(: من خزائن الغيب تظهر الحكمة ١٠٢.

وإن للحكمة من التأثير والنفوذ في قلوب الناس وعقولهم ما يقل نظيره في العوامل الأخرى التي تدخل في تكوين شخصية الإنسان.

عن أمير المؤمنين (ع):

لو القيت الحكمة على الجبال لقلقلتها ١٠٣.

وهي كلمة عظيمة تستوقف الإنسان. لو أن الجبال على شموخها وعظمتها كانت تعي الحكمة لاضطربت من قوة تأثير الحكمة ونفوذها.

القسم الثالث من الحكمة:

وهذا القسم يأتي إلى الناس في الغالب من خلال التجربة والخبرة، التي يكسبها الإنسان بتجاربه الشخصية، كما يكتسبها من تجارب الآخرين، ويخسر الإنسان كثيراً، إذا اقتصر في كسب الحكمة من هذا القسم على تجاربه الشخصية.

إن حياة عقلاء العالم مليئة بالتجارب النافعة في تحقيق الغايات الصعبة، وفي تذليل المهمات الشاقة، ولا بد للمؤمنين أن يتزوّدوا بما يكسبه الناس (عامّة الناس) من الحكمة، سواء منهم المؤمن أم المنافق أم الكافر، فإن الحكمة سلاح وقوة، تمكن الإنسان أن يحقق غاياته وأهدافه وتنجح المشاريع التي ينهض بها في علاقته بالناس، وفي إدارة الدولة وقيادتها.

١٠١ بحار الأنوار: ١٣ / ٤٣٢.

١٠٢ غرر الحكم: ٩٢٥٤.

١٠٣ بحار الأنوار: ٧٨ / ١٢ ح ٧.

وفى إدارة الأعمال والمشاريع الاقتصادية، وفى طلب العلم، وفى كسب الأصدقاء، وفى إنجاح الثورة، وفى الإبداع العلمى والفنى، وفى قيادة الجيش وإدارته، وفى الدخول فى الحروب، وفى المشاريع السياسية وأمثال ذلك.

ص: ١٠٨

فى هذه المشاريع والأعمال لا بدّ من أن يستعين المؤمنون بتجارب الناس من قبلهم، ويكسبوا هذه التجارب، حتى لا يبدأوا من نقطة الصفر، وليس على المؤمنين من بأس أن يكسبوا هذه التجارب، من المؤمنين أو المنافقين أو الكفار ... فإن التجربة سلاح وقوة، نكسبها من أى مصدر نعرفه.

وهذا هو معنى الثالث من الحكمة.

وإلى هذا المعنى من الحكمة تشير نصوص الروايات الإسلامية، عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال:

الحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها، ولو عند المشرك تكونوا أحقّ بها وأهلها ١٠٤.

وعن أمير المؤمنين (ع):

الحكمة ضالة كل مؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق ١٠٥.

وهذا المعنى هو المقصود بالكلمة التى يروىها الرواة عن زين العابدين (ع) فى قوله

(: لا تحقرروا اللؤلؤ النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة، فإن أبى حدّتنى، قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: إن الكلام من الحكمة لتلجلج فى صدر المنافق نزاعاً إلى مظانّها، حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن، فيكون أحقّ بها وأهلها فيلقفها ١٠٦.

٦- الصبر والثبات:

كانت الأيام صعبة، وكان بنو أمية يتعاملون مع خصومهم من شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بقسوة وضراوة، يلاحقونهم، ويضيقونهم فى أرزاقهم، ويحبسونهم، ويقتلونهم، ويطاردونهم.

١٠٤ أمالى الطوسى: ٦٢٥.

١٠٥ نهج البلاغة: حكمة رقم ٨

١٠٦ بلاغة الإمام على بن الحسين (ع) لشيخ جعفر عباس الحائرى: ص ٢٢٢.

ولقد كانت هذه الفترة واحدة من أشقّ الفترات التي مرّت على شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، على أيدي عمال بني أمية وجلاوزتهم.

فكان زين العابدين (ع) يجد فيهم أحياناً تدمراً ووهناً وشكوى، وسؤالاً: متى يكون الفرج من هذا الضيق؟ وكأنّهم كانوا يستبظّون الفرج الذي وعدهم الله تعالى به، يمدّون أعينهم إلى فرج قريب من كلّ هذا الضيق والعسر، فلا يجدونه، فكان يقول لهم زين العابدين (ع):

فما تمدّون أعينكم؟ ألستم آمنين؟ لقد كان من قبلكم، ممن هو على ما أنتم عليه، يؤخذ فتقطع يده ورجله ويصلب! ثمّ يتلو (ع): أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ)

[البقرة: ٢١٤-١٠٧].

إن الآية التي استشهد بها الإمام زين العابدين (ع) في تثبيت أصحابه وشيعته أمام الإرهاب الأمويّ آية في كتاب الله، وفي ضوء هذه الآية، يستهين الإنسان بما يلقاه في جنب الله من أعداء الله، بالقياس إلى ما كان يلقاه أصحاب الأنبياء (عليهم السلام) من قبلنا، أتلوها عليكم، فاسمعوها:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ [البقرة: ٢١٤].

إنّ الطريق إلى الجنة طريق صعب عسير، لا ينالها الناس إلا بعد اجتياز الطريق الصعب العسير، طريق ذات الشوك.

يقول تعالى: وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران: ١٤١-١٤٢]

إنّ الناس ينشطون من قبل أن تقوم الساعة وقبل أن يدخل المؤمنون الجنة إلى شطرين، الذين جاهدوا وصابروا، والذين أخذوا إلى الأرض وتناقلوا عن الجهاد وجزعوا عن القتال ورضوا بالحياة الدنيا، فيرزق الله المؤمنين الذين علم الله منهم

الجهاد والمصابرة الجنّة، والذين أسَفُوا، وأُخِلُّوا إلى الحياة الدنيا، ورضوا بها مرجون لرحمة الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء حاسبهم وعاقبهم على خلودهم إلى الدنيا، وتناقلهم عن القتال في سبيل الله.

يقول تعالى:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [التوبة: ١٦].

ولا يدخل الناس الجنة إلا بعد أن يفرز الله (يعلم الله) الذين جاهدوا منهم، وأخلصوا ولاءهم لله تعالى، ولم يتخذوا من دون الله ورسوله والمؤمنين أولياء يسرون إليهم بولائهم وحبهم (وليجه) في السرّ، فإن الله تعالى خبير بسرهم وعلنهم.

ص: ١١١

٤- الثقافة الوعظية

كان لحكومة بنى أمية دور واسع - كما ذكرنا - في إشاعة الترف والفساد واللهو المحرم في الأوساط الإسلامية في هذه الفترة... وقد أثر ذلك أثراً بليغاً في إبعاد الناس عن الله والقيم الإسلامية الروحية، والأخلاق وعن التفكير في الحياة الآخرة، وكان له أثر بالغ في فساد القلوب وإفراغها من الحالات الإيمانية والمعرفية التي يؤكّد عليها الإسلام.

واجه الإمام عليّ بن الحسين (ع) هذه الحالة المجافية لروح الإسلام وتشريعاته وقيمه، وأخذ بنظر الاعتبار في بناء الجماعة الصالحة مكافحة حالة الترف واللهو والفساد والانغماس في اللذات والشهوات والبعد عن الله ...

وكان منهج الإمام عليّ بن الحسين (ع) في مكافحة هذه الحالة من الانغماس في شهوات الحياة الدنيا ولذاتها ... هو إشاعة (الدعاء) و (الوعظ) في المجتمع، بشكل عام وفي أوساط هذه الجماعة بشكل خاص.

خطاب الدعاء والوعظ:

و (الدعاء) و (الوعظ) خطابان مؤثران في نفس الإنسان وتربيتها وتذكيرها.

خطاب (الدعاء) خطاب صاعد إلى الله، يرقى بالنفس الإنسانية إلى الله تعالى يناجيه ويخاطبه، ويتضرّع إليه، ويطلب منه، ويلتمس لديه، ولهذا الخطاب الصاعد أثر في انتزاع النفس من الدنيا وتشبّثاتها بها والانغماس في الشهوات

ص: ١١٢

واللذات.. فإن خطاب الدعاء نحو من العروج إلى الله، بدرجة من الدرجات، وجوهر هذا العروج هو التحرر من الدنيا وعلاقتها.

والخطاب الثانى هو (الخطاب الوعظي). ولهذا الخطاب تأثير كبير فى ترقيق القلوب القاسية، وتزهد النفوس المتعلقة بالدنيا وتحريرها من التعلق بالدنيا، ويزيل بشكل واضح الدين الصدا المتراكم على النفوس.

فإن الانغماس فى الذات الدنيا ومتاعها، والتعلق بها يترك على نفس الإنسان صداً كبيراً، وريناً، يحجبه عن الله تعالى، ويسلبه الشفافية التى هى أعظم خصائص القلب. وللموعظة تأثير كبير فى إزالة هذا الصدا والرّين عن القلوب، وإعادة الشفافية إلى القلوب وترقيقها.

ومن مهام الخطاب الوعظيّ التذكير بالموت وتنبيه الناس إلى عدم وفاء الدنيا بالإنسان، وأنّ الأجل ينغص عليه لا محالة، فينتزعه من كلّ تعلّقاته بالدنيا فى لحظة واحدة.

وهذا التذكير يقصّر أمل الإنسان فى الدنيا، وهو دواء ناجع لكثير من الأمراض النفسية... فإن طول الأمل فى الدنيا من أكبر مصائب الإنسان، ولا يحرّره منه إلا التذكير المتصل بالموت، وتقريبه إلى الإنسان.

فإن (الموت) كما هو هادم اللذات، كذلك التفكير والتذكير به يكفكف جماح أهواء النفس ويقصّر أمله فى الحياة الدنيا.

الخطاب الدعائي - الوعظيّ المزدوج:

وعندما يتألف الخطاب الواحد منهما، فيكون دعاءً ويكون وعظاً فى وقت واحد فإن أثره فى تهذيب النفس وترقيقها يتضاعف ...

ص: ١١٣

وفى التراث الدعائيّ الذى ورثناه من أهل البيت (عليهم السلام) كثير من هذا الخطاب الدعائيّ الوعظيّ المزدوج.

ومن ذلك الدعاء الذي علّمه أمير المؤمنين (ع) لكميل بن زياد (رضوان الله عليه): (اللهمّ عظم بلائي، وأفرط بي سوء حالي، وقصرت بي أعمالي، وقعدت بي أغلالِي، وحبسني عن نفعي بعد آمالي، وخدعتني الدنيا بغرورها، ونفسي بخيانتها، ومطالي يا سيّدي. فأسألك بعزتك ألا يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي).

دعاء كميل نموذج:

(إلهي وسيّدي، لأيّ الأمور إليك أشكو، ولما منها أضجّ وأبكي، لأليم العذاب وشدّته، أم لطول البلاء ومدّته ... فهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك).

ومن ذلك الدعاء الذي علّمه عليّ بن الحسين (ع) لأبي حمزة الثماليّ (رحمه الله):

(وأنقلني إلى درجة التوبة إليك، وأعني بالبكاء على نفسي، فقد أفنيت بالتسويّف والآمالِ عمري، وقد نزلت منزلة الآيسين من خيرى، فمن يكون أسوأ حالاً مني إن أنا نُقلت على مثل حالي، إلى قبري، لم أمهده لِرقدتي، ولم أفرشه بالعمل الصالح لِضجعتي؟ ومالي لا ابكي ولا ادري إلى ما يكون مصيري؟ وارى نفسي تُخادعني، وآيامي تُخاتلني، وقد خفقت عند رأسي اجنحة الموت، فمالي لا ابكي؟ ابكي لخروج نفسي، ابكي لِظلمة قبري، ابكي لِضيق لحدى، ابكي لِسؤال مُنكر ونكير آتاي، ابكي لِخروجي من قبري عُرياناً ذليلاً حاملاً تَقلى على ظهري، انظر مرة عن يميني وأخرى عن شمالي، إذ

ص: ١١٤

الخلّاق في شأن غير شأني لكلّ امرئٍ منهم يومئذ شأن يُغنيه وجوه يومئذٍ مُسفرة ضاحكة مُسبّرة و وجوه يومئذٍ عليها غبرة ترهقها قترّة و ذلة.

وفي أدعية الإمام زين العابدين (ع) الكثير من هذا الخطاب الدعائي الوعظي المزدوج.

دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين (ع):

ومن نماذج الخطاب (الدعائيّ الوعظي) المزدوج في كلمات الإمام زين العابدين (ع) دعاء مكارم الأخلاق، يجمع الإمام في خطاب واحد بين الدعاء والتربية الأخلاقية والروحية، وهو الدعاء (٥٥) من الصحيفة السجّادية الكاملة. ولا نريد هنا أن نذكر الدعاء بطوله، فهو دعاء معروف من أدعية الصحيفة الكاملة، يتضمن مفاهيم أخلاقية كثيرة وقيمة، وله شروح كثيرة ومن أفضل الشروح المعاصرة له شرح الشيخ محمد تقى الفلسفى الواعظ الإيراني الفقيه الشهير. ونحن نكتفى بذكر مدخل هذا الدعاء، ونحيل القارئ إلى الصحيفة السجّادية الكاملة.

(اللهم صل على محمد وآله، وبلغْ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وান্তه بنيتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال.

اللهم وقرْ بلطفك نيتي، وصححْ بما عندك يقيني، واستصلح بقدرتك ما فسد مني.

اللهم صل على محمد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له، وأغنني وأوسع عليّ في رزقك، ولا تفتني بالبطر، وأعزني، ولا تبتليني بالكبر، وعبدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب، وأجر للناس على يدى الخير، ولا تمحقه بالمنّ، وهب لي معالي الأخلاق، واعصمني من الفخر.

ص: ١١٥

اللهم صلّ على محمد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلّةً باطنيةً عند نفسي بقدرها.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، ومتّعني بهديّ صالح لا استبدلُ به، وطريقة حق لا أزيغ عنها، ونبيّة رشد لا أشكُ فيها، وعمرّني ما كان عمري بذلة في طاعتك، فإذا كان عمري مرْتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبقَ مقتك إليّ، أو يستحكم غضبك عليّ.

اللهم لا تدعْ خِصلةً تعابُ مني إلا أصلحتّها، ولا عائبَةً أُؤنّبُ بها إلا حسّنتّها، ولا أكرومةً فيّ ناقصةً إلا أنممتّها.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وأبدلني من بغضة أهل الشنآن المحبّة، ومن حسد أهل البغي المودّة، ومن ظنّة أهل الصلاح الثقة، ومن عداوة الأذنين الولائيّة ومن عقوق ذوى الأرحام المبرّة، ومن خذلان الأقربين النُصرة، ومن حبّ المدارين تصحيح المِقة، ومن ردّ الملايسين كرم العشرة، ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمانة.

اللهم صلّ على محمد وآله، واجعل لي يداً على من ظلمني، ولساناً على من خاصمني، وظُفراً بمن عاندني، وهب لي مكرراً على من كادني، وقدرةً على من اضطهدني (...).

وما يهمنّا الآن في هذه النقطة من البحث (الخطاب الوعظي) عند الإمام عليّ بن الحسين (ع)، ودوره في تربيّة الجماعة الصالحة.

ص: ١١٦

نموذج من الخطاب الوعظي لزين العابدين (ع):

ونذكر هنا نموذجاً واحداً من مواعظ الإمام عليّ بن الحسين (ع) برواية ثقة الإسلام الكليني في (روضة الكافي)، ويرويه أيضاً حسن بن عليّ بن شعبة الحرّاني في (تحف العقول)، والصدوق في (الأمالي).

نصّ الخطاب:

روى ثقة الإسلام الكليني في الروضة بسنده المتصل إلى سعيد بن المسيّب، قال: كان عليّ بن الحسين (ع) يعظ الناس، ويزهدهم في الدنيا، ويرغبهم في الآخرة في كلّ جمعة في مسجد رسول الله، وقد حُفِظَ عنه وكُتِبَ عنه، وكان يقول فيما يقول:

(أيّها الناس! اتّقوا الله، واعلموا أنّكم إليه ترجعون، فتجد كلّ نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً، وما عملت من سوء، تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه.

ويحك يا ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه. يا ابن آدم! إن أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً، يطلبك، ويوشك أن يدركك، وكأنّ قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلى قبرك وحيداً، فردّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان ناكرونكير لمساءلتك وشديد امتحانك.

ألا وإن أوّل ما يسألانك عن ربّك الذي كنت تعبده، وعن نبيّك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولّاه، ثمّ عن عمرك فيما كنت أفنيته، ومالك من أين اكتسبته، وفيما أنت أنفقته.

ص: ١١٧

فخذ حذرک، وانظر لنفسک، وأعدّ الجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار، فإنّ تک مؤمناً عارفاً بدينک، متبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله، لقاءک الله حجّتک، وأنطق لسانک بالصواب، وأحسنّت الجواب، وبُشِّرْت بالرضوان والجنّة من

الله عز وجل، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك، تلجلج ١٠٨ لسانك، ودحضت ١٠٩ حجّتك، وعييت ١١٠ عن الجواب، وبُشّرت بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم.

واعلم يا ابن آدم، إن من وراء هذا أعظم وأقطع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، يجمع الله عز وجل فيه الأولين والآخرين، ذلك يوم يُنفخ في الصور، وتُبعر فيه القبور، وذلك يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين، وذلك يوم لا تقال فيه عثرة، ولا يؤخذ من أحد فدية، ولا تُقبل من أحد معذرة، ولا لأحد فيه مستقبل توبة، ليس إلا الجزاء بالحسنات والجزاء بالسيئات.

فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من خير وجده، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من شرّ وجده.

فاحذروا أيها الناس من الذنوب والمعاصي، ما قد نهاكم الله عنها، وحذركموها في كتابه الصادق والبيان الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده، عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا، فإن الله عز وجل يقول: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ١١١ (الأعراف: ٢٠١).

ص: ١١٨

وأشعروا قلوبكم خوف الله، وتذكروا ما قد وعدكم الله في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما قد خوفكم من شديد العقاب.

فإنه من خاف شيئاً حذره، ومن حذر شيئاً تركه.

و لا تكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الدنيا الذين مكروا السيئات، فإن الله يقول في محكم كتابه: أَمْ مِّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ١١٢ [النحل: ٤٥ - ٤٧]

١٠٨ أي تردد.

١٠٩ أي بطلت.

١١٠ أي عجزت.

١١١ مسهم: ألم بهم. طائف من الشيطان: قيل هو الغضب، وكل ما طاف بالإنسان من نزغ الشيطان ووسوسته.

فاحذروا ما حذرکم الله بما فعل بالظلمة فی کتابه، ولا تأمنوا أن ينزل بکم بعض ما تواعد به القوم الظالمین فی الكتاب.

والله لقد وعظکم الله فی کتابه بغيرکم، فإن السعيد من وعظ بغيره، ولقد أسمعکم الله فی کتابه ما قد فعل بالقوم الظالمین من أهل القرى قبلکم حيث قال: وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً [الأنبياء: ١١].

وإنما عنی بالقرية أهلها حيث يقول: وَ أَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ [الأنبياء: ١١]، فقال عز وجل: فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْئَارِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ [الأنبياء: ١٣-١٥].

وأيّم الله، إن هذه عظة لكم وتخويف إن اتعظتم وخفتتم، ثم رجع القول من الله فی الكتاب على أهل المعاصي والذنوب فقال عز وجل: وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ [الأنبياء: ٤٦]

ص: ١١٩

فإن قلتّم أيّها الناس: إن الله عز وجل إنما عنی بهذا أهل الشرك. فكيف ذلك وهو يقول: وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (الأنبياء: ٤٧).

إعلموا عباد الله، إن أهل الشرك لا ينصب لهم الموازين، ولا ينشر لهم الدواوين، وإنما يُحشرون إلى جهنم زُمرًا، وإنما تُنصب الموازين وتُنشر الدواوين لأهل الإسلام.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله عز وجل لم يحبّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه، ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنما خلق الدنيا وخلق أهلها ليلوهم فيها أيّهم أحسن عملًا لآخرتة، وأيّم الله، لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وصرف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوة إلا بالله.

فازهدوا فيما زهدكم الله عز وجل فيه من عاجل الحياة الدنيا، فإن الله عز وجل يقول وقوله الحق: إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ

١١٢ في قلبهم: أى في تصرفهم فى البلاد ليلاً ونهاراً. على تخوُّف: أى ويهلكهم بتخوُّف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم.

أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [يونس: ٢٤].

فكونوا عباد الله من القوم الذين يتفكرون، ولا تركنوا إلى الدنيا، فإن الله عز وجل قال لمحمد (ص): وَ لَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ [هود: ١١٣]، ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركون من اتخاذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنها دار بلغة ومنزل قلعة ودار عمل، فتزودوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرق أيامها، وقبل الإذن من الله في خرابها، فكان قد أخرجها الذي عمرها أول مرة وابتدأها، وهو ولي ميراثها، فأسأل الله العون لنا ولكم

ص: ١٢٠

على تزود التقوى والزهد فيها، جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لأجل ثواب الآخرة، فإنما نحن به وله ١١٥، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ١١٦.

تأملات حول الخطاب:

يقول الإمام علي بن الحسين (ع) في مستهل خطابه:

(اتَّقُوا اللَّهَ، واعلموا أنكم إليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء، تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً).

هذا الخطاب مقتبس من قوله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ. [آل عمران: ٣٠].

١١٤ الركون: الميل والرضا بأعمال الظلمة.

١١٥ أي إنما نحن موجودون بالله تعالى وله، ففي الأول إشارة إلى تفويض الأمور كله إليه، وفي الثاني إشارة إلى طلب التقرب منه بالإتيان بالمأمورات والاجتناب عن المنهيات، وبهذا يتم النظام في الدارين وعلو المنزلة في النشاطين، شرح اصول الكافي، المازندراني: ١١ / ٤١٥.

١١٦ روضة الكافي، ضبط وتصحيح الشيخ جعفر شمس الدين، دار التعارف - بيروت: ٤٤ - ٤٧.

والأمالى للصدوق، ص ٤٠٧ - ٤٠٩، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. وتحف العقول لحسن بن علي بن شعبة الحراني: ٥٩، بحار الأنوار: ٢٢٣ / ٦ و ٧٥ / ١٤٣.

والآية الكريمة تشير إلى حقيقة هامة، وهي حضور الأعمال بنفسها يوم القيامة، فإنَّ لعمل الإنسان ظاهراً وباطناً، والذي يعرفه الناس من عملهم في الدنيا هو ظاهر العمل، وأمَّا باطن أعمالهم فيتعرفون عليه في الآخرة... ولعلَّ الآية الكريمة من سورة النساء تشير إلى هذا المعنى:

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا. [النساء: ١٠] ... إن الذين يأكلون أموال اليتامى يرون أنَّهم

ص: ١٢١

يأكلون الدرهم والدينار والذهب والفضة...، إلا أنَّهم في الحقيقة يأكلون النار الحارقة ولا يشعرون، فإن باطن هذه الدراهم والدنانير التي يأكلونها النار، غير أنَّهم لا يشعرون بذلك في الدنيا.

فإذا ماتوا وجدوا أعمالهم بباطنها وحقيقتها قد سبقتهم إلى الحياة الآخرة فتحضر لهم أعمالهم يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملتُ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ...

وعندئذٍ يتمنى الإنسان أن يكون بينه وبين سيئات أعماله أمداً بعيداً، ولكنها تلتصق به التصاقاً شديداً، لا تفارقه قط، ولا يجد سبيلاً للتخلص منها.

يقول تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. [الزلزلة: ٧ - ٨].

وآية سورة الزلزلة واضحة في أنَّ الإنسان يقدم على عمله، ويرى عمله يوم القيامة.

فينعم الصالحون يومئذٍ بأعمالهم الصالحة، ويشقى الفاسقون بأعمالهم السيئة.

الغافل غير المغفول عنه:

ثم يحذّر الإمام الناس عن الغفلة، ويصفهم بهذا الوصف المثير: (ويحك يا ابن آدم الغافل، وليس مغفولاً عنك)، وهو وصف ينطبق انطباقاً دقيقاً على كثير من الناس. يعيشون في غفلة تامة عن الله، وعن الموت وعن أنفسهم، وكأنَّه ليس من ورائهم حساب على أعمالهم، ولا ينفذ أجلهم وكل لحظة تمر عليهم يقتطع الزمان من عمرهم قطعة لا تعود إليهم أبداً ... ولو علموا أنَّهم غير مغفول عنهم إذا غفلوا، حافظوا على وعيهم وانتباههم.

ص: ١٢٢

فيحذّرهم الإمام من هذه الغفلة القاتلة، ويقول: (يا ابن آدم الغافل، وليس مغفولاً عنه)، وهذا أضعف ما يمكن أن يكون عليه المقاتل في ساحة القتال يغفل عن عدوّه، وعدوّه يرصده رصداً دقيقاً ولا يغفل عنه.

والإنسان الغافل يعيش في الدنيا بين رصدين، عدوّ يرصده وهو الشيطان لينقضّ عليه، في لحظات الغفلة فيهلكه، وورقيب يرقبه ويرصد أعماله، ليحاسبه على أعماله يوم يلقي الله، ولا تخفى عليه خطرات قلبه وكوامن نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، ومن العجب أن يعيش الإنسان بين هذا الرصد وذلك الرصد غافلاً.

مواقف السؤال:

ثمّ ينتقل الإمام (ع) إلى مواقف السؤال، وخير ما ينبّه الغافلين من غفلاتهم تذكيرهم بمواقف السؤال، وهي أشقّ المواقف على الإنسان منذ أن يفارق الإنسان الدنيا ... وأوّل موقف من مواقف السؤال عندما يضعه أهله وأحبته في حفرة ثمّ يتفرّقون عنه، ويتركونه وحيداً.

يقول الإمام (ع): (قد قبض الملك روحك، وصيرك إلى قبرك وحيداً، تُردُّ إليك روحك، واقتحم عليك ملكان (ناكر) و (نكير) لمساءلتك وشديد امتحانك).

وما أشد وقع المساءلة على الإنسان، إذا كان لم يعدّ نفسه من قبل لمثل هذه المسائلة ... ولو أن الإنسان يعي أن من وراء كلّ عمل من أعماله سؤالاً وحساباً لم يستسلم للغفلة، وحاسب نفسه، قبل أن تحاسبه ملائكة السؤال والحساب.

وأوّل سؤال تسأله ملائكة الحساب عن عقائده (عن ربّك الذي كنت تعبد، وعن نبيّك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلو، وعن إمامك الذي كنت تتولاه).

ص: ١٢٣

فإن الإيمان بالله ورسوله وملائكته ودينه والولاية لأولياء الأمر هو الأساس الذي يصدر عنه العمل، والعمل الذي يصدر عن غير أساس، مبتور، لا قرار ولا قيمة له.

ولا بدّ من أن يبني الإنسان أعماله على أساس محكم من الإيمان، ويبني إيمانه على أساس من الحجّة.

والإيمان الذي لا يعتمد على الحجّة والدليل لا قيمة له عند المسائلة والحساب، كما أن العمل الذي يصدر من غير الإيمان لا قيمة له ...

ولأمر ما يعقّب القرآن العمل الصالح بالإيمان ١١٧ فإن العمل الصالح ثمرة الإيمان، ولا ينفكّ عنه، ولن يكون الإيمان والعمل الصالح لا يصدر إلا عن الإيمان، وكل عمل يصدر من غير إيمان واعتقاد قائمين على الحجة والدليل، فاقد للقيمة الأساسية في العمل الصالح، فإن العمل الصالح ليس جهداً صالحاً فقط، كيفما كان مصدر هذا الجهد ومبعثه، وإنما تقوّمه النية الصالحة، وهذا هو الشرط الثاني من مقومات العمل الصالح.

والنية الصالحة، بالنظر الدقيق الكلية، تعتمد على الإيمان القائم على الحجة والدليل وهذا هو الشرط الثالث من مقومات العمل الصالح.

(١) الصلاح، (٢) النية، (٣) الإيمان:

إذن السؤال يتمّ على محورين لا يعنى عنهما الإنسان: الإيمان والعمل.

يقول زين العابدين (ع) عن المحور الثاني (وعن عمر ك فيما أفنيتنه، وعن مالك فيما أنفقته).

ص: ١٢٤

الهول الأكبر من أهوال ما بعد الموت:

وهو هول يوم القيامة يوم يحشر الناس كالجراد المنتشر.

فَقَوْلُ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (القمر: ٦-٨).

وأى يوم رعب هذا اليوم الذى يمتدّ على الناس فى مواقف الحساب خمسين ألف سنة، وأى حساب عسير هذا الحساب فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبراً جميلاً إنهم يرونه بعيداً و نراه قريباً يوم تكون السماء كالمهل و تكون الجبال كالعهن ولا يسئل حميم حميماً [لمعارج: ٤-١٠]!

ويحشر الناس يومئذ، ولا يسأل حميم عن حميم، ويتشرون كالفراس المبتوث، هم كل واحد منهم أن يتخلص من عذاب جهنم، ويعبر الصراط إلى الجنة.

ونقرأ سورة القارعة، فتقف كل شعرة فى جسم الإنسان، إذا قرأها حقّ قراءتها، من هول ذلك اليوم الرهيب.

الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ فَأَمَّا مَنْ
نَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ نَارٍ حَامِيَةٍ [(سورة القارعة): ١-٢].

ويضرب الناس في ذلك اليوم الرهيب زلزال عظيم يفقد الناس فيه صوابهم، ويمسسون وكأنهم سكارى، وما هم بسكارى،
ولكن هول ذلك اليوم الرهيب يفقدهم الصواب، فيترأى لمن يراهم أنهم سكارى، وما هم بسكارى، ولكن

ص: ١٢٥

عذاب الله شديد يا أيها الناس اتقوا ربكم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [الحج: ١-٢].

ولا يمرّ على الإنسان هول أعظم من هذا الهول الذي يصيب الناس يوم الزلزال الأكبر، وناهيك في ذلك أن العظيم تبارك
وتعالى يعبر عن زلزال هذا اليوم بأنه (شيء عظيم) ...

في هذا الزلزال تذهل المرضعة عما أرضعت، وهو أكثر ما يمكن أن يتصوره الإنسان من الهول الذي يصيبه، حتى تذهل
المرضعة عما أرضعت ... أعاذنا الله من هول ذلك اليوم بظلال أمانه الذي يرزق عباده الصالحين، ولسنا منهم، ولكننا نرجو
أن يعاملنا بفضله ولطفه، وليس بعدله.

وتقرأ آيات سورة المعارج فتمتلئ قلوبنا رهبةً وهيبةً من ذلك اليوم الرهيب الذي يمتدّ خمسين ألف سنة ... كلّ حساب
ومساءلة، يمتدّ هذا الزمن الطويل، وكلّ رهبةً وخوف، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر.

وليس ببعيد ذلك اليوم الرهيب ولكنّ الناس عنه في غفلةٍ وسبات. يومئذ تكون السماء كالمهل (النحاس المذاب) من شدّة
الحرّ الذي تصبّه عليهم السماء، أو الزيت الذي يغلى من شدّة الحرّ، والجبال يومئذ كالصوف المنفوش وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ [المعارج: ٩].

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ [القارعة: ٥].

والصوف المنفوش الصوف الذي فقد تماسكه وأصبح هشاً بعد تصلّب، ولعلّ ذلك من أثر الزلزال العظيم الذي تصيب ساحة
الحشر فتتهزّ له الجبال هزّات قويّة، فتكون كالعهن المنفوش.

وكلّ إنسان مشغول بشأنه في ذلك اليوم العسير، لا يسأل حميم عن حميم.

ص: ١٢٦

يومئذ يودّ المجرم لو يدفع عذاب ذلك اليوم عنه بأعزّ من يعرف من أهله وأبنائه وزوجته وإخوانه وعشيرته، ومن في الأرض جميعاً وينجو بذلك من عذاب الله ... ولكن هيهات (كلاً).

ثمّ تقرر آيات المعارج هذه الحقيقة المرّة (أنّها لظي) تتلّظي، وتلتهب على المجرمين وتنزع من شدة الحر جلود رؤوسهم نزاعاً للشوى.

ولنقرأ هذه الآيات من سورة المعارج، وهي كما قلنا في الآيات التي تلونها من قبل من سورة القارعة إذا أعطاه الإنسان حقّها من القراءة والوعى تقف عند قراءتها كلّ شعرة في جسمه من هول ذلك اليوم: سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبراً جميلاً إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسئل حميمٌ حميماً يبصرونهم يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ بنيه وصاحبه وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثمّ ينجيه كلّاً إنّها لظي نزاعاً للشوى تدعوا من أدبر وتولّى وجمع فأوعى [المعارج: ١ - ١٨].

يقول الإمام عليّ بن الحسين (ع) عن هذا اليوم المهيّب، وعن هذا الهول الأعظم:

(واعلم أن من وراء هذا (يعنى مسألة القبر والبرزخ) أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس (...).

ص: ١٢٧

التحذير من المعاصي:

ثمّ يحذّرهم الإمام ذنوبهم وآثارهم وتبعاتها السيئة على دنياهم وآخرتهم ومعاشهم ومعادهم. (فاحذروا) أيّها الناس من المعاصي، ما قد نهاكم الله عنه، وحذركموها في كتابه الصادق الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا ... فاشعروا قلوبكم خوف الله، وتذكروا ما وعدكم في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما خوّفكم من شديد عقابه.

يقول سبحانه: أَمِنْ الَّذِينَ مَكُرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ [النحل: ٤٥].

إن للذنوب آثاراً سيئة في دنيا الناس ومعاشهم وآثاراً أسوأ في معادهم وآخرتهم.

أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِدُنْيَا النَّاسِ فَإِنَّ لِلذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ آثَاراً تَخْصُّ الْعَامِلِينَ بِهَا.

وهناك ذنوب ترتكب من ناحية المجتمع، وتشيع في أوساط الناس، دون أن يقابلها إنكار للمنكر بحجم الذنوب والمعاصي، وبحجم الأمة ... عندئذ العذاب ينزل على الأمة كلها، وليس على المذنبين والعاصين بالخصوص، وهو قوله: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال: ٢٥].

والعقوبات التي تخص هذه الذنوب إبتلاءات ومصائب عامة وسقوط حضارى، كما يحدثنا القرآن في الأمم السابقة، وكما عرفنا في عصرنا ذلك في سقوط دولة الإلحاد في الاتحاد السوفيتي السابق.

يقول تعالى: فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ [الأنعام: ٤].

وفى قوم نوح يقول تعالى: مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا [نوح: ٢٥].

ص: ١٢٨

فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ [البقرة: ٥٩].

والمعلوم أن الرجز الذى نزل من السماء عم الجميع، وأن الجميع لم يكونوا من الظالمين، فعمهم العذاب، عندما شاعت فيهم الذنوب، وانقطع فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا [النمل: ٥٢].

فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا [الشمس: ١٤].

وأما الذنوب التي لا تعم المجتمع، فهي التي يقابلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنها تكون بحجم المعصية وبحجم العاملين بالمعصية، والعذاب في مثل هذه الذنوب يقع على المذنبين خاصة، كما ذكرنا.

يقول تعالى: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ [الشورى: ٣٠].

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [آل عمران: ٢٥].

ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة: ٢٨١].

هذا كله فيما يصيب الناس من عقوبة في معاشهم ودنياهم على ذنوبهم ...

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِعُقُوبَاتِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهَا لَا تَنْزِلُ إِلَّا عَلَى الْعَصَاءِ وَالْمُذْنِبِينَ خَاصَّةً، وَبِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الأنعام: ١٦٤].

ذلك أن يوم القيامة يوم الفصل، يفصل فيما بين الناس فلا يتحمّل برىء عقوبة المجرمين.

وهذه العقوبات هي التي تحدّثنا عنها فى العنوان السابق (الهول الأكبر) يوم القيامة.

ص: ١٢٩

يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَى نَزَاعَةً لِلنَّسْوَى تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى [المعارج: ١١ - ١٨].

هذه العقوبة تخصّ المجرمين فقط يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ، وهذه العقوبة تدعو فقط من أدبر وتولّى وجمع فأوعى.

السعيد من وعظّ بغيره:

ويحذّرهم الإمام (ع) أن يكونوا عظة للآخرين ... وإنّما على المؤمن أن يتّعظ بالآخرين، ولا يكون موعظة لهم (فاحذروهم ما حذركم الله بما فعل الظّلمة فى كتابه ... والله لقد وعظكم الله فى كتابه بغيركم، وإن السعيد من وعظ بغيره) إنّ الله تعالى يعظنا فى كتابه بالأشقياء من الناس، الذين أسقطتهم سيئاتهم وظلمهم فى الهاوية ...

فعلينا أن نتّعظ بهم، ونحذر أن تقع فيما وقعوا فيه، فإن شقائهم وسقوطهم لنا موعظة ودرس، علينا أن نستفيد منه ... وحذار حذار أن يكون المسلم هو نفسه درساً وموعظة للآخرين ... إذا لم ينتفع هو بسقوط الظالمين والمذنبين وشقاوتهم من قبل.

(فكونوا أيّها المؤمنون من القوم الذين يعقلون).

فإن الغفلة عن موارد العظة ممن جاء قبلنا من الناس تأتى بسبب تعطيل العقول ... والعقول من المواهب الإلهية العظيمة، التى يخسرها الإنسان إذا عطّلها كما يخسر الإنسان كلّما رزقه الله تعالى من المواهب، إذا عطّلها.

ص: ١٣٠

الركون إلى الدنيا والركون إلى الظالمين:

ويحدّثنا الإمام في خاتمة هذا الدرس عن ركوتين، هما سبب الكثير من ابتلاءات الإنسان ومصائبه في هذه الدنيا والآخرة، وهو الركون إلى (الدنيا) والركون إلى (الظالمين):

يقول (ع):

ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وما فيها ركون من اتخذها دار قرار ومنزل شيطان فإنّها دار قلعة ومنزل بلغة، ودار عمل. وهذا هو الركون الأوّل.

والركون الثاني: الركون إلى الظالمين، فإن الله قال: وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ [هود: ١١٣].

هذا الركون وذلك الركون يستنزلان غضب الله وعذابه. الركون إلى الدنيا وزخرفها ومتاعها، يطيل أمل الإنسان في الدنيا، وطول الأمل في الدنيا يعادل دائما نسيان الموت والآخرة... وهما بمعنى الإعراض عن الله تعالى ونسيانه. والدنيا، كما يقول الإمام (ع) ليست بدار قرار واستيطان، وإنّما هي منزل قلعة، سرعان ما يقلع الإنسان عنه، ومنزل بلغة، يبلغ بها وفيها ما قسم الله لعباده الصالحين في نعيم رضوانه وجناته.

فمن جعلها دار قرار واستيطان، استغرقته، وبقدر ما تستغرقه الدنيا يخسر الآخرة، والإعداد والتحضير لها.

والركون إلى الظالمين، بمعنى نفى الركون إلى الله، فلا يمكن أن يجمع الإنسان بين الركون إلى الله والثقة به والاطمئنان إلى الظالمين.

ولا يمكن أن يستشعر الإنسان الأمن والاطمئنان بجوار الله، وفي نفس الوقت يستشعر الأمن والاطمئنان بجوار أعداء الله. إن الركون إلى الظالمين يسلب صاحبه الركون إلى الله بالتأكيد.

ص: ١٣١

وما أشقى الإنسان وأعظم بؤسه إذا انتزع من نفسه وقلبه الركون إلى الله العلى الأعلى، واستبدله بالكون إلى الظالمين!

يقول تعالى: وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ [هود: ١١٣].

خطاب وعظي آخر للإمام زين العابدين (ع):

وفيما يلي نروى خطاباً وعظياً آخر للإمام زين العابدين (ع) برواية الشيخ الكليني في روضة الكافي.

عن أبي حمزة قال: ما سمعت بأحد من الناس كان أزهد من عليّ بن الحسين (عليهما السلام) إلا ما بلغني من عليّ بن أبي طالب (ع).

قال أبو حمزة: كان الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) إذا تكلم في الزهد ووعظ أبكى من حضرته.

قال أبو حمزة: قرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام عليّ بن الحسين (عليهما السلام)، وكتبت ما فيها، ثم أتيت عليّ بن الحسين صلوات الله عليه، فعرضت ما فيها عليه، فعرفه، وصححه.

وكان ما فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم. كفانا الله وإياكم كيد الظالمين، وبغى الحاسدين وبطش الجبارين.

أيّها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد ١١٨، غدا. واحذروا ما حذرکم الله منها، وازهدوا فيما زهدکم

ص: ١٣٢

الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا، ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان.

والله إن لكم مما فيها عليها دليلاً وتنبيهاً من تصريف أيامها وتغيّر انقلايها ومثالاتها ١١٩. وتلاعبها بأهلها، إنها لترفع الخميل ١٢٠. وتضع الشريف، وتورد أقواماً إلى النار غدا، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه.

إنّ الأمور الواردة عليكم في كلّ يوم وليلة من مظلمات الفتن ١٢١، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبه السلطان، ووسوسة الشيطان، لتثبط القلوب ١٢٢ عن تنبّيها، وتذهلها عن موجود الهدى، ومعرفة أهل الحق، إلا قليلاً ممّن عصم الله.

١١٨ الحطام: ما يكسر من البيس، والهامد: البالي المسود المتغيّر، واليابس من النبات، والهشيم من النبات: اليابس المتكسر، والبائد: الذاهب المنقطع أو الهالك.

١١٩ المثالات: العقوبات.

١٢٠ الخامل: الساقط الذي لا نباهة له.

١٢١ في بعض النسخ (ملمات).

١٢٢ التثييط: التعويق والشغل عن المراد.

فليس يعرف تصرّم أيّامها، وتقلّب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنها إلا من عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثم استعان على ذلك بالزهد، فكّرّ الفكر، واتعظ بالصبر، فازدجر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجاوى عن لذّاتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها، وراقب الموت، وشأن الحياة ١٢٣ مع القوم الظالمين.

نظر إلى ما في الدنيا بعين نبيرة حديدة البصر ١٢٤، وأبصر حوادث الفتن، وضلال البدع، وجور الملوك الظلمة.

ص: ١٣٣

فلقد لعمرى استدبرتم الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة، والانهماك ١٢٥ فيها، ما تستدلّون به على تجنب الغواية وأهل البدع والبغى والفساد في الأرض بغير الحقّ.

فاستعينوا بالله، وارجعوا إلى طاعة الله وطاعة من هو أولى بالطاعة ممن اتّبع فاطيع.

فالحذر، الحذر، من قبل الندامة، والحسرة، والقُدوم على الله، والوقوف بين يديه.

وتالله ما صدر قوم قطّ من معصية الله إلا إلى عذابه، وما آثر قوم قطّ الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم، وساء مصيرهم، وما العلم بالله والعمل إلا إلفان مؤتلفان ١٢٦.

فمن عرف الله خالقه، حتّ خوف على العمل بطاعة الله.

وإنّ أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه. وقد قال الله: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر: ٢٨].

فلا تلتمسوا شيئاً مما في هذه الدنيا بمعصية الله، واشتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله، واغتنموا أيّامها، واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله، فإن ذلك أقلّ للتبعة، وأدنى من العذر، وأرجأ للنجاة، فقدّموا أمر الله وطاعة من أوجب الله طاعته بين

١٢٣ الشنّاءة: البقض، وشنّاءة: أبغضه.

١٢٤ في بعض النسخ (حديدة النظر).

١٢٥ الانهماك: التماهى في الشيء واللجاج فيه.

١٢٦ الألف: الأليف.

يدى الأمور كلّها، ولا تقدّموا الأمور الواردة عليكم من طاعة الطواغيت من زهرة الدنيا بين يدى الله على طاعته وطاعة أولى الأمر منكم.

واعلموا أنّكم عبيد الله، ونحن معكم، يحكم علينا وعليكم سيّد حاكم غدا، وهو موقفكم ومسائلكم، فأعدّوا الجواب، قبل الوقوف، والمسائلة والعرض على ربّ العالمين، يومئذ لا تكلم نفس إلاّ بأذنه.

ص: ١٣٤

واعلموا أنّ الله لا يُصدق يومئذ كاذباً، ولا يكذب صادقاً، ولا يردّ عذر مستحق، ولا يعذر غير معذور، له الحجة على خلقه بالرسل والأوصياء بعد الرسل.

فاتّقوا الله عباد الله، واستقبلوا فى إصلاح أنفسكم وطاعة الله ١٢٧ وطاعة من تولونه فيها، لعلّ نادماً قد ندم فيما فرّط بالأمس فى جنب الله، وضيع من حقوق الله. واستغفروا الله، وتوبوا إليه، فإنّه يقبل التوبة، ويعفو عن السيئة، ويعلم ما تفعلون.

وإياكم وصحبة العاصين، ومعوّنة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنّهم وتباعدوا من ساحتهم ١٢٨.

واعلموا أنّه من خالف أولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبدّ بأمره دون أمر ولى الله كان فى نار تلتهب، تأكل أبداناً قد غلبت عليها شقوتها.

واعتبروا يا أولى الأبصار، واحمدوا الله على ما هداكم، واعلموا أنّكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته، وسيرى الله عملكم ورسوله ثمّ إليه تحشرون، فانتفعوا بالعظة وتأدّبوا بآداب الصالحين ١٢٩.

تأمّلات فى خطاب الإمام (ع):

يقول الإمام علىّ بن الحسين (عليهما السلام) فى هذا الخطاب:

١٢٧ فى بعض النسخ (فى إصلاح أنفسكم فى طاعة الله).

١٢٨ الساحة: الناحية.

١٢٩ روضة الكافي: وهى الجزء الثامن من الكافي: ١٦ - ١٧ وبحار الأنوار: ٧٥ / ١٥٠ وتحف العقول فى فصل مواعظ وحكم الإمام علىّ بن الحسين (ع):

١٨١ - ١٨٢ منشورات بصيرتى / قم.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا يَفْتَنَّكُمْ الطَّوَاعِيتُ وَاتَّبَاعُهُمْ مِنْ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، الْمَائِلُونَ إِلَيْهَا، الْمُقْتَنُونَ بِهَا، الْمُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَعَلَى حَطَامِهَا الْهَامِدِ.

ص: ١٣٥

وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا، وَازْهَدُوا فِيمَا زَهَّدَكُمُ اللَّهُ فِيهِ مِنْهَا، وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا رَكُونَ مِنْ اتِّخَذَهَا دَارَ قَرَارٍ وَمَنْزَلَ اسْتِيطَانٍ

. فِتْنَةُ الطَّاعُوتِ:

الهُوَى وَالطَّاعُوتُ أَعْظَمُ خَطَرَيْنِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ. الْهُوَى مِنْ (دَاخِلِ النَّفْسِ) وَالطَّاعُوتُ فِي سَاحَةِ الْحَيَاةِ (عَلَى الْأَرْضِ). وَفِتْنَةُ الطَّاعُوتِ فِي إِخْرَاجِ النَّاسِ مِنْ دَائِرَةِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ إِلَى دَائِرَةِ عِبَادَةِ الطَّاعُوتِ وَطَاعَتِهِ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاعُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة: ٢٥٧].

وَعِبَادَةُ الطَّاعُوتِ طَاعَتُهُ وَاتِّبَاعُهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ ... وَقَدْ وَرَدَ التَّعْبِيرُ عَنْ طَاعَةِ (الطَّاعُوتِ) وَ (الشَّيْطَانِ) بِالْعِبَادَةِ فِي الْقُرْآنِ فِي أَكْثَرِ مَوَاقِعَ.

وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاعُوتَ [المائدة: ٦٠].

وَعَنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ:

أَلَمْ أُعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [يس: ٦٠ - ٦١].

وَفِتْنَةُ الطَّاعُوتِ فِي تَطْوِيعِ النَّاسِ لَطَاعَتِهَا هِيَ بِالْإِرْهَابِ وَالْإِغْرَاءِ وَالتَّغْيِيرِ (التَّضْلِيلِ).

فَإِذَا افْتَنَّ الطَّاعُوتُ النَّاسَ تَحَوَّلَ الْإِنْسَانُ إِلَى أَدَاءِ طَبِيعَةٍ مُطِيعَةٍ لِإِرَادَتِهِ، لَا يَسْعَى أَنْ يَعْصِيَهُ، بَلْ يَفْهَمُ الْأَشْيَاءَ كَمَا يَفْهَمُ الطَّاعُوتُ، وَلَا يَكُونُ بَوْسَعَهُ أَنْ يَرَى الْأَشْيَاءَ وَيَفْهَمُهَا بِغَيْرِ مَا يَرَاهُ الطَّاعُوتُ وَيَفْهَمُهَا.

وَلَقَدْ أَنْكَرَ فِرْعَوْنُ عَلَى السَّحَرَةِ إِذْ آمَنُوا بِآلِهِ مُوسَى قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ.

ص: ١٣٦

قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ [الأعراف: ١٢٣].

إنَّ فرعون يتوقَّع من الناس أنَّ يتبعوا في إيمانهم وقناعاتهم إذن فرعون، وما لم يأذن لهم بقناعة أو إيمان كان عليهم أنَّ يثبتوا على القناعات الرسميَّة التي يرسمها لهم الطاغية ... وهذه خصلة أصيلة في كلِّ الطغاة على اختلاف درجاتهم في الطغيان.

فإذا تمكَّن الطاغية من تطويع الناس لإرادته وفهمه وذوقه ... فقد تحول الناس عندئذ إلى كتلة بشريَّة (إمعة) فاقدة للإرادة والوعي والضمير.

وكيف يتمُّ للطاغية استفراغ شخصيَّة الإنسان من وعيه وعقله وإرادته وضميره وسائر المواهب التي وهبها الله تعالى للإنسان؟

الجواب في القرآن:

يقول تعالى عن فرعون: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ [الزخرف: ٥٤].

والمقصود بذلك فرعون.

استخفَّهم: أى استفرغ فرعون نفوسهم وعقولهم من الوعي والعقل والإرادة والبصيرة والمواهب التي يرزق الله تعالى الإنسان.

وعندما يفقد الإنسان وعيه وإرادته وضميره وعقله يصبح خفيفاً حسب الموازين الإنسانيَّة، فاقداً للوعي والارادة، فيطفو ويتعوَّم خفيفاً بين يدي الطاغوت، فيحركه ويوجَّهه كما يريد، كما تطفو الخشبة العائمة على سطح الماء، فتأخذها الأمواج يميناً وشمالاً من غير مقاومة (فاستخفَّ قومه فطاعوه).

ويصف الإمام أتباع الطاغوت الذين يعبدونه من دون الله بهذه الأوصاف:

(أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد ...).

ص: ١٣٧

إذن يتَّضح لنا من خلال هذه الكلمات كيف يستلب الطاغوت وعى الناس ورشدهم وعقلهم وإرادتهم ومقاومتهم.

إنَّ الطاغوت ومن قبله الشيطان يجد في الناس ميلاً إلى الدنيا ورغبة قويَّة، وتعلُّقاً شديداً بها وضعفاً تجاهها.

فيطمعهم الطاغوت بالدنيا، ويغريهم ويهددهم بها، فيتمكّن منهم، ويمكنونه من أنفسهم وعقولهم وإرادتهم وضمائرهم، فيستلبهم عند ذلك كلّ هذه المواهب الإلهية العظيمة، فيصبحون خِفَافاً في ميزان القوى.

إذن مصيبة الإنسان الكبرى في فتنة الطاغوت.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ [البقرة: ٢٥٧].

فتنة الدنيا:

وجذور فتنة الطاغوت في فتنة الدنيا، وإذا أردنا مكافحة فتنة الطاغوت فلا بدّ أن نعمل لعلاج فتنة الدنيا في حياة الإنسان، فيقدّم الإمام علاجين لفتنها.

يقول (ع) كما في الفقرة المتقدمة من كلامه:

واحذروا ما حذّرکم الله منها، وازهدوا فيما زهّدکم الله فيه منها، ولا تركزوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من إتّخذها دار قرار ومنزل استيطان.

التقوى والزهد:

والنقطة الأولى في علاج فتنة الطاغوت هي أن يحذر الإنسان مما حذّره الله تعالى من فتن الدنيا التي حرّمها الله، كالسكر، والفحشاء، والمال الحرام، واللّهو الحرام.

ص: ١٣٨

وهذا هو التقوى.

فقد أحلّ الله تعالى للإنسان أن يسعى في مناكب الأرض ويتمتع برزق الله.

فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ [الملك: ١٥].

وجعل لهم فيها حدوداً، وحذّرهم من أن يتعدّوها.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا [البقرة: ١٨٧].

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [الطلاق: ١].

والتقوى هو الالتزام بحدود الله تعالى.

وهذا هو العامل الأول الذى يحفظ الإنسان من فتنه الدنيا (فاحذروا ما حذرکم الله منها).

والعامل الثانى لمكافحة فتنه الدنيا الزهد وعدم الركون إلى الدنيا.

يقول (ع):

وازهّدوا فيما زهّدکم الله فيه منها، ولا تركزوا إلى ما فى هذه الدنيا ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان

. إن (الزهد) غير (التقوى).

ولا يمكن علاج فتنه الدنيا بالتقوى فقط من دون الزهد. وسوف يتضح لكم وجه هذه الحقيقة.

إن حقيقة الزهد تحرير النفس من التعلّق بالدنيا، وليس من التمتع والانتفاع بالدنيا، ومصيبة الإنسان في التعلّق بالدنيا، وليس فى التمتع بالدنيا، وإن كان الاستغراق فى التمتع بطيبات الحياة يؤدّي إلى التعلّق بالدنيا غالباً.

يصف أمير المؤمنين (ع) الزهد، فيقول: الزهد كلّ بين كلمتين من القرآن:

قال الله سبحانه: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ [الحديد: ٢٣].

ومعنى الآية أن أساس مصيبة الإنسان سقوطه فى الحزن (الأسى)، بما فاتته والفرح بما آتاه.

ص: ١٣٩

وفى هذا الحزن والفرح يكمن تعلّق الإنسان بالدنيا وحطامها ومتاعها.

والتعلّق بالدنيا وحبّها رأس كلّ خطيئة فى حياة الإنسان.

عن أبى عبد الله الصادق (ع):

جعل الشرّ كلّ فى بيت، وجعل مفتاحه حبّ الدنيا، وجعل الخير كلّ فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا

١٣٠.

وعن عليّ بن الحسين (عليهما السلام):

حب الدنيا رأس كل خطيئة

١٣١.

وعنه (ع) أيضاً

حبّ الدنيا يعمى ويصم ويبكم ويذل الرقاب

١٣٢.

وتعبير الإمام (ع) دقيق. إنّ حبّ الدنيا يسلب الإنسان وعقله وبصيرته، فهو (يُعمى ويُصمُّ الإنسان) ويسلب منه القدرة على الخطاب (ويبكم)، ويذله ويذل رقبته، ويطوّعه لسلطان الطاغوت وإرادته.

وحب الدنيا هو الركون إلى الدنيا الذي يحذرنا منه الإمام عليّ بن الحسين (ع) في كلمته السابقة.

ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من إتّخاذها دار قرار ومنزل استيطان

. إنّ الركون إلى الدنيا، وسكون نفس الإنسان إليها لا يكون إلا عند التعلّق بالدنيا والانشداد إليها، وهو أساس مصائب الإنسان.

وما للإنسان وللتعلّق بالدنيا؟ والدنيا دار قلعة، يقلع الإنسان منها أحبّ أم لم يحب، وليست بدار قرار.

عن رسول الله (ص):

ما أنا والدنيا؟ إنّما مثلى ومثل الدنيا كمثل رجل راكب، مرّ على شجرة لها فيئ فاستظلّ تحتها. فلما أن مال الظلّ عنها ارتحل، وذهب وتركها

١٣٣.

١٣١ مشكاة الأنوار للطبرسي: ١ / ٢٠٤.

١٣٢ المصدر السابق: ١ / ٢٠٥.

١٣٣ المصدر السابق: ١ / ٢٠٥.

ص: ١٤٠

وعن أمير المؤمنين (ع):

واحدركم الدنيا فإنها دار قلعة وليست بدار نجعة

١٣٤.

ويقول علي بن الحسين (عليهما السلام):

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، ولا تركنوا إلى زهرة الحياة الدنيا، وما فيها ركون ... فإنها دار قلعة وبلغة ودار

عمل

١٣٥.

الركونان اللذان يفسدان الناس:

يذكرنا الإمام علي بن الحسين (ع) في هذه الكلمة بالركونين اللذين يفسدان الناس:

الركون الأول: الركون إلى الظالمين.

يقول تعالى: وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ [هود: ١١٣].

والركون الثاني الذي يفسد الناس: الركون إلى الحياة الدنيا.

يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ

الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ [التوبة: ٣٨].

والرضا بالحياة الدنيا هو الركون إلى الدنيا.

ويقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يونس: ٧-٨].

وهذه الطمأنينة بالدنيا هي الركون إلى الدنيا والرضا بها والاطمئنان إليها، وهو أحد الركونين المحظورين في منهج التربية الإسلامية.

ص: ١٤١

إذن المحظور من الدنيا أمران.

(التعلق بها) و (الركون إليها). والركون هو الاطمئنان.

والسائق من الدنيا هو التعامل معها والتمتع بطبيعتها، ولكن بشرط ألا يستغرق هذا التعامل الإنسان، فإن الاستغراق في التعاطي مع الدنيا يؤدي بالإنسان غالباً إلى المحظورين اللذين ذكرناهما وهما التعلق والحب أولاً، والاطمئنان والركون ثانياً. وكيف يمكن الركون إلى الدنيا؟ وهي دار قلعة، كما قال أمير المؤمنين (ع)، وما أسرع ما يقلع الإنسان عنها شاء أم أبى، ورضى أم سخط.

والاطمئنان والركون الذي يأمرنا الإسلام به في منهج التربية الإسلامية هو الاطمئنان بذكر الله والركون إلى الله ورحمته والرجاء برحمة الله.

يقول تعالى: أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد: ٢٨].

يقول علي بن الحسين (ع):

والله إنَّ لكم مما فيها عليها دليلاً وتنبيهاً من تصريف أيامها وتغيير انقلابها، ومثلاتها وتلاعبها بأهلها، وإنَّها لترفع الخميل، وتضع الشريف، وتورد أقواماً إلى النار غداً، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه

. إن الدنيا حلوة، خضراء، لاهية، فاتنة، تفتن أهلها وتلهيهم، وتجذبهم، وتسحر عيونهم، لكن الذين ينظرون إلى الدنيا من خلال تقلباتها ومثلاتها (شدائدها، وعذابها، ومعاناتها) وتغريها بأهلها، وتصمّ أيامها، وانقضاء لذاتها وشهواتها لا تسحرهم الدنيا ولا تفتنهم ويحذرون من أن تفتنهم وتسحرهم.

إنّ الدنيا ترفع الوضيع الخامل، وتضع الشريف النابه ... ومن هذه الدنيا يسقط أقوام في نار جهنم، ومن أجل هذه الدنيا يرتكب ناس أفظع الجرائم، ثمّ ينتهى أمدهم في الدنيا، ويسقطون في درجات الجحيم.

ص: ١٤٢

وكم للدنيا من إقبال وادبار وترفع وتسقيط ... فإذا نظر الإنسان إلى الدنيا من خلال هذه المشاهد لم تفتنه الدنيا، ولم يلهه الأمل، ولم يطل أمله في الدنيا، ولا تخدعه الدنيا بزهوها ولهوها وفتنتها، ويعرف كيف يعيش في الدنيا، دون أن يركن إليها، وكيف يعمر الدنيا من غير أن يستوطنها.

هذه النقطة من أساسيات منهج التربية الإسلامية.

ولأمير المؤمنين (ع) كلمة في هذا المجال دقيقة ومعبرة، ومن رقائق الثقافة الإسلامية، تحدثت عنها في كتاب (الهوى في حديث أهل البيت (عليهم السلام))، أنقل إليكم شطراً منه.

يقول أمير المؤمنين (ع): «كان لى فيما مضى أخ في الله، وكان يعظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه» ١٣٦، فهناك إذن من الناس من يستصغر الدنيا، ومن الناس من يستعظمها، وهاتان رؤيتان إلى الدنيا.

يقول أمير المؤمنين على (ع) فى وصف الدنيا:

«ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، فى حلالها حساب، وفى حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن أفقر فيها حزن» ١٣٧

، وهذا هو الوجه الباطن للحياة الدنيا، والرؤية الواعية النافذة إلى الدنيا.

ثمّ يقول (ع):

«من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته» ١٣٨،

١٣٦ نهج البلاغة: الخطبة ٢٨٩.

١٣٧ نهج البلاغة: الخطبة ٨٢.

١٣٨ نهج البلاغة: الخطبة ٨٢.

وهذه سُنَّة من سنن الله تعالى في علاقة الإنسان بالدنيا، لا تختلّ، ولا تتغيّر، فمن يركض وراء الدنيا و (يساعدها) ويجاريها تُتعبه، فلا يكاد يحقق طموحه فيها، وكلّما يكسب فيها من رزق يطمح فيها إلى أبعد من ذلك، ويسعى إليه، فهو يجارى الدنيا ويركض خلفها، دون أن يصل إلى غايته منها، ومن يتجمل في طلبها، فإن الدنيا تؤاتيه وتطأوعه، وينال حاجته منها.

ص: ١٤٣

ثم يقول (ع) وهو موضع الشاهد في هذا النص:

«من أبصر بها بصّرتَه، ومن أبصر إليها أعمته» ١٣٩.

يقول الشريف الرضى في تفسير هذا الكلام: «والمتملّ فيه يجد تحته من المعنى العجيب، والغوص البعيد ما لا يُبلغ غايته، ولا يدرك غوره»، وهذا الذى يذكره الإمام على بن أبى طالب (ع) نحوان من الرؤية: أحدهما (إبصار بالدنيا) وهى نظرة الاعتبار، والثانى (إبصار إلى الدنيا)، وهى نظرة الاغترار والافتتان، ولا بدّ لذلك من إيضاح:

إنّ الدنيا قد تكون مرآة ينظر بها الإنسان، وقد تكون غايّة ينظر إليها الإنسان وهما نحوان من الرؤية.

فإذا كانت الدنيا مرآة ينظر بها الإنسان إلى الحضارات البائدة، وإلى الذين طغوا واستكبروا على وجه الأرض، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ... فإن هذه النظرة تكون نظرة (اعتبار) و (اتعاظ).

وأما عندما تكون الدنيا غايّة ينظر إليها الإنسان وينشد إليها، فإن الدنيا تستهويه، وتفتنه، وتعميه، ويراها حلوة، خضرة.

والنظرة الاولى مادّة للاعتبار، والثانية مادّة للافتتان والاغترار، وفى الاولى وعى وبصيرة، وفى الثانية تلبس وغرور.

ولابن أبى الحديد فى شرح هذه الكلمات بيتان فى توضيحها، يقول: ونظرت إلى قوله (ع): «من أبصر بها بصّرتَه، ومن أبصر إليها أعمته» فقلت:

يك الضوء لكن دعوة المهلك

دنياك مثل الشمس تدنى ال-

تَعْشُ وإن تُبصر به تدرك

إن أنت أبصرت إلى نورها

وفى تعميق هذه الرؤية وتأكيدا يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع):

«... جعل لكم أسماعاً لتعى ما عناءها، وأبصاراً لتجلو عن عشاها ... وخلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم، ... أرهقهم المنايا دون الآمال، ... لم يمهّدوا فى سلامة الأبدان، ولم يعتبروا فى آنف الأوان، ... فهل دفعت الأقارب؟ أو نفعت النواحب؟ وقد غودر فى محلّة الأموات رهيناً وفى ضيق المضجع وحيداً، قد هتكت الهوامّ جلدته ... وعفت العواصف آثاره، ومحا الحدثان معالمه، ... أولستم أبناء القوم والآباء، وإخوانهم والأقرباء؟ تحتذون أمثلتهم، وتركبون قدّتهم، وتطؤون جادّتهم، فالقلوب قاسية عن حظّها، لاهية عن رشدها، سالكة فى غير مضمارها، كأن المعنى سواها! وكأن الرشد فى احراز دنياها!!» ١٤٠

. ويقول أمير المؤمنين (ع) أيضاً فى نفس السياق:

«وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره، ويعلم أن الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود، والأعمى لها متزوّد» ١٤١.

إنّ الأعمى هو الذى لا يخترق بصره الدنيا، فيقف عندها، ويتعلّق بها، فالدنيا «منتهى بصر الأعمى». وأمّا البصير فهو الذى يخترق بصره الدنيا، ويرى عاقبتها، ويرى الدار الآخرة، فلا يتوقّف عندها، ويعتبر بها، ويرحل عنها.

ولابن أبى الحديد شارح (نهج البلاغة) شرح جيّد لهذه الفقرة غير ما ذكرنا، يقول: «شبه الدنيا وما بعدها بما يتصوّره الأعمى من الظلمة التى يتخيّلها، وكأنّها محسوسة له، وليست بمحسوسة على الحقيقة، وإنّما هى عدم الضوء، كمن يطلّع

فى جُبّ ضيق فيتخيّل ظلاماً فإنّه لم ير شيئاً، ولكن لما عدم الضوء، فلم ينفذ البصر تخيّل أنّه يرى الظلمة، فأما من يرى المبصرات فى الضياء، فإن بصره ينفذ فيشاهد المحسوسات يقيناً، وهذه حالة الدنيا والآخرة: أهل الدنيا منتهى بصرهم دنياهم، ويظنون أنّهم يبصرون شيئاً وليسوا بمبصرين على الحقيقة، ولا حواسّهم نافذة فى شيء، وأهل الآخرة قد نفذت

أبصارهم فأروا الآخرة ولم يقف إحساسهم على الدنيا خاصة، فأولئك هم أصحاب البصائر على الحقيقة» ١٤٢، وهذا معنى شريف من معاني الطريقة والحقيقة.

الطريقة الصحيحة للرؤية:

إنَّ للرؤية كأي فعل آخر من أفعال الإنسان أساليب ومناهج، منها الصحيح ومنها الخطأ، والقرآن يوضح لنا، فيما يوضح من مناهج السلوك والعمل، المنهج الصحيح للرؤية، يقول تعالى: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ١٤٣، و (تمديد النظر) طريقة من النظر والرؤية، وهي أن يمد الإنسان نظره إلى ما رزق الله تعالى الناس من رزق، وفي هذا (المد) معنى (التجاوز) وكأنما الإنسان يتجاوز بنظره عما رزقه الله تعالى من رزق إلى ما رزق الآخرين من عباده من زهرة الحياة الدنيا .. وهذه رؤية مذمومة.

وهذا (التمديد) في النظر مصدر عذاب الإنسان ومعاناته ... فهو يتمنى ما لم يرزقه الله، ويسعى نحوه، فإذا رزقه الله تعالى تمنى غير ذلك مما لم يرزقه الله تعالى، ورزق الآخرين من عباده ... ويستمر الإنسان في ملاحقة الدنيا ومساعاتها كما

ص: ١٤٦

يقول أمير المؤمنين (ع) ١٤٤، والركض وراءها، فيطول عذابه فيها، ولا ينال منها غايته.

إن هذه الطريقة من النظر إلى الدنيا تورث الإنسان الحسرة والتلهف على ما في أيدي الناس، على العكس تماماً مما لو نظر الإنسان (بالدنيا) وليس (إليها) واتخذ الدنيا مرآة، ينظر بها إلى افتتان الناس بها، واستغراقهم فيها، وهلاكهم، وسقوطهم بسببها، فإنه لا يغتر بالدنيا، ويتجمل في طلبها، ولا يفتنه ما رزق الله أزواجاً منها فيها من زهرة الحياة الدنيا، ليفتنهم به، فيتعفف عما في أيدي الناس ويرفع عنه.

وغنى عن البيان أن نظرة الاستغناء والتعفف والترفع عما في أيدي الناس، وعدم الانشداد به لا يعنى القعود عن السعى والعمل والتحرك في ساحة الحياة، فإن الإنسان المسلم يسعى ويتحرك، ولكن ليس من منطلق التلهف على ما في أيدي الناس، وإنما ليكسب الرزق من عند الله.

١٤٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٦: ٨.

١٤٣ طه: ١٣١.

١٤٤ يقول أمير المؤمنين (ع): من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها وأتته (نهج البلاغة: خطبة ٨٢).

إذن لطريقة النظر إلى الأشياء دور كبير في سلامة النفس وتلوّثها، فقد تلوّث النظرة روح الإنسان، وتخلق له عذاباً ومعاناة طويلة

(رُبَّ نظرة تورث حسرة) ١٤٥،

وقد تكون النظرة أساساً ومنطقاً لاستقامة الإنسان وتقويم سلوكه.

إن الإسلام لا يمنع من النظر، ولكن يعلمنا كيف ننظر إلى الأشياء.

ثم يقول عليّ بن الحسين زين العابدين (ع):

إن الأمور الواردة عليكم في كلّ يوم وليلة من مظلمات الفتن، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبه السلطان، لتشطب القلوب وتذهلها عن الهدى، ومعرفة أهل الحقّ، إلا قليلاً ممن عصم الله.

ص: ١٤٧

الفتن التي تسلب بصائر الناس في كلمات زين العابدين (ع):

هذه النقاط التي يذكرها الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) مفردات فتنة واسعة شاملة: مثل شيوع البدع في الدين، وانتشار الظلم والجور، والعدوان، وبوائق (شرور) الزمان، وهيبه السلطان الكاذبة الجائرة.

هذه مفردات من الفتنة التي تلمّ بالناس، فتسلبهم بصائرهم ووعيهم، وتطبع على قلوبهم، فلا ينفذ إليها نور ولا هدى.

وقد وقع مثل هذه الفتنة صدر الإسلام وأخبر عنها رسول الله (ص) أمته عنها من بعد وفاته.

عن رسول الله (ص):

بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل ١٤٦.

وعن رسول الله (ص)

١٤٥ وسائل الشيعة ١٣٨: ١٤، فروع الكافي ٥٥٩: ٥ وميزان الحكمة مجلد ١٠.

١٤٦ مسند أحمد: ٢/ ٢٠٤ دار صادر بيروت.

ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل ١٤٧.

وروى البخارى فى كتاب الفتن من الجامع الصحيح عن رسول الله (ص)

أنا فرطكم على الحوض. ليرفعنّ إلى رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دونى (أى أنتزعوا منى وأبعدوا عنى) فاقول: أى ربّ أصحابى. فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك ١٤٨.

ص: ١٤٨

وعن فتنة بنى أمية يقول أمير المؤمنين (ع):

ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيّه (ص)، والذي بعثه بالحقّ لتبليبن بلبلة، ولتغربلن غربلة، حتى يعود اسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم ١٤٩.

ويقول (ع) فى نفس السياق عن الفتن الاجتماعيّة والسياسيّة:

والله لتمحصن، والله لتغربلن، حتى لا يبقى منكم إلا نزر ١٥٠.

وإذا هبت رياح الفتنة على قوم أعمتهم وأصمتهم وسلبتهم وعيهم وبصائرهم.

يقول أمير المؤمنين (ع) عنها: ١٥١

١٤٧ مسند أحمد: ٢/ ٢٠٩ وراجع فى نفس المصدر: ٢/ ٢٩١ و ٢/ ٥٢٣ و ٣/ ٤٥٣ و ٣/ ٤٨٩ و ٤/ ٢٧٢ و ٤/ ٤٠٨ و ٤/ ٤١٦ و ٥/ ٢٩١ و ٦/ ٨١ وغير ذلك من المصادر.

١٤٨ صحيح البخارى: كتاب الفتن باب (١) ح ٧٠٤٩ ونفس السياق والمعنى صحيح البخارى: كتاب الفتن باب (١) ح ٧٠٥٠ ونفس المصدر: ح ٤٧٤٠ وح تسلسل ٣٣٤٩ و ٣٤٤٧ و ٤٦٢٥ و ٤٦٢٦ و ٤٥٢٥ وصحيح مسلم: ٨/ ١٥٧ دار الفكر و ١/ ٢١٧ و ٤/ ١٧٩٦ و ٤/ ١٨٠٠ وغيرها من المصادر.

١٤٩ بحار الأنوار: ٥/ ٢٧٨ ونهج البلاغة: الخطبة ١٦.

١٥٠ بحار الأنوار: ٥/ ٢١٦.

١٥١ يوسفى غروى، محمد هادى، الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام، ١ جلد، مجمع جهانى اهل بيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: ١، ١٤٣٦ هـ.ق.

إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ يُنْكَرَنَّ مَقْبَلَاتٍ وَيُعْرَفَنَّ مَدْبِرَاتٍ، يَحْمَنُ حَوْلَ الرِّيَاحِ، يَصْبِنُ بِلَدًا، وَيَخْطُنُ بِلَدًا ١٥٢.

إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ يَسْلُبُ النَّاسَ بَصَائِرَهُمْ، فَيَلْتَبِسُ عَلَيْهِمُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ، وَيَشْتَبِهُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ بِالْحَقِّ، فَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُمَا (إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ)، وَإِذَا انْحَسَرَتْ الْفِتْنَةُ عَنْ بِلَدٍ رَجَعَ إِلَى النَّاسِ رَشْدُهُمْ وَوَعْيُهُمْ (إِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يَنْكَرَنَّ مَقْبَلَاتٍ وَيَعْرِفَنَّ مَدْبِرَاتٍ).

ويقول (ع) عن فتنة بنى أمية:

إِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءَ صَمَاءٍ مَطْبِقَةٌ مَظْلَمَةٌ، عَمَّتْ فِتْنَتُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، أَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا، أَهْلُ بَاطِلِهَا ظَاهِرُونَ عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا، يَمْلَأُونَ الْأَرْضَ بَدْعًا وَظُلْمًا وَجورًا ١٥٣.

ص: ١٤٩

وهو كلام عجيب يستوقف الإنسان.

هي فتنة عمياء صماء مطبقة مظلمة، تسلب الناس بصائرهم (عمياء)، وتسلب الناس أسماعهم (صماء)، ومطبقة مظلمة، لا ينفذ إليها النور والهدى، كأنما السماء أطبقت على الأرض.

تعم الفتنة فيها الجميع: أصحاب البصائر، والعُمى الصم كلهم، فيكون الابتلاء والمعاناة والعذاب والقتل والمطاردة فيها من حظ أصحاب الأبصار (أصاب البلاء من أبصر فيها)، وهو ضريبة البصيرة والوعى.

وَأَمَّا الْعُمَى الصَّمُّ الْبُكْمُ فَحُظُّهُمْ فِيهَا الْعَافِيَةُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَتْ تُخْطِئُهُمْ أحياناً.

وفي هذه الفتنة يظهر أهل الباطل (العمى، الصم، البكم) على أهل الحق (أهل البصائر) ... هذا هو التصور العلوى لفتنة بنى أمية.

كيف تتكون الفتنة:

١٥٢ نهج البلاغة: ١/ ١٨٣ من خطبة له يذكر فيها ما كان من تغلبه على الخوارج وما يصيب الناس من بنى أمية وهي الخطبة ٩٣.

١٥٣ كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الأنصاري ص ٢٥٧ وباختلاف يسير نهج البلاغة الموضع المتقدم خطأ ٩٣.

إن الفتن تهبُّ كالأعصار تصيب بلدًا وتنحرف عن أخرى، وقد قرأنا لأمير المؤمنين (ع) قبل قليل: (إن الفتن كالرياح (يصبن بلدًا ويخطئن أخرى) ١٥٤، فإذا أصابت بلدًا سلبتهم بصائرهم ووعيتهم، وعمَّتْهم الفتنة جميعاً أصحاب البصائر منهم والعُمى الصُّمُّ البكمُ ...

ولماذا تصيب بلدًا وتخطئ أخرى؟

لأن رياح الفتنة تطلب البلاد التي يعصى الناس فيها الله تعالى.

يقول أمير المؤمنين (ع)

أيُّها الناس! إنّما بدأ وقوع الفتن أهواء تُتَّبَع، وأحكام تُبْتَدَع، يخالف فيها حكم الله، يتولّى فيها رجال رجالاً ١٥٥.

ص: ١٥٠

إن الذنوب والمعاصي والمنكرات إذا انتشرت في بلد وشاعت وعمَّتْهم تنزل عليهم الفتنة لا محالة فيفتنون.

وفي هذه الفتن يظهر أهل الباطل على أهل الحق، ويكون فيها البلاء خاصاً بأصحاب البصائر، ويتمتع فيها اصحاب الباطل بالعافية في دنياهم.

وهذه هي الفتنة التي يحدثنا عنها عليّ بن الحسين (عليهما السلام) بعد مصرع الحسين (ع) في هذا الخطاب، وهي التي كان يخاف منها أمير المؤمنين (ع)، ويحذر الناس منها ... يقول (ع):

ألا إن أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى أمية، فإنّها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطّتها ١٥٦ وخصّت بليّتها ١٥٧ وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمى عنها ١٥٨ وأيم الله لتجدن بنى أمية لكم أرباب سوء بعدى، كالناب

١٥٤ الغارات للثقفى: ١٠ / ١٠.

١٥٥ نهج البلاغة الخطبة رقم ٥.

١٥٦ خطبتها: أى امرها، بمعنى أن أمر هذه الفتنة تعم الجميع، لأن بنى أمية حكموا العالم الإسلامى عامة ألف شهر.

١٥٧ يعنى البلاء والمعاناة والعذاب والمضايقة والمطاردة فيها خصّت أصحاب البصائر، فهى ضريبة الوعى والبصيرة فى ظروف الفتنة.

١٥٨ أما من عمى عن الفتنة فإن حظهم فيها العافية، فهم يسكتون عنها ويسلمون فيها.

الضروس ١٥٩ تعذب بفيها ١٦٠ وتخطب بيدها، وترين برجلها ١٦١ وتمنع درها ١٦٢ لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه ١٦٣

ص: ١٥١

والصاحب من مستصحبه ١٦٤ ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشبة ١٦٥ وقطعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى

والإمام زين العابدين (عليهما السلام) يتحدث عن هذه الفتنة بالذات، فقد عاش كل معاناتها ومرارتها وضراوتها.

كيف يسلم الناس من الفتنة:

يقول الإمام زين العابدين (ع) في كلامه السابق:

فليس يعرف تصرّم أيّامها، وتقلب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنتها إلا من عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثم استعان على ذلك بالزهد، فكرر الفكر، وأتعب بالصبر، فازدجر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجاوى عن لذاتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها، وراقب الموت، وشأن الحياة مع القوم الظالمين

وهذه النقاط التي يذكرها الإمام زين العابدين (ع) هي سفن النجاة في مضلات الفتن التي يفقد فيها الناس بصائرهم وأسماعهم ووعيونهم.

إنّ الذين يسلمون في هذه الفتن هم الذين يعصمهم الله من مضلات الفتن، وأولئك هم الذين نهجوا سبيل الرشد، وسلكوا طريق القصد ... فلم يتخبطوا في سيرهم وحركتهم، ولم ينحرفوا عن الصراط المستقيم الذي رسمه الله تعالى لهم.

١٥٩ الناب: الناقصة المسنة، والضروس: السيئة الخلق.

١٦٠ تعذب بفيها: من عذب الفرس: إذا أكل بجفاء أو عض.

١٦١ وترين برجلها: أي تضرب برجلها.

١٦٢ وتمنع درها: أي تمنع لبنها: أي خيرها.

١٦٣ أي انتصار العبد من مولاه ... وما هو قادر على ذلك، فإنه عبده ولا بد له من طاعته.

١٦٤ أي التابع من متبوعه، ومتى يستطيع التابع الدليل ان ينتصر على متبوعه وقائده؟

١٦٥ شوهاء: قبيحة، ومخشبة: مخيفة ومرعبة.

واتقوا الله تعالى في مضلات الفتن، فإن العبد إذا اتقى الله تعالى عصمه الله في مضلات الفتن وحفظه من العمى والصمم الذين يُصييان سائر الناس.

ص: ١٥٢

يقول أمير المؤمنين (ع):

اعلموا انه من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم ١٦٦.

والتقوى سفينة النجاء، يشق بها الإنسان أمواج الفتن.

يقول أمير المؤمنين (ع):

يا أيها الناس! شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة ١٦٧.

وكما ان الفتن تأتي بأهواء تُتبع، وأحكام تُبتدع كذلك في المقابل يسلم الإنسان من أمواج الفتن بالتقوى.

ومن سفن النجاء في الفتن: القرآن

عن رسول الله (ص) أنه قال:

إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وما حل مصدق. من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ١٦٨.

وهذان هما سبيل الرشد وطريقا القصد في الفتن (القرآن والتقوى).

ثم يعلمهم زين العابدين (ع) بعد ذلك، أن يستعينوا على الفتن بالزهد، فإن الزهد يحفظ الإنسان من الانغماس في الدنيا والافتتان بها، الذي هو رأس مصائب الإنسان ومن أعظم مصادر الفتن.

ثم يأمرهم بالتفكير والتأمل والتدبر (فكر الفكر).

١٦٦ نهج البلاغة: الخطبة ٨٣.

١٦٧ نهج البلاغة: الخطبة ٢.

١٦٨ الكافي: ٥٩٩ / ٢.

وقد جعل الله تعالى سلامة الإنسان في التفكير والتأمل والتدبر، وإنما رزق الله تعالى الإنسان العقل والفكر وأمكنه من التفكير والتدبير ليعصم نفسه من مضلات الفتن ويحفظ نفسه من السقوط فيها.

ويواصل الإمام عليّ بن الحسين (ع) في هذا السياق مكانه عن معاقل النجاة عندما تهبّ على الناس رياح الفتنة.

ص: ١٥٣

الاعتبار بالتاريخ:

ثمّ يقول عليّ بن الحسين (عليهما السلام):

انظر إلى ما في الدنيا بعين نيرة، حديدة البصر (النظر)، وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة، فلقد لعمري استدبرتم الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك فيها ما تستدلّون به على تجنب الغوأة وأهل البدع والبغى والفساد في الأرض بغير الحقّ

اقرأوا الحاضر من خلال الماضي ... إن الماضي مليئ بالعبء ... فاعتبروا لحاضرهم من الأيام الخالية ... إن أصحاب البصائر يقرأون حاضرهم في الماضي، ومن خلال كتب التاريخ، ويجدون في تاريخ الأمم السابقة وتاريخ هذه الأمة، وما وقع فيه من جور الملوك وطغيانهم، ثمّ هلاكهم وسقوطهم، دليلاً على حاضرهم.

وفي القرآن تأكيد ببلغ على رؤية الحاضر والمستقبل من خلال الماضي، وإن قراءة الماضي ليس للتسلية، ولا للتكاثر والتفاخر، وإنما للاعتبار.

يقول تعالى: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ [يوسف: ١١١].

نقاط ثلاث في كلام الإمام (ع):

وفي كلام الإمام (ع) نقاط ثلاث:

النقطة الأولى: أن ننظر إلى الدنيا بعين ثاقبة، نافذة البصيرة، لا يحجبها سطح الأحداث عن النفوذ إلى أعماقها والوصول إلى دلائلها ... فإن في أنظار الناس أنظاراً بليدة تقف عند سطح الحوادث، ولا تنفذ إلى أعماقها ودلائلها، وتنهر ببريق الفتن والإعلام.

ص: ١٥٤

ومن الأنظار أنظار ثاقبة نافذة لا تنبهر ببريق السلطان والمال والموقع، وتنفذ إلى الأسباب والنتائج (البدايات والعواقب).

وهذه النظرة الثاقبة النافذة المستعلية على فتن الدنيا هي التي يعلّمنا القرآن إياها تجاه التاريخ.

يقول تعالى: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ [طه: ١٣١].

يقول الإمام عليّ بن الحسين (ع) في هذا المعنى

فانظر إلى ما في الدنيا بعين نبيرة حديدة البصر

وفي النقطة الثانية: يعلّمنا الإمام أن ننظر إلى التاريخ بهذه النظرة الثاقبة النافذة.

(وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة).

واحذروا أن يحجبكم الحاضر عن الماضي، فلبّ حدث وفتنة في الحاضر لا تستطيع أن تقرّأها وتفهمها وتعالجها وتفهمها، إلا من خلال الماضي ... إن قراءة الماضي قراءة واعية جزء من مكونات الثقافة الإسلامية.

وليس بوسع الإنسان أن يكسب وعى سنن الله في المجتمع إلا من خلال التاريخ ... ومن يقرأ التاريخ وينظر فيه بنظرة ثاقبة واعية، فكانما عاش التاريخ كلّهُ وتزوّد بتجاربه وخبراته.

وهذه المعاشة الواعية للتاريخ، والنظرة الواعية إلى حوادث التاريخ يأمر بها القرآن الكريم.

يقول تعالى: قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ [آل عمران: ١٣٧].

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ [النمل: ٦٩].

ص: ١٥٥

ويقول أمير المؤمنين (ع) في وصية لابنه الحسن (ع) أنّه قد سبر التاريخ، ونظر في أعمال الناس من قبله، حتى كأنّه عاش معهم واكتسب في هذه المعاشة والنظرة الواعية تجربة القرون الخالية.

يقول (ع):

أى بُنى! إننى وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلى فقد نظرت فى أعمالهم، وفكرت فى أخبارهم، وسرت فى آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأنتى بما انتهى إلى من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله، وتوخييت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ١٦٩.

وعن هذه النظرة الواعية إلى التاريخ يقول الإمام على بن الحسين (ع): (أبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك والظلمة).

والنقطة الثالثة: أن يتخذ الإنسان عبر الماضى دروساً للحاضر، ويرسم حاضره وتعامله مع الدنيا وفتنها من خلال عبر الماضى.

إن عبر الماضى، إذا وعها الإنسان يمكن أن تتحول إلى ثقافة يتعاطاها الإنسان فى التعامل مع الحياة الدنيا وفتنها.

ولنستمع إلى زين العابدين (ع) حيث يقول:

فلقد لعمرى استدبرتم من الأمور الماضيه فى الأيام الخاليه من الفتن المتراكمه، والانهماك فيها، ما تستدلون به على تجنب الغواية وأهل البدع والبغى والفساد فى الأرض بغير الحق

ص: ١٥٧

المكاشفه والخطاب الذاتى فى تراث الإمام زين العابدين (ع)

فى تراث الإمام زين العابدين (ع) الوعظى نلتقى لوناً جديداً من خطاب النفس، والمكاشفه الذاتيه، نسميه ب- (الخطاب الذاتى) أعنى خطاب الإنسان لنفسه، مقابل خطابه لغيره.

وللإنسان خطابان: خطاب يخاطب به الغير وخطاب يخاطب به نفسه، وهذا نوع جديد من أدب الخطاب والموعظه نجده على الأقل فى ثلاث نماذج من كلامه (ع).

وهو خطاب جديد على أدب الخطاب والموعظة.

وخطاب الإنسان لنفسه أو (الخطاب الذاتى) شكل من أشكال العلاقة بالنفس، أو (العلاقة الذاتية)، مقابل العلاقة بالله تعالى، والعلاقة بالآخرين، والعلاقة بالأشياء والأفكار، وهى بعد العلاقة بالله تعالى أهمّ العلاقات وأخطرها فى حياة الإنسان.

والقرآن فيما نعلم أوّل كتاب فتح على العقل الإنسانى هذا الباب الواسع من الثقافة النفسية، ولا أعرف قبل القرآن ثقافة تناولت هذه العلاقة بشكل واضح ومنظم ومنهجيّ.

وقد تحدّثت عن هذه العلاقة من خلال القرآن الكريم فى كتاب (فى رحاب القرآن الجزء الرابع، ص ١٩١) تحت عنوان (العلاقة الذاتية)، قلت فيه:

ص: ١٥٨

العلاقة الذاتية فى القرآن:

(والعلاقة بالنفس هى واحدة من هذه العلاقات الأربع، وهى أهمّها بعد العلاقة بالله تعالى، وأكثرها تعقيداً، وظرافة، ورقّة، وهى كذلك قد تتصف بالإيجاب، وقد تتصف بالسلب.

فقد يجهل الإنسان نفسه، وقيمته فيكون كما قال الله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب: ٧٢].

يعنى جاهلاً بنفسه وقيمتها ظالماً لها.

وقد يكون الإنسان من الذين أراهم الله تعالى أنفسهم، وفقههم بقيمتها، وعرفهم بآياته فيها. يقول تعالى:

سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت: ٥٣].

فيعرف الإنسان قيمة نفسه ويحترمها.

وقد يحتقر الإنسان نفسه، وما آتاه الله تعالى فى نفسه من المواهب.

وقد يفرّ الإنسان من نفسه، ويتهرب منها إلى ألوان من اللهو الذى يشغله عن نفسه، أو إلى المخدرات والانتحار.

وقد يعرف الإنسان كيف يواجه نفسه على أرض الواقع بجديّة وواقعيّة.

وقد يكون الإنسان منسجماً مع نفسه.

وقد يكون في علاقته بنفسه قلقاً مرتبكاً.

وقد يكون محباً لنفسه.

وقد يكون عدواً لها.

وقد يكون ذاكراً لنفسه، وقد يكون ناسياً لها.

ص: ١٥٩

وقد يكون قابضاً على نفسه متمكناً منها.

وقد تغلبه نفسه وتتمكن منه.

وقد ينطوى على نفسه.

وقد تكون نفسه منفتحة.

وقد يهلكها وقد يحييها. يقول تعالى: وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ [الأنعام: ٢٦].

وقد يصدق مع نفسه، وقد يغرّها ويميّنها، ويخادعها، ويغشّها، يقول تعالى: انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ [الأنعام: ٢٤].

وقد يعترف لنفسه بالخطأ وينقد نفسه، وقد يغالطها ويبرّر أخطاءها وأهواءها.

وقد يطلق لنفسه العنان في شهواتها، وقد يمسكها بقوة عند حدود الله. ويضبط تصرفاتها.

وقد يترك نفسه لهواها فيما تطلب من الراحة والاستغراق في الأهواء والشهوات، وقد يتعبها ويجهدّها في ابتغاء كمالها ونموّها.

وقد يسمو بنفسه، وقد يسف بها.

وقد يكون غريباً عن نفسه، وقد يأنس بنفسه، ويحلّو له أن يخلو بها في التأمل.

وقد تكون علاقته بنفسه علاقة صِدَامِيَّة، وقد يكون منسجماً مع نفسه متآلفاً معها إلى أمثال ذلك من ألوان العلاقة السلبية والإيجابية في علاقة الإنسان بنفسه.

والعلاقة بالنفس رقيقة تخفى على الإنسان غالباً، فلذلك لا يشعر الإنسان بفداحة الخسارة التي يتحملها عند ما تكون هذه العلاقة سلبية.

فقد يخسر الإنسان في تجارته مالاً قليلاً أو كثيراً فيشعر بها، ويشعر بفداحة هذه الخسارة، ويحاول أن يستعيد المال الذي خسره، ويعوّضه، ولكن قد يخسر

ص: ١٦٠

الإنسان نفسه، وهى من أعظم أنواع الخسران فلا يحسّ بتلك الخسارة، ويتحوّل من خسارة إلى خسارة أخرى، حتى يخسر نفسه كلّها ... فلا يعبأ بها.

يقول تعالى: وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ [العصر: ١-٢].

ويقول تعالى: الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [الأنعام: ٢٠].

وقد يظلم الإنسان غيره فيحسُّ بذلك وتؤنّب نفسه، ويحاول أن يجبر ظلمه للآخرين بالعدل والإحسان إليهم، ولكن قد يظلم نفسه، ويعتدى عليها فلا يشعر بهذا الظلم.

يقول تعالى: وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران: ١١٧].

وقد يهلك الإنسان نفساً زكيةً فيشعر بعظم الإثم، ولكن قد يهلك الإنسان نفسه فلا يشعر بمثل هذا الإثم.

ويقول تعالى: وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ [الأنعام: ٢٦]، والضرر الذى يلحق الإنسان إذا كانت علاقته بنفسه سلبية لا يشبهه ضرر آخر إلا الضرر الذى يلحق به إذا كانت علاقته بالله تعالى سلبية.

وعلاقة الإنسان بنفسه تدرس اليوم ضمن الدراسات النفسية والتحليل النفسى باهتمام، ولكن فى إطار محدود، ولن نجد قبل القرآن اهتماماً أو انتباهاً إلى هذه العلاقة وأهميتها، وقيمتها فى حياة الإنسان، والى وقت قريب جداً لم تكن الدراسات

النفسيّة والإنسانيّة قد فتحت ملفّ هذه العلاقة بعد، والقرآن بحقّ الفاتح الأوّل لهذا الأفق الواسع من العلاقات الإنسانيّة) ١٧٠.

ص: ١٦١

السجل الذاتيّ والشروء عن الذات:

في مقابل الخطاب الذاتيّ، والتفاهم والانسجام مع الذات هناك حالتان متعبتان للإنسان:

حالة السجل الذاتيّ، وهي حالة الإنسان عندما يدخل في خلاف وشجار لذاته، ولا يتمكّن من أن يدخل في مصالحه ووثام مع نفسه، وهي حالة يشقى بها كثير من الناس، وتتعب صاحبها وتسلبه الراحة النفسيّة التي هي من أعظم نعم الله على الإنسان.

وقد يملك الفقير العديم هذه الموهبة الإلهيّة (الراحة النفسيّة) ولا يملكها ذو السلطان والمال والقوة ... وليس المال والسلطان والقوة هي التي تسلب الإنسان الراحة والسعادة النفسيّة، ولكن منهج توظيف المال والقوة والسلطان هو الذي يسلب الإنسان راحته النفسيّة وسعادته ١٧١.

والحالة الأخرى التي ترهق الإنسان هي: الشروء النفسي، وهو المرض النفسي الشائع في عصرنا يؤدّي بالإنسان إلى الشروء عن نفسه وتغييبه عنها.

وهو من نتائج الحضارة الماديّة المعاصرة التي تحجب الإنسان عن نفسه، وتغييبه عنها.

الغربة عن الذات:

وهو شرّ أنواع (الغربة) ... فمن الغربة أن يغترب الإنسان عن أهله وزملائه وأصدقائه ومجتمعه فيعيش بين الناس، وكأنّه غريب لا يعرف أحداً ولا يعرفه

ص: ١٦٢

١٧٠ في رحاب القرآن: ١٩٤ / ٤ - ١٩٦، ط سنة ١٤٢٤ هـ / - ٢٠٠٣ م.

١٧١ وليس معنى الانسجام الذاتي والوثام مع النفس ألا يحاسب الإنسان نفسه ولا يعاتبها. فإن حالة الحساب والعتاب للنفس، أمانة الصحة النفسيّة والعافية، والحالة المتعبة هي حالة السجل والشجار داخل النفس، وهي تختلف عن حالة الحساب والعتاب.

أحد، ولا يأنس بأحدٍ ولا يستأنس به أحد، كما لو كان الإنسان مسافراً، بعيداً عن أهله ومجتمعه وأصدقائه في بلد غريب، يعيش في الفنادق وليس في بيته ...

ولكن، شرّ أنواع الغرباء هو أن يعيش الإنسان غريباً عن أقرب النفوس إليه، وهو نفسه التي بين جنبيه، ويحجبه عنها حجاب غليظ.

وهي كذلك من نتائج الحضارة الماديّة المعاصرة، فهي تطمر فطرة الإنسان وضميره وعواطفه، بل وعقله أحياناً، وتوجه الإنسان إلى أن يتنكّر لها ... ثمّ يتحوّل هذا التنكّر إلى حجاب بينه وبين نفسه.

وهو نوع من العقوبة الإلهيّة للحضارات الماديّة التي تتنكّر للمواهب الروحيّة والنفسيّة التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان، فيعاقبهم الله بذلك وينسيهم أنفسهم ...

وتأتى هذه العقوبة الإلهيّة للإنسان من سنخ الجريمة.

يقول تعالى: نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسُهُمْ [الحشر: ١٩].

والعقوبة هنا من سنخ الجريمة وهذه هي حالة الشرود عن الذات.

ولقد كان الحسين (ع) يقول للناس الذين وقفوا يوم عاشوراء لقتاله:

ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها

ولابدّ للناس الذين تقتطع منهم الحضارة الماديّة أنفسهم وضمايرهم وفطرتهم وقلوبهم من ملجأ يلوذون به لينسيهم أنفسهم، وقد وُفّرت الحضارة الماديّة المعاصرة للإنسان المعاصر الذي يعيش هذه الحضارة، هذا الملجأ الذي يشرّد إليه الناس من أنفسهم في المخدّرات والسكر والطرب واللهو للفرار عن أنفسهم، وإنّما يسمّيها الإسلام لهواً لأنّها تلهي الإنسان وتشغله عن نفسه.

ص: ١٦٣

الدعوة إلى العودة إلى النفس:

وفي ثقافة الإسلام دعوة مؤكّدة ومكرّرة إلى العودة إلى الذات، وإزالة حجب الغربة بين الإنسان ونفسه، وتمكين الإنسان من معرفة نفسه ومكاشفتها ومحاسبتها.

ويحضّر القرآن الناس على أن يبصروا أنفسهم ويتدبروها، ويبصروا فيها آيات الله العظيمة. يقول تعالى:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت: ٥٣].

ويقول تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ [الذاريات: ٢٠ - ٢١].

معرفة النفس:

ومعرفة النفس جُلُّ المعرفة أو كل المعرفة.

فمن يعرف نفسه كفاه ذلك عن كل معرفة، ومن جهل نفسه لم تسعفه معرفة.

عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال:

كفى بالمرء معرفة أن يعرف نفسه، وكفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه

وعنه (ع) أيضاً في نفس السياق:

من عرف نفسه كان لغيره أعرف، ومن جهل نفسه كان بغيره أجهل

وفي نفس السياق عنه (ع):

من عرف نفسه فقد انتهى إلى غايّة كل معرفة وعلم

ص: ١٦٤

وليس في حياة الإنسان خسارة أعظم من أن يخسر نفسه ويضيعها، وتضيع عنه، فلا يطالها، وليس في حياة الإنسان جهالة

أعظم من أن يجهل الإنسان نفسه.

عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال:

عجبت لمن ينشد ضالته، وقد أضلّ نفسه فلا يطلبها

أقصر السبل إلى معرفة الله:

ومعرفة النفس أقصر السبل إلى معرفة الله فمن فقد هذا السبيل يطول طريقه إلى معرفة الله.

عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال:

عجبت لمن يجهل نفسه، كيف يعرف ربه

وعنه (ع) أيضاً:

من عرف نفسه فقد عرف ربه

وعنه (ع):

من عرف نفسه، فقد إنتهى إلى غايّة كلّ معرفة وعلم

وكما أن معرفة النفس هي السبيل المفضّل للإنسان إلى معرفة الله، كذلك هي السبيل إلى إصلاح نفسه وتهذيبها وتجريدها
عما يفسدها ويعطلها.

عن أمير المؤمنين (ع):

من عرف نفسه تجرّد

أى تجرّد عن التعلّق بالدنيا وفتنها.

وعنه (ع) أيضاً:

من عرف نفسه جاهدّها، ومن جهل نفسه أهملها

ومن عرف نفسه جَلَّ أمره .)

أى تسامى وترفع.

ومن لم يعرف نفسه بُعدَ عن سبيل النجاء وخبط في الضلالات والجهالات

وعنه (ع):

نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس

وعنه (ع) أيضاً:

العارف من عرف نفسه

وعنه (ع):

أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربّه

ص: ١٦٥

وهذه الكلمة مقتبسة من قوله تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (فاطر: ٢٨).

محاسبة النفس:

والذى يرزقه الله الانفتاح على نفسه لا بدّ له من محاسبة نفسه.

عن رسول الله (ص):

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنها قبل أن توزنوا ١٧٢.

ولا بدّ للإنسان أن يُفَرِّغ من يومه وقتاً يتفرّغ فيه لمحاسبة نفسه، ولو كان الوقت يسيراً.

عن أمير المؤمنين (ع):

ما أحقّ بالإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله شاغل يحاسب فيها نفسه فينظر فيما اكتسب لها وعليها

وكان فيما وعظ الله به نبيّه عيسى بن مريم (عليهما السلام) يا عيسى! لا تأمن إذا مكرت مكرى، ولا تنس عند خلوات

الدنيا ذكرى. يا عيسى! حاسب نفسك بالرجوع إلىّ حتى تتنجز ثواب ما عمله العاملون ١٧٣.

وفي وصيّة رسول الله (ص) لأبى ذر:

١٧٢ هذه الكلمة مروية عن رسول الله (ص) وعن بعض أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

راجع المصادر التالية: مصباح الشريعة: ٣٥، أعلام الدين في صفات المؤمنين مجموعة ورام: ١ / ٣٠٧، بحار الأنوار: ٤ / ٣١٠ و ٦٧ / ٧٣ و ٦٨ / ٢٦٥.

١٧٣ الكافي: ٨ / ١٣٧ ح ١٠٣.

يا أبا ذر! حاسب نفسك قبل أن تحاسب، فإنه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الأكبر، يوم تعرض، لا تخفى على الله خافية^{١٧٤}.

وعن أمير المؤمنين (ع):

ص: ١٦٦

جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبةً الخصم خصمه، فإن أسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه^{١٧٥}.

وبالمحاسبة يتمكن الإنسان من إصلاح نفسه.

عن أمير المؤمنين (ع):

ثمرة المحاسبة إصلاح النفس^{١٧٦}.

خطاب المكاشفة الذاتية:

هذا الخطاب افتتاح على الذات، على طريقة المكاشفة، فإن الإنسان يدفع الخواطر والذكريات التي تؤذيه وتتغصه إلى غيابات اللاشعور، ويغيبها عن منطقة الشعور حتى لا تسلبه راحته النفسية، فيكون مثل الإنسان في مثل هذه الحالة مثل طائر (القبج) يدسّ رأسه في الثلج حتى لا يرى الصياد. فيأتي إليه الصياد ويقبض عليه.

والمكاشفة الذاتية بعكس ذلك تماماً: يحضر للإنسان هذه الخواطر والذكريات ليعالجها. وهذه العملية وإن كانت مرهقة للإنسان من الناحية النفسية، لكن هذا الإرهاق خير للإنسان من الراحة النفسية الكاذبة التي لا تتغصها هذه الخواطر عندما يغيبها الإنسان في ظلمات اللاشعور.

لم يكن هذا الخطاب معروفاً في الأدبيات الوعظية، وهو نوع من أنواع (النجوى) مع النفس، طرفاها نفس الإنسان، يوبخها ويعظها ويحذرها ويعاتبها وينذرها.

١٧٤ أمالي الشيخ الطوسي: ٥٣٤.

١٧٥ مستدرک الوسائل: ١٢ / ١٥٤ - ١٥٥.

١٧٦ الكلمات القصار التي رويها عن أمير المؤمنين (ع) يروى الشطر الأكبر منها الآمدى في غرر الحكم والسيد الرضى في نهج البلاغة قسم الحكم.

ص: ١٦٧

وهذه المكاشفة لا تجرى بين طرفين مختلفين، كما نفهم نحن من هذه الكلمة، وإنما تجرى داخل النفس بين الإنسان ونفسه، عندما يخلو الإنسان بنفسه.

الخلوات النافعة

وهذه الخلوة (بالنفس) من الخلوات النافعة للإنسان، والإنسان بحاجة في حياته إلى خلوتين.

خلوة بالله تعالى، وخلوة بنفسه.

وفي هاتين الخلوتين يكشف الإنسان ربّه سبحانه وتعالى ويكشف نفسه بما لا يستطيع أن يكشف به أحداً من الناس، ويتكتم به عن كل الناس.

والإنسان بحاجة إلى هاتين المكاشفتين، فإن التكتّم على ما يجرى داخل النفس يؤدّي إلى اختفاء ما يجرى فيها مما يتكتم بها داخل نفسه إلى دهاليز النفس العميقة، مما يؤدّي إلى تعقيدات وأمراض نفسيّة كثيرة داخل النفس ...

فقد يرتكب الإنسان ذنباً وجريمة يؤنّبهما عليه ضميره، ولا يتمكّن أن يكشف بذلك أحداً، وقد يحتاج إلى شيء لا يستطيع أن يفتح أحداً به.

فتختفي هذه الحاجات والمنغصات النفسيّة في دهاليز النفس العميقة المظلمة، وتحوّل في النفس إلى تعقيدات وأمراض نفسيّة.

ولكن الإنسان لا يتكتم بشيء مما يدور في نفسه من ذنوبه وآثامه وحاجاته وطلباته التي يتكتم بها على الناس ... لا يتكتم بها على الله فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى [طه: ٧]، فلا يخفي على الله تعالى شيء مما يدور في نفسه ويختبئ في أعماق نفسه البعيدة.

ولعلّ ذلك هو المقصود من كلمة (وأخفى) في هذه الآية الكريمة.

ص: ١٦٨

فإن (السِّرَّ) ما يخفيه الإنسان عن الآخرين، و (الأخفى) من السِّرِّ هو ما يدفعه الإنسان إلى الطبقات العميقة المعتمّة من نفسه ويزويها ويدفعها عن منطقة الشعور إلى دهاليز اللاشعور، لئلا ينغص بها، فهو إذن أخفى من (السِّرِّ).

إذن يوسع الإنسان أن يكشف الله تعالى بما يتكتم به عن الآخرين من ذنوبه وقبيح أعماله التي يكتتمها عن الناس.

كما أن العبد لا يجد ضيراً أن يكشف ربه في حاجاته التي يخل أن يكشف بها الناس.

رؤى عن رسول الله (ص):

اسألوا الله عز وجل ما بداخلكم من حوائجكم حتى شسع النعل فإنه إن لم ييسره لم يتيسر ١٧٧.

وعنه (ص):

ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله شسع نعله، إذا إنقطع ١٧٨.

وعن الإمام الباقر (ع) أنه قال:

لا تحقرُوا صغيراً من حوائجكم، فإن أحب المؤمنين إلى الله تعالى أسألهم ١٧٩.

كما فتح الله تعالى لعبده باب التوبة عن ذنوبه وسيئاته التي تثقل ضميره، ويخل أن يفتح بها أحداً من الناس، فقد أذن الله تعالى للإنسان أن يفتح بها الله عز وجل ويستغفر عنها، فيغفرها له.

إذن فقد فتح الله تعالى على عبده بابين من الرحمة يستطيع العبد من خلالهما أن يكشف ربه عز شأنه مكاشفة كاملة، ولا يخفى عليه شيئاً مما يتكتم به عن الناس، وهذان البابان هما: باب (التوبة) وباب (الدعاء). وهذه هي الخلوة النافعة الأولى في حياة الإنسان.

ص: ١٦٩

ويبقى نجوى الإنسان مع نفسه، وهو الخلوة والمكاشفة الثانية في حياة الإنسان، وهو أمر يدعو إليه الإسلام ويرغب فيه.

ولا بد للإنسان من هاتين الخلوتين، ومن هاتين المكاشفتين، ولا بد له من أن يفرغ من وقته وعمره كل يوم وقتاً للخلوة بالله تعالى ومخاطبته، ومناجاته ووقتاً للخلوة بنفسه ومكاشفتها.

١٧٧ مستدرک وسائل الشیعة: ٥ / ١٧٢ ح ٥٥٩٥.

١٧٨ مستدرک الوسائل: ٥ / ١٧٢ ح ٥٥٩٥.

١٧٩ المصدر نفسه: ح ٥٥٩٧.

أبواب التعامل مع الذات:

أبواب التعامل مع النفس، في الثقافة الإسلامية، كثيرة، نذكر أهمّها.

١- تهذيب النفس وإصلاحها:

عن أمير المؤمنين (ع):

أيّها الناس! تولّوا من أنفسكم تآديبها واعدلوا بها عن مزاوله عاداتها ١٨٠.

وعنه (ع):

من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ١٨١.

وعنه (ع):

الرجل حيث اختار لنفسه، إن صانها ارتفعت، وإن ابتذلها اتضعت ١٨٢.

وعنه (ع):

إشتغالك بمعائب نفسك يكفيك العار ١٨٣.

٢- كفّ النفس عن أهوائها وشهواتها وضبطها وردعا ... وهو (التقوى):

عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال:

لا تدع النفس وهواها، فإن هواها رداها، وترك النفس وما تهوى أذاها، وكفّ النفس عمّا تهوى دواها ١٨٤.

١٨٠ نهج البلاغة: الحكمة ٣٥٩.

١٨١ نهج البلاغة: الحكمة ٧٣.

١٨٢ غرر الحكم للآمدي: ١٩٠٦٠.

١٨٣ غرر الحكم للآمدي: ١٤٨٣.

١٨٤ الكافي: ٢/ ٣٣٦ ح ٤.

٣- التعامل مع النفس بسلام:

هذا باب يفتح القرآن على مصراعيه، ولأول مرة، في تاريخ الثقافة النفسية يكشف القرآن عن حقيقة تخفى على الكثير، وهو أن الناس يظلمون أنفسهم. يقول تعالى:

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ [فاطر: ٣٢].

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران: ١١٧].

ويقول تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ [يونس: ٢٣].

ويقول تعالى: وَإِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ [الأنعام: ٢٦].

ويدعو الإسلام الإنسان إلى أن يعيش مع نفسه بسلام، فيستجيب لفطرته وعقله وضميره وعاطفته وروحه، كما يدعو إلى الاستجابة المنضبطة لحاجات جسده وغرائزه وميوله وشهواته في توازن وتعادل، فيعيش مع نفسه في أمن وسلام.

وأساس كل سلام في حياة الإنسان أن يعيش الإنسان في سلام مع الله ومع نفسه. وقد أُمِنَهما الله تعالى لعباده في دينه.

ولنا في خاتمة الصلاة تحيات ثلاث.

سلام على رسول الله (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)

وسلام على أنفسنا (السلام علينا).

وسلام على عباد الله الصالحين (وعلى عباد الله الصالحين)

وكذا سلام الله على المسيح عيسى بن مريم يسلم على نفسه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حياً.

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا [مريم: ٣٣].

والآن نستعرض هذا الخطاب الوعظي الذاتي، في كلمات الإمام علي بن الحسين (ع) على طريقة مخاطبة النفس ومكاشفتها والانفتاح عليها وندبتها.

ص: ١٧١

والإنسان عادةً يندب غيره، وها هنا يعلّمنا علىّ بن الحسين (عليهما السلام) كيف نندب أنفسنا، وأن أحقّ من يندبه الإنسان نفسه التي بين جنبيه.

وهذا الخطاب ندبة للنفس، من باب المكاشفة، نرويه برواية ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية: ٩ / ١٣٩)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق: ٤١ / ٤٠٤).

كما يرويه المحدث النوري (رحمه الله) في (الصحيفة الرابعة).

ويرويه (إحقاق الحق) بتحقيق السيد المرعشي: ١٩ / ٤٨٤ و ٢٨ / ١٢٧ و ٣٣ / ٧٨١.

و (الأنوار البهيّة) للشّيخ عبّاس القمّي: ١١٩.

و (الصحيفة السجّاديّة الكاملة) للأبطحي: ص ٥٠١

و (بلاغة الإمام علىّ بن الحسين): ص ٧٧

نصّ الندبة:

وإليك: نصّ النديّة:

عن الزهري، قال: سمعت مولانا زين العابدين (ع) يحاسب نفسه، ويناجي ربّه، وهو يقول:

(يا نفس حتّام (١) * ١٨٥ إلى الحياء سكونك، والى الدنيا وعمارتها ركونك؟

أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك! ومن وارته الأرض من الأفك (٢) ومن فجعت به من إخوانك، ونقلت إلى دار البلى من أقرانك؟!

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دواثر

خلت دورهم منهم وأقوت (٣) عراصهم

١٨٥ * يأتي توضيح المفردات الغريبة حسب الأرقام المدرجة في النص بعد نهاية النص.

وساقتهم نحو المنايا المقادر وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها

وضمّتهم تحت التراب الحفائر

كم خرمت (٤) أيد المنون، من قرون بعد قرون، وكم غيّرت الأرض ببلائها، وغيببت في ترابها، ممن عاشت من صنوف الناس، وشيعتهم إلى الأرماس (٥):

وأنت على الدنيا مكبّ منافس لخطابها فيها حريص مكاثر

على خطر تمسى وتصبح لاهيا أتدرى بماذا لو عقلت تخاطر

وإن امرءاً يسعى لدنياه جاهداً ويذهل عن اخراه لاشك خاسر

فحتّام على الدنيا إقبالك، وبشهواتها اشتغالك، وقد وخطك القتيير (٦)، ووافاك النذير، وأنت عمّا يراد بك ساه (٧)، وبلدّة يومك لاه (٨).

وفى ذكر هول الموت والقبر والبلى عن اللهو واللذات للمرء زاجر

أبعد اقتراب الأربعين تربص وشيب القذال (٩) منذ ذلك ذاعر؟!

كأنك معنى (١٠) بما هو ضائر

لنفسك عمداً أو من الرشد حائر

ص: ١٧٣

انظر إلى الأمم الماضية والقرون الفانية، والملوك العاتية، كيف انتسفتهم الأيام، فأفناهم الحمام (١١)، فامتحت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها أخبارهم!

وأضحوا رميمًا في التراب وأقفرت

مجالس منهم عطّلت ومقاصر

وحلّوا بدار لا تراور بينهم

وأنى لسكان القبور التراور؟

فما إن ترى إلا قبوراً ثووا بها (١٣)

مسنمة تسفى (١٤) عليها الأعاصر

كم عاينت من ذى عزّ وسلطان، وجنود وأعوان، تمكّن من دنياه، ونال منها مناه، فبنى الحصون والدساكر (١٥)، وجمع الأعلاق والذخائر:

فما صرفت كفّ المنية إذ أتت

مبادرة تهوى إليه الذخائر

ولا دفعت عنه الحصون التى بنى

وحفّ بها أنهارها والدساكر

ولا قارعت عنه المنية حيلة

ولا طمعت فى الذب عنه العساكر

أتاه من أمر الله ما لا يردّ، ونزل به من قضائه ما لا يصدّ، فتعالى الملك الجبار، المتكبر القهار، قاصم الجبارين، ومبير المتكبرين:

ص: ١٧٤

مليک عزيز لا يردّ قضاؤه

حكيم عليم نافذ الأمر قاهر

عنا (١٦) كلّ ذى عزّ لعزّة وجهه

فكم من عزيز للمهيم صاغر (١٧)

لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت

لعزّة ذى العرش الملوك الجبابر

فالبدار البدار (١٨)، والحدار الحذار من الدنيا ومكائدها، وما نصبت لك من مصائدها، وتجلّى لك من زينتها، واستشرف لك من فتنها:

وفى دون ما عاينت من فجعاتها

إلى دفعها داع وبالزهد أمر

فجد ولا تغفل وكن متيقظاً

فعما قليل يترك الدار عامر

فشمّر ولا تفتّر فعمرك زائل

وأنت إلى دار الإقامة صائر

ولا تطلب الدنيا فإن نعيمها

وإن نلت منها غبّة (١٩) لك ضائر

ص: ١٧٥

فهل يحرص عليها لبيب؟ أو يسرّ بلذّتها أريب (٢٠)؟ وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع فى بقائها، أم كيف تنام عين من يخشى البيات (٢١)؟ أو تسكن نفس من يتوقّع الممات؟!

ألا لا ولكنا نغرّ نفوسنا

وتشغلنا اللذات عمّا نحاذر

وكيف يلذّ العيش من هو موقن

بموقف عدل يوم تبلى السرائر

كأنا نرى ألا نشور (٢٢) وإنّا

سدى مالنا بعد الممات مصادر

وما عسى أن ينال طالب الدنيا من لذاتها، ويتمتع به من بهجتها، ومع فنون مصائبها، وأصناف عجائبها، وكثرة تعبها في طلائها، وتكادحه في اكتسابها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها (٢٣) وآلامها!

وما قد نرى (٢٤) في كل يوم وليلة يروح علينا صرفها (٢٥) ويباكر

تعاوننا (٢٦) آفاتنا وهموها وكم قد ترى يبقى لها المتعاور

فلا هو مغبوط (٢٧) بدنياء آمن ولا هو عن تطلا بها النفس قاصر

ص: ١٧٦

كم غرت من مخلص إليها، وصرعت من مكب (٢٨) عليها، فلم تنعشه (٢٩) من صرعته، ولم تقله من عثرته، ولم تداوه من سقمه، ولم تشفه من ألمه!

بلى أوردته بعد عز ومنعة موارد سوء ما لهن مصادر

فلما رأى أن لا نجاه وأنه هو الموت لا ينجيه منه التحاذر

تندم إذ لم تغن عنه ندامة عليه وأبكته الذنوب الكبائر

بكى على ما أسلف من خطاياها، وتحسّر على ما خلف من دنياه، حيث لا ينفعه الاستعبار، ولا ينجيه الاعتذار، من هول المنية، ونزول البلية!

أحاطت به أحزانه وهمومه وأبلس لما أعجزته المعاذر

فليس له من كربة الموت فارح وليس له مما يحاذر ناصر

وقد جشأت (٣٠) خوف المنية نفسه ترددها منه اللهاء والحناجر

ص: ١٧٧

هنالك خفّ عنه عوّاده، وأسلمه أهله وأولاده، وارتفعت الرنّة والعويل، ويئسوا من براء العليل، غمّضوا بأيديهم عينيّه، ومدّوا
عند خروج نفسه يديه ورجليه:

فكم موجه يبكي عليه تفجّعاً ومستنجد صبراً وما هو صابر

ومسترجع داع له الله مخلصاً يعدّد منه كلّ ما هو ذاكر

وكم شامت مستبشر بوفاته وعمّا قليل للذي صار صائر

شقّت جيوبها نساؤه، ولطمت خدودها إماؤه، وأعول لفقده جيرانه، وتوجّع لرزيّته إخوانه، ثمّ أقبلوا على جهازه، وتشمّروا
(٣٢) لإبرازه:

وظلّ أحبّ القوم كان بقربه يحثّ على تجهيزه ويبادر

وشمّر من قد احضروه لغسله ووجّه لما قام للقبر حافر

وكفّن في ثوبين واجتمعت له مشيعة إخوانه والعشائر

ص: ١٧٨

فلو رأيت الأصغر من أولاده، وقد غلب الحزن على فؤاده، فغشى من الجزع عليه، وقد خضبت الدموع خديّه، ثمّ أفاق وهو
يندب أباه، ويقول بشجو: وا ويلاه:

لعاينت من قبح المنية منظرأ يهال لمرآه ويرتاع ناظر

أكابر أولاد يهيج اكتئابهم اذا ما تناساه البنون الأصاغر

ورنّة نسوان عليه جوازع مدامعها فوق الخدود غوازر

ثم أخرج من سعة قصره إلى ضيق قبره، فحثوا بأيديهم التراب، وأكثروا التلدد (٣٣) والانتحاب، ووقفوا ساعة عليه، وقد
يئسوا من النظر إليه:

فولّوا عليه معولين وكلّهم لمثل الذى لاقى أخوه محاذر

كشّاء رتاع آمنين بدالها بمديته (٣٤) بادی الذراعين حاسر

فريعت (٣٥) ولم ترتع قليلا وأجفلت فلمّا نأى عنها الذى هو جازر

ص: ١٧٩

عادت إلى مرعاها، ونسيت ما فى أختها دهاها (٣٦)؛ أفبأفعال البهائم اقتدينا، وعلى عاداتها جرينا! عد إلى ذكر المنقول
إلى الثرى، والمدفوع إلى هول ما ترى:

ثوى مفرداً فى لحدّه وتوزّعت مواريثه أولاده والأصاهر

وأحنوا على أمواله يقسمونها فلا حامد منهم عليها وشاكر

فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ويا آمناً من أن تدور الدوائر

كيف أمنت هذه الحالة، وأنت صائر إليها لا محالة؟! أم كيف تنهّنا بحياتك وهى مطيّتك إلى مماتك؟! أم كيف تسيع
طعامك وأنت منتظر حمامك؟!

ولم تتزوّد للرحيل وقد دنا وأنت على حال وشيك مسافر

فيا ويح (٣٧) نفسى كم اسوف (٣٨) توبتى وعمرى فانٍ، والردى لى ناظر

وكلّ الذى اسلفت فى الصحف مثبت يجازى عليه عادل الحكم قاهر

فكم ترفع بدينك دنياك، وتركب في ذلك هواك، إِنِّي لأراك ضعيف اليقين، يا راقع الدنيا بالدين، أفبهذا أمرك الرحمن؟ أم على هذا دَلَّك القرآن؟

تخرَّب ما يبقى وتعمِّر فانياً فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر

ص: ١٨٠

وهل لك إن وافاك حتفك (٣٩) بغتة ولم تكتسب خيراً لدى الله عاذر

أرتضى بان تفتى الحياة وتنقضى ودينك منقوص وما لك وافر

فبك إلهنا نستجير، يا عليم يا خبير، من نؤمل لفكاك رقابنا غيرك؟ ومن نرجو لغفران ذنوبنا سواك؟ وأنت المتفضل المَنَّان
القائم الديان، العائد علينا بالإحسان بعد الإساءة منّا والعصيان، يا ذا العزة والسلطان، والقوَّة والبرهان، أجرنا من عذابك
الأليم، واجعلنا من سكان دار النعيم، برحمتك يا أرحم الراحمين ١٨٧.

الشعر الوعظي:

١٨٧ تفسير بعض المفردات الواردة في هذه الندية: (١) حتى متى) خ((٢) الأفك: أحتبكت((٣) أقوت: خلت((٤) اخترمت: استأصلت وقطعت((٥) الأرماس: القبور((٦) وخطك القتير: خالط الشيب سواد شعر((٧) ساه: غافل((٨) لاه: مشغول((٩) القذال: ما بين الأثنين من مؤخر الرأس((١٠) معنى: مهتم((١١) الحمام: الموت((١٢) رميما: عظماً بالية((١٣) ثووا: أقاموا((١٤) تسفى: تذر((١٥) الدسكرة: بناء كالقصر((١٦) عنا: خضع وذل((١٧) صاغر: ذليل((١٨) البدار: السرعة((١٩) الغبة: البلغة من العيش((٢٠) أريب: عاقل((٢١) البيات: الإيقاع بالليل((٢٢) نشور: إحياء((٢٣) أوصايها: أمراضها((٢٤) إربتى: حاجتى((٢٥) صرفها: نواثيها((٢٦) تعاورنا: تعاونوا على ضربه واعتوروه((٢٧) مغبوط: مسرور((٢٨) مكب: مقبل((٢٩) تنعشه: ترفعه((٣٠) جشأت نفسه: نهضت من حزن أو فزع .. (٣٢) تشمروا: تهيأوا((٣٣) التلدّد: العضّ على الشفاه وإظهار الحزن والتأسّف((٣٤) المدية: الشفرة الكبيرة((٣٥) راعت: فزعت((٣٦) دهاها: نزل بها((٣٧) ويح: كلمة ترخّم وتوجّع((٣٨) أسوف: أماطل، وأقول مرة بعد أخرى) سوف((٣٩) حتفك: موتك.

ونقرأ في ميراث الإمام زين العابدين (ع) الوعظي شعراً وعظيماً رقيقاً مؤثراً نذكر نماذج منها. من ذلك ما وراه الشيخ بهاء الدين العاملي في (الكشكول: ٣/ ١٥ - ١٥١).

ص: ١٨١

تولّى واضمحلاً مع البلاغ	إذا بلغ إمروء علياً وعزاً
إذا صار البناء على الفراغ	كقصر قد تهدّم حافظاه
ألا لا يبغيين الملك باغ	أقول وقد رأيت ملوك عصرى

وقال أيضاً، كما في (كشول الشيخ البهبهاني: ٣/ ١٣).

وأرباب الصوافن والعشار	تفكّر أين أصحاب السرايا
وأين السابقون لدى الفخار	وأين الأعظمون يداً وبأساً
من الخلفاء والشمم الكبار	وأين القرن بعد القرن منهم
وهل حيّ يسان عن البوار. ١٨٨	كأن لم يخلقوا أو لم يكونوا

ومما يروى عنه في هذا السياق:

مجالس منهم أفقرت ومعاصر	وأضحوا رميماً في التراب وعطّلت
-------------------------	--------------------------------

وَحَلَّوْ بَدَار لَا تَزَاوَر بَيْنَهُم	وَأَتَى لِسَكَّانَ الْقُبُورِ التَّزَاوَر
فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا قُبُوراً ثَوَّاهَا	مَسْطَحَةٌ تَسْفَى عَلَيْهَا الْإِعَاصِر
فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمَنِيِّ إِذْ أَتَتْ	مَبَادِرُهُ تَهْوَى إِلَيْهِ الذِّخَائِرُ
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْحِصُونُ الَّتِي بَنَى	وَحَفَّ بِهَا أَنْهَارُهُ وَالْدَسَاكِرُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمَنِيَّةُ حِيلَهُ	وَلَا طَمَعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهُ الْعَسَاكِرُ
مَلِيكَ عَزِيزٍ لَا يَرُدُّ قَضَاؤُهُ	حَكِيمٍ عَلِيمٍ نَافِذِ الْأَمْرِ قَاهِرُ
عَنَا كُلِّ ذِي عِزٍّ لَعَزَّةٌ وَجْهَهُ	فَكُلٌّ عَزِيزٌ لِلْمَهْمِينَ صَاغِرُ
لَقَدْ خَضَعَتْ وَاسْتَسَلَمَتْ وَتَضَاعَلَتْ	لَعَزَّةُ ذِي الْعَرْشِ الْمُلُوكِ الْجَبَابِرِ ١٨٩

ومما يروى عنه (ع) في الموعظة:

قَدْ طَالَ لَبِثُكَ فِي الْفُسَادِ	وَبُئْسَ الزَّادُ زَادَكَ لِلْمَعَادِ
صَبَا ١٩٠ فَيُكِ الْفُؤَادُ فَلَمْ تَزْعِهِ	وَحَدَّثَ إِلَى مَتَابَعَةِ الْفُؤَادِ

١٨٩ القصيدة طويلة رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤١ / ٤٠٥ وعنه رواها ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق: ١٧ / ٢٥٠ دار الفكر وابن كثير في البداية والنهاية: ٩ / ١٢٩ دار إحياء التراث العربي ... فمن أراد فليرجع إلى تاريخ دمشق .. وقد ذكرنا شطراً من هذه القصيدة في الرسالة الوعظية المتقدمة.

١٩٠ النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين (ع): ١٣٧ عن كشكول الشيخ البهائي: ٣ / ١٢.

وقادتک المعاصی حیث شاءت
وألفتک امرءاً سلس القياد
لقد نودیت للترحال فاسمع
ولا تتصامن عن المنادی
کفاک مشیب رأسک من نذیر
وغالب لونه لون السواد.

ومن شعره (ع) الوعظی:

فعقبی کلّ شیء نحن فیہ
من الجمع الكثیف الی الشتات
وما حزنه من حلّ وحرم
یوزّع فی البنین وفی البنات
وتنسنا الأحبّة بعد عشر
وقد صرنا عظاماً بالیات
کأنّا لم نعاشرهم بوّد
ولم یک فیهم خلّ موات. ١٩١

ص: ١٨٤

٥- التتقیف بمرجعیّة أهل البیت (ع) بعد وفاة رسول الله (ص) وثقافة الولاء والبراءة

التتقیف بالولاء والبراءة ومرجعیّة أهل البیت (عليهم السلام):

التتقیف بالولاء لآل محمّد (ص) والبراءة من أعدائهم والناصبین لهم العداء، والتتقیف بحقّ أهل البیت (عليهم السلام) فی المرجعیّة السیاسیّة والفقهیّة والمعرفیّة فی هذه الأمّة ... من أهمّ وجوه ثقافة الجماعة الصالحة.

وعلى العموم كان دأب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الالتزام بالثقیف بالولاء والبراءة وتثبيت حق أهل البيت (عليهم السلام) فى الإمامة والقيادة والمرجعية فى هذه الأمة.

النصوص النبویة فى مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) وإمامتهم:

فقد وصّى رسول الله (ص) أن تكون المرجعية السیاسية (الزعامة السیاسية) والمرجعية الدینیة (الفقهية والمعرفية) لأهل بيته بعد وفاته، والنصوص على ذلك كثيرة من طرق الفريقين السنة والشيعة ... ولسنا الآن بصدد الحديث عن هذه النقطة.

وأشهر نصّ ورد فى (المرجعية السیاسية) لأهل البيت (عليهم السلام) من بعده (ص) حديث الغدير الذى تبلغ طرقة عند الفريقين حدّ التواتر، بلا إشكال، وجملته من طرقة صحيحة على المعايير المعروفة فى علم الحديث.

ص: ١٨٥

وأشهر نصّ ورد فى مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) الدینیة (الفقهية والمعرفية) حديث الثقلين الذى بلغت روايته أيضاً حدّ الاستفاضة، وجملته من طرقة صحيحة، ومنها طريق مسلم والترمذى وأحمد بن حنبل وغيرهم.

والذى حصل بعد وفاة رسول الله (ص) أن الناس حجبوا عنهم تلك المواقع، فصبروا حتى تكون مصيبتهم فى المواقع التى سلبت عنهم خاصة ولا تكون مصيبتهم فيها وفى الإسلام.

يقول الإمام على (ع) فى خطبته المعروفة بالشقشقية عن هذا الحق الذى ضيعه الناس بعد رسول الله (ص):

فرايت الصبر على هاتا احجى، فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجا، ارى ترائى نهبا ١٩٢.

يقول أمير المؤمنين (ع) فيما يرويه الشريف الرضى فى نهج البلاغة عنه (ع):

فلما مضى (ص) تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلقى فى روعى ولا يخطر ببالى أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده (ص) عن أهل بيته، ولا أنّهم مُنحَوْه عَنى من بعده، فما راعنى ١٩٣ إلا انشبال ١٩٤ الناس على فلان ١٩٥ يبايعونه،

١٩٢ نهج البلاغة: ٣/ ١١٨ - ١١٩ كتاب رقم ٦٣ (من كتاب له (ع) إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها).

١٩٣ راعنى: أى أفرغنى.

١٩٤ انشبال: إقبال وانصباب وتزاحم.

١٩٥ فلان: الخليفة الأول.

فأمسكت يدي ١٩٦ حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد (ص)، فخشيت إن لم أنصر الإسلام

ص: ١٨٦

وأهله أن أرى فيه ثلماً ١٩٧ أو هدماً تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولايتكم ١٩٨.

وسرعان ما لملم آل البيت (عليهم السلام) جراحهم، وتحركوا في المسيرة الإسلامية الكبرى.

ولكن الحق الذي ضيعه الناس لأهل البيت (عليهم السلام) لم يكن حقاً شخصياً ليسكت عنه أهل البيت (عليهم السلام)، وإنما كان حقاً لأمة رسول الله (ص) ... فقد شاء الله تعالى أن يقترن هدى أهل البيت (عليهم السلام) بهدى القرآن ولا يفترقا عن بعض، ويرسماً معاً صراط الله المستقيم في حياة المسلمين، منذ وفاة رسول الله (ص) إلى أن تقوم الساعة في نهاية التاريخ، كما ورد هذا المعنى في بعض الفاظ حديث الثقلين:

عن رسول الله (ص)

أنى قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ١٩٩.

ومعنى هذا النص ومغزاه إذا تأملنا أن حجب أهل البيت (عليهم السلام) عن موقع الريادة والقيادة والمرجعية الفقهية والمعرفية في الإسلام يؤدى إلى تشتيت المسلمين إلى مذاهب فقهية ومعرفية كثيرة في الفروع والأصول، كما حصل بالفعل.

المحافظة على تواتر النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت (عليهم السلام)

١٩٦ فأمسكت يدي عن بيعه الخليفة الأول وامتنعت عن مبايعته.

١٩٧ ثلماً: أى خرقاً.

١٩٨ نهج البلاغة: كتاب رقم: ٦٢ (من كتاب له (ع) إلى مالك الاشتر رضوان الله عليه عامله على مصر).

١٩٩ أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١١٨ وأخرجه الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٤ / ١١٣ وغيرهم.

ولهذه الأسباب كان أهل البيت (عليهم السلام) يحرصون على أن يحافظوا على تواتر النصوص النبوية الصريحة بمواقع أهل البيت (عليهم السلام) في هذه الأمة بعد وفاة رسول الله (ص)، لئلا تضع هذه النصوص وتفقد استفاضتها وتواترها كما ضاعت الحقوق قبل ذلك.

ص: ١٨٧

ومن أجل ذلك استشهد أمير المؤمنين (ع) طائفة من أصحاب رسول الله (ص) على بيعة الغدير في رحبة مسجد الكوفة، فناشدهم الله من سمع رسول الله (ص) يقول في غدير خم:

من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه)

فقام اثنا عشر بدرياً وشهدوا بذلك ٢٠٠.

ومن ذلك احتجاج الإمام الحسن (ع):

أخرج الحافظ أبو العباس بن عقدة: (أن الحسن بن عليّ (ع) لما جمع على صلح معاوية قام خطيباً وحمد الله، وأثنى عليه وذكر جدّه المصطفى بالرسالة والنبوة، ثم قال:

إنّا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام واصطفانا، وأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيراً. لم تفترق الناس فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما من آدم إلى جدّي محمد (ص).

وقد سمعت هذه الأمة جدّي (ص) يقول: ما ولّت أمة رجلاً وفيهم ممن هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوه.

وسمعه يقول لأبي:

أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدى.

وقد روه وسمعه حين أخذ بيد أبي بغدير خم، وقال لهم: من كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. ثمّ أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب

٢٠٠ راجع تفاصيل حديث المناشدة في الغدير: ١/ ٣١٤ - ٣٦٦ قال الحلبي في سيرته (٣/ ٣٠٣): (احتجّ عليّ (ع)) به بعد أن آلت إليه الخلافة رداً على من نازعه فيها).

. ذكر شرطاً من هذه الخطبة (القندوزي) الحنفى فى (ينابيع المودة) ٢٠١.

كما جمع الحسين (ع) مَنْ تَبَقَّى من أصحاب رسول الله (ص) وأولاد الصحابة والتابعين فى منى فى ملتقى واسع عقده الإمام الحسين (ع) فى السنين الأخيرة من حكم معاوية، جمعهم فى سرادقة، فكانوا زهاء ألف أو أكثر.

ص: ١٨٨

فخطب فيهم، فقال: إن هذا الطاغية (معاوية) قد فعل بأهل بيت رسول الله (ص) وشيعته ما صنع، إنه (الحسين (ع)) يخاف اندثار فضائل عليّ (ع) فذكر لهم طائفة من حديث رسول الله (ص) فى عليّ بن أبى طالب وطلب منهم أن يشهدوا بصحة الحديث إن كانوا قد سمعوا الحديث، فشهدوا له جميعاً، ثم طلب منهم أن يستروا عليه هذا الموقف، وينشروا هذه الأحاديث والنصوص، إذا رجعوا إلى بلادهم، وكان فيما تلاه عليهم نصوصاً فى إمامة عليّ (ع) ٢٠٢.

وكان للإمام الباقر (ع) جهد توثيقى وإعلامى نحو ذلك فى تثبيت الاستفاضة والتواتر لهذه الأحاديث التى كانت تتعرض للنتعيت والإنكار من قبل علماء البلاط الأموى من مثل محمد بن مسلم الزهرى وأمثاله ممن خالطوا سلطان بنى أمية.

الإمام (ع) يدعو إلى تثبيت مرجعية أهل البيت (عليهم السلام):

رغم كل الإرهاب الأموى الذى كان يعيش معه عليّ بن الحسين (ع) كان يسعى لتوثيق وتثبيت مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) السياسية والفقهية والمعرفية.

فهو يصرح بإمامته وإمامة ذريته من بعده. يقول فى كلام له يرويه الصدوق فى الآمالى والطبرسى فى الاحتجاج:

نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالى المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض، كما أن النجوم أمان أهل السماء، ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها، ظاهر مشهود أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله ٢٠٣.

ص: ١٨٩

٢٠١ ينابيع المودة ٣ / ١٥٠ باب ٩٠.

٢٠٢ بحار الأنوار: ٣٣ / ١٨٣.

٢٠٣ أمالى الصدوق: ١١٢ مجلس ٣٤ والاحتجاج: ٣١٧.

وقال نصر بن أوس أبو المنهال الطائي: (قال لى عليّ بن الحسين (ع):

الى من يذهب الناس؟ (قال: قلت: يذهبون ها هنا وها هنا. قال: قل لهم يجيئون الى ٢٠٤.

وكان يدعو إلى نفسه إماماً للمسلمين وإلى ذريته من بعده. قال أبو خالد الكابلي: (يا مولاي أخبرني كم يكون الأئمة بعدك؟

قال ثمانيه، لأن الأئمة بعد رسول الله (ص) إثنا عشر إماماً، عدد الأسباط: ثلاثة من الماضين، وأنا الرابع وثمانية من ولدي) ٢٠٥.

وكان (ع) يقول:

ما ينقم الناس منا؟! فنحن والله شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة ٢٠٦

. كما كان الإمام عليّ بن الحسين (ع) يدعو إلى مرجعيته الدينيّة والثقافيّة في عهده ثم مرجعيّة ذريّة من بعده.

روى عنه (ع):

إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، لا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هدى ٢٠٧.

وروى أنه (ع) قال لرجل شاجره في الفقه:

يا هذا لو صرت إلى منازلنا لاريناك آثار جبرئيل في رحالتنا، أف يكون أحد أعلم بالسنة منا؟ ٢٠٨.

عن موسى بن القاسم قال: (قال عليّ بن الحسين (ع):

٢٠٤ تاريخ دمشق: ٣٦٥ / ٤١.

٢٠٥ كفاية الآخر: ٢٣٦ - ٢٣٧ والصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي النباطي: ٢ / ١٣١ وبحار الأنوار: ٣٦ / ٣٨٨.

٢٠٦ الكافي: ١ / ٢٢١.

٢٠٧ إكمال الدين: ٣٢٤.

٢٠٨ نزهة الناظر للحلواني: ٤٥ وبحار الأنوار: ٧٥ / ١٦١.

إِنَّ مُحَمَّدًا (ص) كَانَ أَمِينُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، فَلَمَّا قَبِضَ مُحَمَّدٌ كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَثَتَهُ، فَنَحْنُ أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي

ص: ١٩٠

أَرْضِهِ، عِنْدَنَا عِلْمُ الْمَنَآيَا وَالْبَلَايَا وَأَنْسَابُ الْعَرَبِ وَمَوْلِدُ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ شِيعَتَنَا لِمَكْتُوبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ. نَحْنُ
النَّجَبَاءُ، وَنَحْنُ أَفْرَاطُ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَوْصِيَاءِ، وَنَحْنُ الْمَخْصُوصُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَنَحْنُ
أَوْلَى النَّاسِ بِدِينِ اللَّهِ، نَحْنُ الَّذِينَ شَرَعَ اللَّهُ لَنَا دِينَهُ، وَقَالَ فِي كِتَابِهِ:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى

فَقَدْ عَلَّمْنَا، وَبَلَّغْنَا مَا عَلَّمْنَا، وَاسْتَوْدَعْنَا عِلْمَهُمْ. نَحْنُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَحْنُ أَوْلُو الْعِزِّ مِنَ الرِّسْلِ ٢٠٩.

الدعاء السياسي:

وكان من دعائه (ع) يوم الأضحى ويوم الجمعة ما يقول: اللهم إن هذا المقام (إمامة العيد والجمعة) لخلفائك وأصفيائك،
ومواضع أمانتك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها، وأنت المقدر لذلك، لا يغالب أمرك، ولا يجاوز
المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأناى شئت، ولما أنت أعلم به، غير متهم على خلقك، ولا لإرادتك، حتى عاد صفوتك
وخلفاؤك مغلوبين، مقهورين، مبتزين، يرون حكمك مبدلاً، وكتابتك منبذاً، وفرائضك محرقة عن جهات أشراك
(شراعتك)، وسنن نبيك متروكة، اللهم العن أعداءهم من الأولين والآخرين ومن رضى بفعالهم وأشياهم وأتباعهم ٢١٠.

وكان المعلى بن خنيس إذا كان يوم العيد خرج إلى الصحراء شعثاً مغبراً في زى ملهوف، فإذا صعد الخطيب المنبر مدّ يده
نحو السماء ثم قال: اللهم هذا

ص: ١٩١

مقام خلفائك وأصفيائك، ومواضع امانتك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها، قد ابتزوها، وأنت المقدر للأشياء، لا
يغالب قضاؤك، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأناى شئت، علمك في إرادتك كعلمك في خلقك، حتى عاد

٢٠٩ بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار: ٢٩٠ ط ١٤٠٤-١٣٦٢ هـ. ش طهران- الأعلمی، والكافي للكليني: ٢٢٤ / ١، وقريباً من هذا النص ما رواه

القاضي النعمان المغربي في دعائم الإسلام: ٦٣، ومختصر بصائر الدرجات: ١٧٤.

٢١٠ من أدعية الصحيفة السجادية الكاملة، وهو الدعاء (٤٨) مؤسسة النشر الإسلامي: ص ٢٧٧.

صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين، يرون حكمك مبدلاً، وكتابك منبذاً، وفرائضك محرقة عن جهات شرائعك، وسنن نبيك صلواتك عليه وآله متروكة، اللهم العن أعداءهم، وأعوانهم، إنك على كل شيء قدير ٢١١.

وكان من دعائه (ع) يوم عرفه في واد عرفه كما في (الصحيفة السجادية) ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علماً لعبادك، ومناراً في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذرت (عن) معصيته، وأمرت بامتنال أمره، والانتهاه عند نهيه، وألا يتقدمه متقدماً، ولا يتأخر عنه متأخراً، فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين، وعروة المتمسكين، وبهاء العالمين، اللهم فأوزع لوليّك شكر ما أنعمت به عليه، وأوزعنا مثله فيه، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً، وافتح له فتحة يسيراً، أعنه بركنك الأعز، واشدد أزره، وقوّ عضده، وراعه بعينك، واحمه بحفظك، وانصره بملائكتك، وامدده بجندك الأغلب، وأقم به كتابك وحدودك وشرائعك وسنن رسولك (ص)، وأحى به ما أماته الظالمون من معالم دينك، وأجل به صداء الجور عن طريقتك، وأبّن به الضراء من سبيلك، وأزل به الناكبين عن صراطك، وامحق به بغاة قصدك عوجاً، وألّن جانبه لأوليائك، وابسط يده على أعدائك، وهب لنا رأفته ورحمته وتعطفه وتحننه، واجعلنا له سامعين مطيعين، وفي رضا ساعين، والى نصرته والمدافعة عنه مكنفين، وإليك والى رسولك (ص) بذلك متقرّبين ٢١٢.

ص: ١٩٢

وليس من شك أن الإمام (ع) لا يقصد بهذا الدعاء طغاة بني أمية الذين كانوا يهلكون الحرث والنسل، وإنما يقصد بهذا الدعاء أئمة الحق من أهل البيت (عليهم السلام) أمناء الأمة وخلفاء رسول الله في أمته والظاهرين المطهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس ... وهو (ع) في عصره إمام هذه الأمة الذي ابتز بنو أمية حقه وموقعه ٢١٣.

الشعر السياسي:

في الأدبيات السياسيّة التي وصلت إلينا عن الإمام زين العابدين (ع) نلتقي بالشعر السياسيّ، وهو ظاهرة سياسيّة بارزة في أدبيات أهل البيت (عليهم السلام) في الإعلان عن الظلم الذي نال أهل البيت (عليهم السلام) من قبل الحكّام الظالمين

٢١١ رجال الكشي: ٢٤٣، بحار الأنوار: ٣٦٣ / ٤٧.

٢١٢ الصحيفة السجادية الكاملة مؤسّسة النشر الإسلامي قم ١٤٠٤ هـ -- ١٣٦٣ ش.

٢١٣ قد يوحي بعض الكلمات الواردة في الدعاء إلى أن الداعي غير المدعو له مثل (وهب لنا رأفته ورحمته) (واوزعنا مثله فيه)، والجواب أن هذه الأدعية ذوات صفات تعليميّة للناس تعلمهم كيف يدعون لإمام المسلمين يوم عرفه، مثلاً.

وعمّالهم وأذنانهم الذين عاثوا فى الأرض فساداً، ونشروا الرعب والإرهاب، وعن الظلم الذى طالهم من قبل علماء البلاط الأموى الذين ابتزّوهم موقع الفتيا والمرجعية الدينية والمعرفية بين المسلمين.

والشعر السياسى ينتشر بين الناس بسرعة ويحفظه الناس ويتناقلونه، وقد دأب أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم منذ هذا التاريخ على الاهتمام بالشعر السياسى، فكان منهم الفرزدق وكميت والسيد الحميرى ودعبل الخزاعى والعبدى الكوفى وغيرهم.

وكان أهل البيت (ع) يُرغّبون شيعتهم فى هذا النوع من الشعر، ويتّخذونه وسيلة إلى نشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) واستحقاقاتهم السياسية والدينية، وشجب أعدائهم وخصومهم والناصبين لهم العداء.

ص: ١٩٣

وللإمام زين العابدين (ع) شعر سياسى يذكره ابن شهر آشوب فى المناقب والمجلس فى البحار.

ومحور هذا الشعر الشكوى مما نال أهل البيت (عليهم السلام) من الظلم بعد رسول الله (ص) وخاصة من بنى أمية، والتنديد بمن غصب حقوق أهل البيت (عليهم السلام) ومواقعهم فى هذه الأمة بعد وفاة رسول الله (ص).

ومن ذلك ما كان ينشده فى طريقه من الكوفة إلى الشام وهو أسير بيد زيائية بنى أمية:

ساد العلوج فما ترضى بذا العرب. ٢١٤
وصار يقدم رأس الأمة الذنب

يا للرجال لما يأتى الزمان به
من العجيب الذى ما مثله عجب

آل الرسول على الأقتاب عارية
وآل مروان تسرى تحتهم نجب. ٢١٥

وأيضاً يقول (ع) فى ذلك الطريق:

٢١٤ العليج: كل جاف شديد من الرجال.

٢١٥ مقتل الحسين لأبى مخنف: ص ١٨٦.

هذا الزمان فما تفنى عجائبه

عن الكرام ولا تفنى مصائبه

ص: ١٩٤

فليت شعري إلى كم ذا يحاربنا

بصرفه والى كم ذا نحاربه

يسرى بنا فوق أعياس بلا وطاء

وسائق العيس يحمى عنه عازبه

كأننا من بنات الروم بينهم

أو كل ما قاله المختار كاذبه ٢١٦

ومن شعره السياسى فى التشييد بموقع أهل البيت (عليهم السلام) فى الإسلام:

لنحن على الحوض رواده

نذود ونسقى ورّاده

وما فاز من فاز إلا بنا

وما خاب من حَبّنا زاده

ومن سَرَّنا نال منا السرور

ومن ساءنا ساء ميلاده

ومن كان غاصبنا حقّنا

فيوم القيامة ميعاده

ص: ١٩٥

ويروى له (ع):

نحن بنو المصطفى ذوو غصص

يجرّعها فى الأنام كاظمنا

عظيمة في الأنام محنتنا

أولنا مبتلى وآخرنا

ومن شعره (ع) السياسي:

ليت شعري هل عاقل في الدياجي

بات من فجعة الزمان يناجي

أنا نجل الإمام ما بال حقّي

ضائع بين عصابة أعلاج ٢١٧.٢١٨

ص: ١٩٦

٦- ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي

الأسس السياسيّة الثلاثة في ثقافة أهل البيت (عليهم السلام):

في ظروف الإرهاب الأموي والعبّاسي تستوقفنا في تاريخ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) السياسيّة ثلاثة أسس يتفق عليها أهل البيت (عليهم السلام) من مصرع الحسين (ع) إلى الغيبة الصغرى.

وهذه الأسس الثلاثة هي:

١- مقاطعة الحكّام الظلمة من بني أميّة وبني العبّاس.

٢- الحضور الدائم والقوى والفاعل في وسط الأمة بعرضها العريض، وعدم الانكفاء على الذات.

٣- بناء وتشبيد وتوسعة الجماعة الصالحة.

٢١٧ الأعلاج: جمع عالج وهو بمعنى الشديد الغليظ الصلف من الرجال.

٢١٨ النظريّة السياسيّة لدى الإمام زين العابدين (ع) لمحمود البغدادي: ص ١٣٠.

ودونك شرحاً موجزاً لهذه الأسس الثلاثة:

١- مقاطعة الحكّام الظلمة:

كان أهل البيت (عليهم السلام) يؤكّدون على هذه المقاطعة ويصرّحون في كلّ الظروف على حرمة التعاون مع الظلمة، حتى لو كان بمقدار قطّ قلم ومدّة دواء (حبر) أو أن يكيّ لهم أحد وكاء:

إلا أن تكون المهمّة التي تناط بهم من المهام التي يحتاج إليها الناس على كلّ حال، وتتوقّف عليها حياتهم، ومن دونها تتعطل حياة الناس، من قبيل الأمن والتعليم والنظام وأمثال ذلك، دون أن يكون في ذلك دعم وإسناد للظالم. وبين المستثنى (السائق) والمستثنى منه (المحظور) فرق واضح.

ص: ١٩٧

والغاية من هذا الحظر هو إخلاء أطراف الظالم وعزله سياسياً واجتماعياً، وإبعاد الجمهور عنه، وإشعاره بالعزلة السياسيّة والاجتماعيّة وأنّه حالة منبوذة في وسط المجتمع.

وقد حقّقت هذه التعاليم الكثير من أهدافها في المجتمع الإسلاميّ يومذاك، حتى أصبح العلماء الصالحون يتجنّبون الدخول في أعمال خلفاء بني أميّة وبني العبّاس ويتجنّبون الدخول في قصورهم ومعاشرتهم، ما أمكنهم ذلك.

وقد وردت في هذا المعنى روايات كثيرة نتلو عليكم بعضها:

روى محدّد بن يعقوب الكليني في الكافي بسنده عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) في حديث قال:

إياكم وصحبة العاصين ومعوّنة الظالمين

وروى طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله (ع)، قال:

العامل بالظلم، والمعين له، والراضى به شركاء

وروى الكليني أيضاً: عن محدّد بن عذافر، عن أبيه، قال: قال أبو عبد الله (ع): يا عذافر! نُبِّئت أنك تعامل أبا أيّوب والربيع، فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة؟ قال: فوجم أبي، فقال له أبو عبد الله (ع) لما رأى ما أصابه: أيّ عذافر! إنّما خوفتك بما خوّفتني الله عزّ وجلّ به، قال محدّد: فما زال أبي مغموماً مكروباً حتى مات .)

وروى ابن محبوب، عن حريز، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (إِتَّقُوا اللَّهَ، وصُونُوا دينكم بالورع، وقوَّوه بالتَّقِيَّةِ والاستِغناء بالله عزَّ وجلَّ، عن طلب الحوائج إلى صاحب سلطان، إنَّه من خضع لصاحب سلطان، ولمن يخالفه على دينه، طلباً لما في يديه من دنياه أخمله الله عزَّ وجلَّ ومقتته عليه، ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه، فصار إليه منه شيء نزع الله جلَّ اسمه البركة منه، ولم يأجره على شيء منه ينفقه في حجٍّ ولا عتق ولا بر.).

روى الكليني عن هشام بن سالم عن أبي بصير، قال: (سألت أبا جعفر (ع) عن أعمالهم فقال لي: يا أبا محمد! لا ولا مدَّة قلم، إنَّ أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله.).

ص: ١٩٨

عن جهم بن حميد، قال: قال لي أبو عبد الله (ع): (أما تغشى سلطان هؤلاء؟ قال: قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: فراراً بديني، قال: وعزمت على ذلك؟ قلت: نعم، قال لي: الآن سلم لك دينك ٢١٩).

٢- الحضور في وسط الأمة:

من خلال كلمات أهل البيت (عليهم السلام) نكتشف خيوط مؤامرة واسعة على شيعة أهل البيت (عليهم السلام) تسعى إلى عزلهم عن الساحة الإسلامية الواسعة (الأمة الإسلامية)، وحشرهم في زاوية حرجة، والتضييق عليهم ... عندئذ يفقد شيعة أهل البيت (عليهم السلام) دورهم وتأثيرهم في توعية الرأي العام في مساحة الأمة الواسعة، وينقلبون إلى مجموعة منكفئة على نفسها، شأنهم في ذلك شأن الخوارج.

لقد أدرك أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هذه المؤامرة الأموية الخبيثة، وكافحوها بالتأكيد على شيعتهم بضرورة الحضور المؤثر القوي في وسط الأمة، ومنعواهم من الانكفاء على الذات، ووضحوا لهم أنهم إذا خرجوا من بحر الأمة فسوف يفقدون تأثيرهم ودورهم في تصحيح المسيرة، وفضح السلطان وتعريته للجمهور.

وقد وردت في ذلك روايات كثيرة نذكر طائفة منها هنا، شاهدة على ما نقول:

وهذه الثقافة هي ثقافة الانفتاح على الأمة الكبيرة، وصَّى بها أهل البيت (عليهم السلام) شيعتهم ...

وشيعه أهل البيت (عليهم السلام) اليوم في ظروف الفتنة الطائفية الحاضرة مدعوون إلى حالة الانفتاح هذه بشكل قوى،
لإحباط الفتن الطائفية التي يثيرها هنا وهناك

ص: ١٩٩

عملاء الاستكبار العالمي وأذنانهم بين المسلمين من الشيعة والسنة في كل مكان تقريباً.

وإليك نماذج من أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) في هذا الشأن:

روى محمد بن يعقوب الكليني بسند صحيح في الكافي عن أبي أسامة زيد الشحام، قال: قال أبو عبد الله (ع): أقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم، ويأخذ بقولي السلام، أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فهذا جاء محمد (ص).

وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً، وأن رسول الله (ص) كان يأمر بأداء الخيط والمخيطة.

صلُّوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفرى، فیسرني ذلك، ويدخل على منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان غير ذلك دخل على بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر.

والله لحدّثني أبي (ع) أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة على فيكون زينها، أداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، واليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان! إنه أدانا للأمانة وأصدقنا لحديث ٢٢٠.

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق (ع) كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين

ص: ٢٠٠

خلطانا من الناس؟ قال: فقال (ع):

تؤدّون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم ٢٢١.

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب، قال: قلت له (الصادق (ع)) كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطاننا من الناس ومن ليسوا على أمرنا فقال: (تتظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون. فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة لهم ٢٢٢).

وفي رواية أخرى للكلينى فى الكافى بسند صحيح عن حبيب الحنفى، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (ع) يقول: (عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، وأحضروا مع قومكم مساجدهم، واحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره ٢٢٣).

وبسند صحيح عن مرازم قال: قال أبو عبد الله (الصادق) (ع):

عليكم بالصلاة فى المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنّه لا بد لكم من الناس، إن أحداً لا يستغنى عن الناس فى حياته، والناس لابدّ لبعضهم من بعض ٢٢٤).

ص: ٢٠١

٣- بناء الجماعة الصالحة:

وهو الأساس الثالث فى سياسة أهل البيت (عليهم السلام) وقد وضّحنا أهميّة مشروع الجماعة الصالحة فى مواجهة الانحراف الأموى والعبّاسى عن الإسلام النقى الذى جاء به رسول الله (ص) من عند الله.

لقد تعرّض دين الله على يد بنى أميّة وبنى العباس إلى انحرافات كبيرة فى الأصول والفروع، وتغير الكثير من أحكام الله تعالى وحدوده. فقد حلّوا المنكرات التى حرّمها الله تعالى، واستباحوها فى قصورهم، وأشاعوها بين المسلمين ... وما بالكَ إن كان الذى يسمى نفسه خليفة رسول الله (ص) يقارف شرب الخمر علانية، ويعرف الناس منه ذلك، ولا يأبى هو أن يعرف المسلمون منه ذلك، وأشاعوا الظلم والفساد بين المسلمين، وقارفوا من المنكرات والمحرّمات فى قصورهم الكثير وأشاعوها بين المسلمين، فاصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

٢٢١ وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٩٨ كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأول الحديث الثانى.

٢٢٢ وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٩٩ كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأول الحديث الثالث.

٢٢٣ وسائل الشيعة: ٨ / ٣٩٩ كتاب الحجّ أبواب أحكام العشرة الحديث الرابع.

٢٢٤ وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٩ - ٣٩٩ كتاب الحجّ أبواب أحكام العشرة الحديث الخامس.

وكانت خيارات أهل البيت (عليهم السلام) في حفظ الإسلام وتعاليم الوحي والخطّ الصحيح للإسلام محدودة جداً في ظروف القهر والعنف والإرهاب السياسيّ.

وكان من أهمّ الفرص والخيارات الممكنة لهم: أن يبدأوا في ظروف الإرهاب والقهر السياسيّ والأمنيّ ببناء (الجماعة الصالحة) وهم شيعتهم القريبون منهم، ويربون هذه الجماعة على المنهج الإسلاميّ الصحيح في العلاقة بالله، والالتزام بحدوده وأحكامه، ومكافحة التحريفات الأمويّة العباسيّة وتعريتها وفضحها، والالتزام بالسريّة الشديدة المكتنفة لحفظ هذه الجماعة من تسلّل السلطان وغيوبه، والابقاء عليهم، بعيداً عن الضوء، وعن متناول جلاوزة الأنظمة وعمّالهم.

ص: ٢٠٢

وكان لابد من أن يكون بناء هذه الجماعة بناءً محكماً مقاوماً يقاوم ضغوط النظام والفتن السياسيّة والاجتماعيّة. ولتحقيق ذلك كان لابدّ من التواصل والتكافل والتعاون الشديد على البرّ والتقوى داخل الجماعة، وفي نفس الوقت المحافظة على سريّة هذه الجماعة وإبعادهم عن الأضواء للابقاء عليهم بعيداً عن سطوة وضراوة النظام. ولذلك كان أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكّدون على أهميّة التواصل والتكافل والتعاون على البرّ والتقوى بينهم، كما كانوا يؤكّدون في نفس الوقت، على التواصل والتعاون والتكامل في بحر الأئمّة العريض. وكانوا يواجهون أصحابهم بعتاب وانتقاض، إذا وجدوا منهم تناقلاً في مساعدة اخوانهم ومدّ اليد إليهم في ما يواجهونه من المعاناة والعذاب، وعندما يجدون قصوراً من بعضهم في التواصل والتكامل والتعاون داخل الجماعة. روى إسحاق بن عمّار الصيرفي قال: كنت بالكوفة، فبأيتني إخوان كثيرون، وكرهت الشهرة، فتخوفت أن أشتهر بديني، فأمرت غلامي، كلّما جاءني رجل منهم يطلبني يقول: ليس هو ههنا.

قال فحجبت تلك السنة، فلقيت أبا عبد الله (ع)، فرأيت منه ثقلاً وتغيّراً فيما بيني وبينه. قال قلت جعلت فداك ما الذي غيّرني عندك؟ قال الذي غيّرَكَ للمؤمنين. قلت: جعلت فداك، إنّما تخوفت الشهرة، وقد علم الله شدّة حبّي لهم. فقال: يا إسحاق لا تملّ زيارة إخوانك، فإن المؤمن إذا لقي أخاه المؤمن، فقال مرحباً كتب الله له مرحباً إلى يوم القيامة، فإذا صافحه أنزل الله فيما بين إيهاميهما مائة رحمة، تسعة وتسعين لأشدّهم حبّاً لصاحبه، ثمّ أقبل الله عليهما بوجهه، فكان على أشدهما حبّاً لصاحبه أشدّ إقبالا، فإذا تعانقا، غمرتهما الرحمة، فإذا لبثا لا يريدان إلا وجهه، لا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا، قيل لهما: غفر الله لكما فاستأنفا فإذا أقبلّا على المسائلة قالت الملائكة بعضهم لبعض: تنحّوا عنهما فإن

لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما قال إسحاق: قلت له جعلت فداك: ألا يكتب علينا لفظنا، فقد قال الله عز وجل ما يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [سورة ق: ١٨].

قال فتنفس ابن رسول الله (ص) الصعداء، ثم بكى حتى خضبت دموعه لحيته، وقال يا إسحق إن الله تبارك وتعالى إنما نادى الملائكة أن يغيبوا عن المؤمنين إذا التقيا إجلالا لهما فإذا كانت الملائكة لا تكتب لفظهما، ولا تعرف كلامهما، فقد عرفه الحافظ عليهما، عالم السرّ وأخفى.

يا إسحق فخف الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك، ثم استترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها، فقد جعلته في حد أهون الناظرين إليك ٢٢٥.

والذى يتابع كلمات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من بعد مصرع الإمام الحسين (ع) إلى الغيبة الصغرى، وهى الفترة التى تم فيها تشييد الجماعة الصالحة واستقرارها فى الأرض، وتوسّعت وانتشرت فى بلاد واسعة من الأرض فى آسيا وأفريقيا، يجد تأكيداً بليغاً فى الاهتمام ببناء الجماعة الصالحة والتواصل والتكافل والتعاون على البرّ والتقوى داخل هذه الجماعة.

التواصل والتكافل الاجتماعى فى كلمات الإمام على بن الحسين (ع):

وقدّر الله تعالى: أن يكون الإمام على بن الحسين (ع) هو الذى يضع اللبنات الاولى للجماعة الصالحة، فى ظروف صعبة غاية الصعوبة.

ولكن رغم كل الإرهاب الأموى، فقد نجح المشروع على يد زين العابدين (ع) نجاحاً باهراً.

٢٢٥ نواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص ١٤٦ - ١٤٧ ط ١٣٦٨ تحقيق السيد محمد مهدى الخرسان منشورات الشريف الرضى. والكافى للكلينى: ٢ / ١٨١ - ١٨٢.

٢٢٦ يوسفى غروى، محمد هادى، الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام، ١ جلد، مجمع جهانى اهل بيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: ١، ١٤٣٦ هـ.ق.

وكان للرفيق الذين يشتريهم الإمام عليّ بن الحسين (ع) ويعتقهم في سبيل الله وقد بلغ عددهم الـ ٢٢٧ كما يقول المؤرخون دور في إعداد هذه الجماعة.

هؤلاء كانوا في دائرة زين العابدين (ع) يربطهم به ولاء العتق.

يقول عبد العزيز سيّد الأهل في كتابه القيم عن الإمام زين العابدين (ع): وجعل الدولا بيسير، والزمن يمرّ، وزين العابدين يهب الحرية في كلّ عام وكلّ شهر وكلّ يوم، وعند كلّ هفوة وغلطة، وكلّ خطأ حتى صار في المدينة جيش من الموالين الأحرار والحرائر، وكلّهم في ولاء زين العابدين ٢٢٨.

فكان إذا تعرّض زين العابدين (ع) لأذى أو أساءة وقفوا معه وانتصروا له.

يروى ابن الجوزي في صفّة الصفوة عن عبد الغفار بن القاسم الأنصاري قال: كان عليّ بن الحسين خارجاً من المسجد فلقبه رجل فسبّه فنارت إليه العبيد والموالي. فقال عليّ بن الحسين مهلاً عن الرجل، ثمّ أقبل على الرجل، فقال له ما ستر عنك من أمرنا أكثر. ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل فالتقى عليه خميصة كانت عليه، فكان الرجل يقول بعد ذلك: أشهد أنّك من أولاد الرسول ٢٢٩.

ومهما يكن من أمر فقد بدأ عليّ بن الحسين زين العابدين (ع) في المدينة بأعداد (الجماعة الصالحة) وهم شيعة، يعلمهم ويتفقّهم في الدين، ويعظّمهم، ويتولّى أمورهم، ويتفقّدّهم، ويأمرهم بالكتمان وحفظ السر، ويمنعهم من الثروة والطيش والنزق.

ص: ٢٠٥

فكان يقول (ع):

وددت والله إنّي افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدى: النزق وقلة الكتمان ٢٣٠.

وقد أعطى الإمام زين العابدين (ع) كثيراً من جهده ووقته وإهتمامه لإعداد هذه الجماعة ورعايتها وتنقيتها.

٢٢٧ راجع بحار الأنوار: ١٠٤ - ١٠٥.

٢٢٨ زين العابدين سيد الأهل: ص ٤٧.

٢٢٩ صفّة الصفوة لابن الجوزي: ٢ / ١٠٠.

٢٣٠ الكافي: ٢ / ٢٢١ وبحار الأنوار: ٧٥ / ٧٢ وخصال الصدوق: ٤٤. النزف: الطيش والخفة وسرعة الانفعال والاستعجال.

وكان من أهم وجوه تثقيف هذه الجماعة التثقيف بثقافة التواصل والتكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى فيما بينهم. ونحن إذ لا يسعنا الآن أن نجمع نصوص أحاديث الإمام زين العابدين (ع) في بناء وتشبيد الجماعة الصالحة وتحصينها ضدّ التحديات المعاصرة لها، في ظروف الإرهاب الأموى ... أحاول هنا أن أضع بين يدي القارئ طائفةً من النصوص المروية عن الإمام زين العابدين (ع) في التواصل والتكافل الاجتماعي. والتعاون على البرّ والتقوى داخل الجماعة الصالحة، وإليك شواهد ونماذج من هذه النصوص:

١- قضاء حوائج المؤمنين:

نقرأ في حديث الإمام زين العابدين (ع) جملة من النصوص في الترغيب في قضاء حوائج المؤمنين نذكر منها النصين التاليين:

عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) قال

(: من قضى لأخيه حاجة، قضى الله له بها مائة حاجة، في إحداهنّ الجنة، ومن نفّس عن أخيه كربةً، نفّس الله عنه كربةً يوم القيامة، بالغاً ما بلغت، ومن أعانه على ظالم له، أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الاقدام، ومن سعى له في حاجة حتى قضاها له فسرّ بقضائها، فكان كإدخال السرور على رسول الله (ص)، ومن سقاه من ظمأ سقاه

ص: ٢٠٦

الله من الرحيق المختوم، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن كساه من عرى كساه الله من إستر برك وحرير، ومن كساه من غير عرى لم يزل في ضمان الله ما دام على المكسو من الثوب سلك، ومن كفاه بما هو يمتنه ويكف وجهه ويصل به يديه، يخدمه الولدان، ومن حمّله (على) رحله بعثه الله يوم القيامة على ناقّة من نوق الجنة، يباهى به الملائكة، ومن كفنه عند موته، فكأنما كساه يوم ولدته أمه إلى يوم يموت، ومن زوجه زوجةً يأنس بها، ويسكن إليها آنسه الله في قبره بصورة أحبّ أهله إليه، ومن عاده عند مرضه حفّته الملائكة تدعو له حتى ينصرف، وتقول طبت وطابت لك الجنة، والله لقضاء حاجته أحبّ إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام ٢٣١.

وفي نصّ آخر، يحثّهم الإمام (ع) على المواساة والإحسان، والمنافسة فيقول:

شيعتنا! أمّا الجنة فلن تفوتكم، سريعا كان أم بطيئا، ولكن تنافسوا في الدرجات!

واعلموا إن أرفعكم درجات، وأحسنكم قصورا، ودورا، وأبنية: أحسنكم إيجاباً بإيجاب المؤمنين، وأكثركم مواساة لفقرائهم.

إن الله ليقرّب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة يكلم أخاه المؤمن الفقير، بأكثر من مسيرة ماءة ألف عام في سنة بقدمه، وإن كان من المعذبين بالنار. فلا تحتقروا الإحسان إلى إخوانكم، فسوف ينفعكم حيث لا يقوم مقام غيره ٢٣٢.

٢- صلة الرحم:

عن أبي جميلة عن الوصافي، عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (ص):

من سرّه أن يمد الله في عمره وأن يبسط له في رزقه فليصل رحمه،

ص: ٢٠٧

فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق (بليغ) تقول: يا ربّ صلّ من وصلني واقطع من قطعني، فالرجل ليرى بسبيل خير إذ أتته الرحم التي قطعها فتهوى به إلى أسفل قعر في النار ٢٣٣.

٣- شكر الجميل:

روى سفيان بن عيينة عن عمّار الدهني قال: سمعت عليّ بن الحسين (عليهما السلام) يقول:

إن الله يحبّ كلّ قلب حزين ويحبّ كلّ عبد شكور، ويقول الله تعالى لعبد من عبده يوم القيامة: أشكرت فلانا فيقول: بل شكرتك يا ربّ فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثمّ قال: أشكركم الله أشكركم للناس ٢٣٤.

٤- قبول الاعتذار من المسيئين:

٢٣٢ بحار الأنوار: ٧١ / ٣٠٨.

٢٣٣ الكافي للكليني: ٢ / ١٥٦.

٢٣٤ الكافي: ٢ / ٩٩ ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٧٤.

محمّد بن أبي عبد الله عن موسى بن عمران عن عمه الحسين بن عيسى بن عبد الله عن عليّ بن جعفر عن أخيه أبي الحسن موسى (ع) قال: أخذ أبي بيدي ثمّ قال يا بني إنّ أبي محمّد بن عليّ أخذ بيدي، كما أخذت بيدك وقال إنّ أبي عليّ بن الحسين أخذ بيدي ثمّ قال

(: يا بنيّ افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله، كنت أنت من أهله وإن شتمك رجل عن يمينك ثمّ تحوّل إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره ٢٣٥.

٥- الرفق:

في كتاب الخصال عن الزهري عن عليّ بن الحسين (ع) قال: كان آخر ما أوصى به الخضر، موسى بن عمران (عليهما السلام) أن قال:

لا تُغيّر أحداً بذنب، وإن أحب

ص: ٢٠٨

الأمور إلى الله تعالى ثلاثة: القصد في الشدّة، والعفو في القدرة، والرفق بعباد الله وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله تعالى به يوم القيامة، ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى ٢٣٦.

٦- الهداية والتثقيف والتعليم:

عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام): أوحى الله تعالى إلى موسى (ع):

حبّيني إلى خلقي وحبّ خلقي إليّ.

قال: يا رب، كيف أفعل؟

قال:

ذكرهم آلائي ونعمائي ليحبوني، فلئن ترد أبقا عن بابي أو ضالا عن فنائي، أفضل لك من عبادة (مائة) سنة صيام نهارها وقيام ليلها.

قال موسى (ع): ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال:

العاصي المتمرد.

قال: فمن الضال عن فنائك؟

قال:

الجاهل بإمام زمانه تُعرفه، والغائب عنه بعد ما عرفه، الجاهل بشريعة دينه تعرفه شريعته، وما يعبد به ربه، وتوصل به إلى مرضاته ٢٣٧.

٧- التحذير من ازدراء الناس:

عن أبي بصير، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال:

إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئا من طاعته، وربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئا من معصيته، وربما وافق سخطه معصيته وأنت لا

ص: ٢٠٩

تعلم. وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئا من دعائه، وربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، وربما يكون وليه وأنت لا تعلم ٢٣٨.

٨- مقابلة الإساءة بالإحسان:

عن أبي حمزة الثمالي. قال سمعت علي بن الحسين زين العابدين (ع)، يقول:

٢٣٧ مستدرک الوسائل: ١٧ / ٣١٩ و ١٢ / ٢٠٤، الجواهر السنّة للحر العاملي: ٧٧. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٣٤٢.

ما من خطوة أحب إلى الله عز وجلّ من خطوتين: خطوة يسد بها المؤمن صفاً في سبيل الله، وخطوة إلى ذى رحم قاطع.

وما من جرعة أحب إلى الله عز وجلّ من جرعتين: جرعة غيظ ردّها مؤمن بحلم، وجرعة مصيبة ردّها مؤمن بصبر.

وما من قطرة أحب إلى الله عز وجلّ من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمع في سواد الليل، لا يريد بها عبد إلا الله عز وجلّ ٢٣٩.

عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) قال: سمعته يقول:

إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ثمّ ينادى مناد: أين أهل الفضل؟ قال يقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون ما كان فضلكم؟ فيقولون كنا نصل من قطعنا، ونعطى من حرمنّا، ونعفو عمن ظلمنا قال: فيقال لهم ادخلوا الجنة ٢٤٠.

ص: ٢١٠

٩- الدعاء للمؤمنين بظهور الغيب:

عن أبي عبيدة، عن ثوير قال: سمعت عليّ بن الحسين (عليهما السلام) يقول:

إنّ الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهور الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير، قد أعطاك الله عز وجلّ مثلي ما سألت له وأنتى عليك مثلي ما أثبتت عليه ولك الفضل عليه، وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء، ويدعو عليه قالوا له: بئس الأخ أنت لأخيك كفّ أيها المُستّر على ذنوبه وعورته، وأربع على نفسك وأحمد الله الذى ستر عليك وأعلم أن الله عز وجلّ أعلم بعبده منك ٢٤١.

١٠- طيب الأخلاق:

عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال كان رسول الله (ص) يقول في آخر خطبته:

٢٣٩ الخصال للصدوق: ٥٠

٢٤٠ الكافي: ٢ / ١٠٧.

٢٤١ الكافي: ٢ / ٥٠٨ ووسائل الشيعة: ٤ / ١١٦٤.

طوبى لمن طاب خلقه، وطهرت سجيته، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله وأنصف الناس من نفسه ٢٤٢

عن عليّ بن الحسين (ع) قال قال رسول الله (ص):

ما يوضع فى ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق ٢٤٣.

١١- التزاور والتحابب والتواصل فى الله:

قال الإمام عليّ بن الحسين (ع):

إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس من الناس فيقال: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا قبل الحساب؟! قالوا نعم. قالوا:

ص: ٢١١

ومن أنتم؟ قالوا: أهل الفضل. قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كنّا إذا جهل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسىء إلينا غفرنا. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم يقول: ينادى مناد ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس. فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة بغير حساب، فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر. قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادى مناد: ليقم جيران الله فى داره، فيقوم ناس من الناس، وهم قليل، فيقال لهم: إنطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم: مثل ذلك. قالوا: وبم جاوَرتم الله فى داره؟ قالوا كنّا نتزاور فى الله، ونتجالس فى الله، ونتبادل فى الله. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ٢٤٤.

٢٤٢ جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى: ١٤ / ٢٩٤ - ٢٩٥.

٢٤٣ الكافي: ٢ / ٩٩ ح ٢.

٢٤٤ البداية والنهاية لابن كثير: ٩ / ١٣٣، أعيان الشيعة: ١ / ٦٢٧، كشف الغمة للاربلى: ٢ / ٣١٥، شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى: ٢٨ / ١١٣، بلاغة الإمام عليّ بن الحسين للحائرى: ١٧٦.

وقال رجل لعلی بن الحسین (ع): إني لأحبك في الله حباً شديداً، فنكس رأسه، ثم قال:

اللهم إني أعوذ بك ان أحبّ فيك، وأنت لي مبغض، ثم قال أحبّك الذي تحبّني فيه ٢٤٥.

ص: ٢١٢

مصادر الكتاب

ص: ٢١٣

الفهرس

مقدمّة المجمع ٧

المقدمّة / الأبعاد الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة لحياة الإمام زين العابدين (ع) ٩

المعارضة الشيعيّة: ١٣

المحور السياسيّ والثقافيّ في سيرة الإمام زين العابدين (ع): ١٦

١- المحور السياسيّ في منهج تعامل الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ١٩

مع حكام بني أميّة ١٩

أ- موقف الإمام (ع) من الثورة المسلّحة ٢٢

الإمام زين العابدين يقيم أول مجلس عزاء للحسين (ع) عند مدخل المدينة ٢٤

إضطهاد وارث كربلاء ٢٥

موقف الإمام (ع) من ثورة أهل المدينة (الحرّة) ٢٧

ملاحظات على ثورة المدينة ٢٨

الإمام السجّاد (ع) في ظروف الاضطهاد الأموي ٣٢

ب - سياسة المقاطعة والمعارضة لحكام بني أمية ٣٥

مع عبد الملك بن مروان ٣٥

الدعاء على الظالمين ٣٧

التحذير عن التعاون مع الظالمين ٣٨

مع الزهري ٤٠

رسالة الإمام (ع) إلى محمّد بن مسلم الزهري ٤١

حوار مع الزهري ٤٤

ص: ٢١٤

حوار الإمام مع عباد البصري ٤٥

٢ - المحور التربوي في إعداد الجماعة الصالحة ٤٧

الحالة السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني أمية ٤٩

المواريث النبويّة الثلاثة: ٤٩

الانتكاسة ٥٢

الواقع السياسيّ والدينيّ الذي عاشه عليّ بن الحسين (ع) ٥٥

بناء الجماعة الصالحة ٥٥

ثقافة الجماعة الصالحة في تراث زين العابدين (ع) ٥٨

ثقافة الجماعة الصالحة ٦١

١- ثقافة العلاقة بالله ٦٣

باقة من دعاء الأسحار ٦٤

دعاء الاضطراب ٦٧

منازل الاضطراب ٦٧

معنى الاضطراب ٦٧

الانقطاع والاضطراب ٦٩

كيف يلجأ الإنسان إلى الله في أيام اضطرابه؟ ٧٣

عودة إلى دعاء الاضطراب ٧٤

٢- الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة الصالحة وفي وسط الأمة ٧٥

رسالة الحقوق ٧٥

١- مبدأ الحقوق كلها هو الله تعالى ٧٥

٢- موقع المسؤولية في حياة الناس ٧٦

ص: ٢١٥

٣- الحقوق التي تنظم شبكة العلاقات ٧٨

٤- الأبعاد الأربعة للشبكة ٨٠

٥- الحقوق الذاتية ٨١

٦- علاقة الإنسان بفعله ومسؤوليته عنه ٨٣

٧- التبادل في الحقوق ٨٤

رسالة الإمام زين العابدين (ع) في الحقوق ٨٥

تفصيل الحقوق ٨٦

حق الله ٨٦

حق النفس ٨٦

حقوق الأعضاء ٨٧

حقوق الأفعال ٨٧

حقوق الأئمة ٨٨

حقوق الرعية ٨٩

حقوق الرحم ٨٩

الحقوق الثابتة لعامة الناس ٩٠

٣- الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين (ع) ٩٥

نماذج من الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين (ع) ٩٥

١- الدعوة إلى المقاومة والصبر ٩٥

٢- بين الكلام والسكوت ٩٥

٣- حث الشباب على طلب العلم ٩٧

٤- المنهج الصحيح للتقييم ٩٨

ص: ٢١٦

كلمة الإمام زين العابدين في معايير التقييم ١٠١

٥- من أين يتلقى المؤمنون الحكمة؟ ١٠٣

ماهى الحكمة؟ ١٠٥

بماذا يكسب الإنسان الحكمة؟ ١٠٨

قيمة الحكمة فى حياة الإنسان ١١٠

القسم الثالث من الحكمة ١١١

٦- الصبر والثبات ١١٢

٤- الثقافة الوعظية ١١٥

خطاب الدعاء والوعظ ١١٥

الخطاب الدعائى - الوعظى المزدوج ١١٦

دعاء كميل نموذجاً ١١٧

دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين (ع) ١١٨

نموذج من الخطاب الوعظى لزين العابدين (ع) ١٢٠

نص الخطاب ١٢٠

تأملات حول الخطاب ١٢٤

الغافل غير المغفول عنه ١٢٥

مواقف السؤال ١٢٦

الهول الأكبر من أهوال ما بعد الموت ١٢٨

التحذير من المعاصى ١٣١

السعيد من وعظَ بغيره ١٣٣

الركون إلى الدنيا والركون إلى الظالمين ١٣٤

ص: ٢١٧

خطاب وعظي آخر للإمام زين العابدين (ع) ١٣٥

تأملات في خطاب الإمام (ع) ١٣٨

فتنة الطاغوت ١٣٩

فتنة الدنيا ١٤١

التقوى والزهد ١٤١

الركونان للذان يفسدان الناس ١٤٤

الطريقة الصحيحة للرؤية ١٤٩

الفتن التي تسلب بصائر الناس في كلمات زين العابدين (ع) ١٥١

كيف تتكون الفتنة ١٥٣

كيف يسلم الناس من الفتنة ١٥٥

الاعتبار بالتاريخ ١٥٧

نقاط ثلاث في كلام الإمام (ع) ١٥٧

المكاشفة والخطاب الذاتي ١٦١

في تراث الإمام زين العابدين (ع) ١٦١

العلاقة الذاتية في القرآن ١٦٢

السجال الذاتي والشهود عن الذات ١٦٥

الغربة عن الذات ١٦٥

الدعوة إلى العودة إلى النفس ١٦٧

معرفة النفس ١٦٧

أقصر السبل إلى معرفة الله ١٦٨

محاسبة النفس ١٦٩

ص: ٢١٨

خطاب المكاشفة الذاتية ١٧٠

الخلوات النافعة ١٧١

أبواب التعامل مع الذات ١٧٣

نص الندبة ١٧٥

الشعر الوعظي ١٨٤

٥- التتقيف بمرجعية أهل البيت (ع) بعد وفاة رسول الله (ص) ١٨٥

التتقيف بالولاء والبراءة ومرجعية أهل البيت (عليهم السلام) ١٨٩

النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) وإمامتهم ١٨٩

المحافظة على تواتر النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) ١٩١

الإمام (ع) يدعوا إلى تثبيت مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) ١٩٣

الدعاء السياسي ١٩٥

الشعر السياسي ١٩٧

٦- ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي ٢٠١

الأسس السياسيّة الثلاثة في ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) ٢٠١

١- مقاطعة الحكام الظلمة ٢٠١

٢- الحضور في وسط الأمة ٢٠٣

٣- بناء الجماعة الصالحة ٢٠٦

التواصل والتكافل الاجتماعي في كلمات الإمام عليّ بن الحسين (ع) ٢٠٨

١- قضاء حوائج المؤمنين ٢١٠

٢- صلة الرحم ٢١١

٣- شكر الجميل ٢١٢

ص: ٢١٩

٤- قبول الاعتذار من المسيئين ٢١٢

٥- الرفق ٢١٢

٦- الهداية والتثقيف والتعليم ٢١٣

٧- التحذير من ازدراء الناس ٢١٣

٨- مقابلة الإساءة بالإحسان ٢١٤

٩- الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب ٢١٥

١٠- طيب الأخلاق ٢١٥

١١- التراور والتحاب والتواصل في الله ٢١٥

مصادر الكتاب ٢١٧

